المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والتسعين

١ يوليو سنة ١٩٣٧ — ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٦

قبل البردي ... بعد الحرير

نلبسهُ ونقيم في بيوت مصنوعة منهُ ونُدوّن ابحاثنا عليهِ وأدبنا [illegible] ردده طعاماً ونستقيهُ مطايا وندعن بهِ سياراتنا ونتذرع بهِ قنابلنا ؟ فما هو ؟ ان الجواب عن هذا السؤال اسم مادة طالما احدثت وجوماً من الانقلاب في شؤون الانسان خلال ارتقائهِ الطويل من الهمجية الى الحضارة. وهي مادة ليس ثمة ما يفوقها كثرة في عالم النبات بل ليس ثمة ما يفوقها اثراً وفائدة بين المواد التي استحدث لها الانسانية خلال ارتقائها . هي آناً قطن وآناً كتان ، آناً خشب وآناً ورق ، بل هي ايضاً حرير صناعي متين براق

ومع ذلك فان كلة السلولوس ، وهي المادة الاساسية في القطن والكتان والخشب والورق والحرير الصناعي وغيرها ، ليست من الكلمات المألوفة ، ولكنها لا بدّ ان تذيع بين المثقفين لانها مادة اساسية في السراء . كانت كذلك في الماضي ، ولا بدّ ان يزداد شأنها في المستقبل ، لانها الآن عماد طائفة من الصناعات الحديثة

ولما كانت مادة السلولوس توام كل نبات وشجر ، فالحصول عليها ميسور حيث يكون النبات ، وهي تتصف علاوة على ذلك بصفة الثبر والتكاثر ، فلا يمكن ان تنفد ، ومن المعقول ان تميل الصناعات الحديثة الى الاعتماد عليها لما كان ذلك في وسعها

اما وهذا مبلغ انتشار السلولوس في الطبيعة ، فقد كان من الطبيعي ان يكون لهُ شأن عظيم في تاريخ البشر من فجر التاريخ الى عصرنا هذا

فالحضارة في عرف علماء الآثار والتاريخ بدأت حقيقة ، عندما اخترعت بعض الشعوب اساليب للكتابة من نحو عشرة آلاف سنة . ولكن الكتابة كانت على الصلصال المجفف والحجر ، لا على الورق بل ولا على البردي . ولكن لما صنع الانسان الورق ، اصبحت مادة البرديوس ، ناقلة للمكتوبات المكتوبة اولاً فللكلمات المصنوعة ثانياً ؛ فكانت من القوى التي وحّدت العمران ، لانها مكنت الناس من تدوين المعارف وحفظها ونشرها

وحوالي العهد الذي انتقلت فيه صناعة الورق الى اوربه ، شرح بعضهم تجرب استعمال البارود في وجه من شتى كان لها اعظم تأثير في الحضارة . ففي القرن الثالث عشر وصف روجر بايكون « البارود الاسود » . فلما استعمل هذا البارود في البندقيات والمدافع في القرن الرابع عشر ، أتاح للعامة قوة ، كانت من العوامل الاساسية ، في تغيير النظام الاجتماعي . واحدى المواد الاساسية في البارود الاسود ، مادة السلولوس المحروق ، حتى في عصرنا هذا بفضل صانعو البارود ، استعمال الفحم المصنوع من الصفصاف والشربين بالحرق

وقد أجمع المؤرخون الفلاسفة ، على أن البارود من ناحية ، والورق من ناحية أخرى ، كانا من عوامل المساواة في الحضارة الحديثة ، فالبارود أرغم امراء الاقطاعات في القرون الوسطى ، على منح العامة بعض الحقوق ، لان البارود في أيدي هؤلاء ، جعل العاقل والحصون غير منيعة الجانب على الجموع المهاجمة . والورق دفع من شأن العامة الذهني بنشر ما ينطوي عليه من المعارف المدوّنة فيه . واذا كان استعمال الورق في تلك العصور قد اقتصر على التدوين ، فانهُ أصبح شائع الاستعمال في عصرنا حتى بتنا لا نستطيع ان نتصوّر حياتنا اليوم ، من دون ورق نقرأ فيه أنباءنا ونعلم به أبناءنا ونلف به أشياءنا . فقد نلف به حذاء قديماً او ندوّن فيه رسالة تحدث انقلاباً . وقد نطويه على كتاب هيام وشكوى ، أو اعلان حرية واستقلال . وقد يكون قطعة من الورق نشعل بها النار في الموقد ، او ضاعدة عزقها فنشعل بها نار حرب

عرف الورق في الصين بضعة قرون قبل التاريخ الميلادي ، ولكن استعماله لم يشع في أوربا الا في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر . وقد كان للعرب اكبر شأن في ذلك . فقد قيل ان الصينيين هاجموا العرب في سمرقند في اواسط القرن الثامن فردّ العرب أعداءهم على اعقابهم ولكنهم أسروا في من أسروا بعض الصينيين الذين يجيدون صناعة الورق فأخذوا عنهم سرّها . وانتشرت الوراقة في بلاد العرب أي انتشار ، يدل على ذلك المخطوطات العربية المحفوظة الى عهدنا هذا وأقدمها يرتدّ الى سنة ٨٦٦ ميلادية . ويلوح لبعض المؤرخين ان أساليب صناعة الورق اتصلت باليونان عن طريق الاتجار مع آسيا . ولكن العرب أنشأوا صناعته في أسبانيا في اواسط القرن الثاني عشر . ومنها انتشرت الى ايطاليا والمانيا وفرنسا فما انتصف القرن

الرابع عشر ، حتى كانت صناعة الورق قد رسخت في غرب اوربا وشاع استعماله محل الرقوق

ان انواع الورق المستعملة الآن لاتحصى ولكنها جميعها مصنوعة من سلولوس على درجات متفاوتة من النقاء . وكان الورق يصنع اولاً من القطن وخرق الكتان ولكن الخشب حل محلها في القرن الاخير ، وذلك بعد استنباط الوسائل الكيميائية لفصل السلولوس عن سائر المواد الداخلة في تركيب الخشب . ففي سنة ١٩٣٢ استهلكت الولايات المتحدة الاميركية وحدها اربعة ملايين طن من لب الخشب المستخرجة من تسعة ملايين طن من الخشب

وليس ثمة ريب في ان استهلاك هذا القدر الكبير ، من مادة توجد في الطبيعة ، حملت البعض على التفكير في نفاد مصدرها الطبيعي . والرأي عند بعضهم ان الحكومات والشركات الكبيرة يجب ان تعنى بالتحريج ، وعند البعض الآخر بالامتناع عن قطع الاشجار لاستعمال خشبها الا اذا كانت فوق ارتفاع معين . وقد ثبت بالبحث والاحصاء انهُ اذا حقق الرأيان معاً امكن الاعتماد على كفاية الشجر لصناعة الورق اذا جعلت مدى الدورة بين الغرس والقطع عشرين سنة

وهناك فريق ثالث يعتقد انهُ اذا عجزت اشجار المناطق المعتدلة عن كفاية ما تتطلبهُ صناعة الورق ، امكن الاعتماد على اشجار المناطق الاستوائية ، فالجيزان في الهند ، يستعمل لصناعة الورق الآن ، والتجارب تجرب في اصناف مختلفة من الاشجار الافريقية وينتظر ان يكون ما يستخرج من السلولوس من فدان منها في السنة مثل ما يستخرج في المناطق المعتدلة اراكثر قليلاً

***

ولما كان السلولوس قوام النبات اطلاقاً والحاجة اليه تتزايد ، بتنوع وجوه استعماله ، فقد اتجهت الانظار الى المحاصيل الزراعية المتنوعة لاستخراج مايمكن استخراجهُ منها من السلولوس . فقد اقترح بعضهم استعمال جذوع الذرة لصناعة الورق من نحو مائة سنة ، وحققت الاساليب الكيميائية لذلك من عهد غير قريب . ولكن حل المشكلة من الناحية الاقتصادية ، لم يتم الا في السنوات الاخيرة . ثم ان قصب السكر كان موضوع بحث وافٍ في هذا الصدد ، وقد صنعت من سلولوسه اصناف مختلفة من الورق

ومما يدلك على الثروة الكامنة في هذه النفايات الزراعية ، ان وزن جذوع الذرة مجردة من الورق والقوالح يبلغ في الولايات المتحدة كل سنة نحو ٣١ مليوناً من الاطنان ، ويمكن ان يستخرج منها ما يكفي لصنع مقدار من الورق والواح الورق وزنهُ ٩ ملايين من الاطنان ، وهو اكثر قليلاً مما استعمل من الورق والواح الورق في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٢

فمقدار السلولوس الذي يمكن استخراجهُ من جذوع الذرة وقصب السكر كبير جداً ، واذا فرضنا ان استخراج السلولوس منها حمل على اوفى وجه من الناحيتين العلمية والاقتصادية ،

فالمصلحة المالية تقتضي ان تستنبط ابواب لاستعمال هذا السلولوس ، حتى يصبح جميع جذوع الذرة وقصب السكر عملاً جديداً

وقد كان للسلولوس شأن كبير في وسائل الانتقال من اقدم العصور . ان الزوارق الاولى التي صنعها الانسان ، صنعها من جذوع الاشجار ، وكذلك مجاذيفها . ثم ان المراكب الشراعية صنعت ولا تزال تصنع من الخشب ، ولم يعدل عنه الى المعدن الا حديثاً في بعض المراكب الخاصة بالسباق ، حتى سفن البحار الفخمة ، لا تستغني عن السلولوس ، في قدد من الخشب تنطلي به صدورها ، وفي ما تحتاج اليه من ملاءات ومناشف واغطية للموائد وعشرات من الاغراض الاخرى

ولا تقل وسائل الانتقال والنقل في البر حاجة الى السلولوس عن وسائل الانتقال في البحر. فالعربات الاولى صنعت من الخشب ولا يزال جانب كبير من انقطارات الحديثة يصنع منهُ . مع انها في بعض البلدان تصنع من الصلب على الاكثر . بل ان الخطوط التي تسير عليها القطارات كانت خشباً من نحو مائة سنة في بعض البلدان . اما السيارات فقلما يدخل الخشب في صنعها ، ولكن اطاراتها العجلانها لا تستغني عن السلولوس ، فيستعمل فيها قطناً طويل الشعرة

ومن غريب امر الانسان انهُ وقد اعتمد على السلولوس في اشكاله المتباينة من الوف السنين ظل يستعملهُ كما يجده في الطبيعة ، من دون ان يعمد الى صنع مواد جديدة منهُ الا في العهد الاخير ، اذا استثنينا لحم الخشب والورق . ولكن ارتقاء الصناعات الكيماوية كان كفيلاً بتوجيه العناية الى استنباط مواد جديدة من السلولوس . الا ان تقدمه في هذا الميدان كان بطيئاً والغالب ان ذلك يرتدُّ لعجز الانسان عن معرفة تركيبه معرفة دقيقة . ومع ما كشفهُ العلماء من الحقائق عن تركيب جزيء السلولوس ووزنهِ وترتيب الذرات فيهِ ، لا يزال الموضوع في حاجة كبيرة الى الايضاح

كانت المادة الاولى المصنوعة من السلولوس التي فازت بشأن كبير في العالم الحديث مادة النترات . فانك اذا اخذت سلولوساً نقيًّا وعالجتهُ بمزيج من الحمض النتريك، والحمض الكبريتيك، تولدت مركبات جديدة . فاذا كان منها محتوياً على ١١ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع المتفجرات المدهشة (بيروكسيلين : هذا هو اسمها العلمي وهو مركب من لفظين معناها نار وخشب) كالسلولويد الذي تصنع منهُ شرائط الصور المتحركة . وما كان منها محتوياً على ١٢ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع الادهان الزجاجية اللاصقة (الورنيش) التي تدهن بها السيارات والجلود وغيرها . وما كان منها محتوياً على اكثر من ١٢ في المائة من النتروجين يستعمل لصنع البارود الذي لا دخان لهُ . وغني عن البيان ما لهذه المواد جميعاً من الشأن في الحضارة

ومما تستعمل لهُ المعجونات الملتهبة التي تصنع منها شرائط الصور المتحركة ، الزجاج الذي لا يتشظى وهو من حسنات الصناعة الحديثة التي نفحت بها صناعة السيارات خاصةً . فاذا أُخذ لوحان من الزجاج ولصقا معاً بطبقة من هذا المعجون ، امكن استعمالهُ لصنع واجهات الزجاج التي توضع في السيارات امام السائق فاذا حدث اصطدام تشقق هذا الزجاج ولكنهُ لا يتشظى ولا تتطاير كسره ، وليس ثمة ريب في ان هذا يحول دون اصابات كثيرة في حوادث السيارات منشؤها الشظايا المتطايرة . ثم ان بعضهم صنع زجاجاً من هذا القبيل لا يخترقه رصاص البندقيات ، بوضع لوح زجاجي كثافتهُ ثلاثة ارباع البوصة في الوسط ، ثم تُلصق اربعة الواح به ، لوحين من كل جانب بواسطة طبقات من هذه المعجونات . ومن اهم وجوه استعماله الآن السيارات المصفحة وواجهات الصرّافين في البنوك

وللسلولوس خواص غريبة ومتناقضة احياناً . فقد استعمل قديماً في بناء الدور والاكواخ لما يتصف بهِ من قدرة على مقاومة تقلب الجوّ . ولكنهُ يتحد بالاكسجين ويتحلّ اذا ارتفعت حرارته الى ما دون حرارة الغليان قليلاً . ثم انهُ يستعمل قطناً في نسج الملابس لانهُ يقاوم عملية الغسيل وفعل بعض المواد الكيماوية ، ولكن اذا غلي في الماء المقطر ساعتين ثم جفف تغيرت خواصهُ الكيماوية ولذلك نشأت صناعات جديدة اساسها هذه الخواص الكيماوية المتغيرة في السلولوس . فانك اذا اخذت خيطاً من القطن وعالجتهُ بمحلول من الصودا الكاوية (١٨ في المائة) في مكان بارد ثم جففتهُ وهو مشدود اصبح لامعاً فيستعمل في نسج الاقطان الحريرية المظهر المعروفة باسم القطن « المصقول »

واذا عولج الورق بالحمض الكبريتيك (٧٠ في المائة) ثم غسل الحمض اصبح الورق شبيهاً بالرق ويعرف باسم «الرق النباتي». ولما كان الماء يبلهُ ولا يذيبه اصبح يستعمل بدلاً من المناشف في تجفيف الاطباق المغسولة . فاذا عولجت اصناف خاصة من الورق بالطريقة المتقدمة امكن استعمال الرق لعزل الادوات الكهربائية . واذا عولج بمحلولات مركّزة من كلوريد الزنك اصبح شبيهاً بالالياف المعالجة بالحامض المقشّي

***

ولا يخفى ان السلولوس استعمل من قديم الزمان ، قطناً وكتاناً ، لنسج الملابس . وفي دار الآثار المصرية بالقاهرة بقايا من نسيج كتاني دقيق يرتدّ الى اقدم العصور . ولكن الحرير كان مفضلاً على الكتان لنعومة ملمسه ولمعانه ، فأقبل عليه النبلاء وخصّوهُ بايثارهم

وكان الاقمشان ناجي نفسهُ فقال ان السلولوس تأكلهُ الفم فتحولهُ صوفاً ، وتأكل دودة الحرير سلولوس التوت فتحولهُ حريراً ، فلماذا لا اسمي ، والحرير مآلهُ من الفم ، الى كشف سر الدودة

ومع ان الانسان لم يكتشف سر الدودة بعد الا ان العلماء توصلوا بعد بحث طويل الى صنع ألياف دقيقة من السلولوس تماثل الحرير في منظره وملمسه

كان غرض الباحثين الاول في هذا الميدان ان يصنعوا الحرير الطبيعي بأساليب صناعية . بل قبل ان اطلاق اسم « الحرير الصناعي » على هذه المادة الجديدة المصنوعة من السلولوس بالوسائل الكيمياوية ، انما كان بقصد التمييز بين حريرين احدهما تصنعهُ الطبيعة والآخر يصنعهُ الانسان . ولكن من المعروف الآن ان اصناف الريون Rayon (وهو اسم « الحرير الصناعي ») لا تشبه الحرير شبهاً ما من الناحية الكيمياوية . و « الريون » اربعة اصناف منها ثلاثة سلولوس اصيل وهي متشابهة مع ان اساليب صنعها من السلولوس متباينة . ولكن الصنف الرابع وهو أحدثها مركب كيمياوي من السلولوس والحمض الخليك ويعرف باسم « خلات السلولوس » وهو يختلف في خواصهِ عن السلولوس وعن اصناف الريون الاخرى

وتنقسم الاساليب التي يعتمد عليها في صناعة « الحرير الصناعي » طائفتين ، وأساس الاختلاف بينهما ان الخيط في الواحدة سلولوس عولج معالجة كيمياوية خاصة ، والخيط في الثانية مركب من مركبات السلولوس كخلات السلولوس

وللطائفتين قواعد معينة مشتركة خلاصتها تحويل السلولوس الى محلول ، ثم دفع ذلك المحلول في ثقوب دقيقة الى وسط تتجمد فيه . وقد يكون هذا الوسط غازيًا او سائلاً وذلك يختلف باختلاف المادة التي حلّ فيها السلولوس

في العهد الاول من صناعة « الحرير الصناعي » كان يحوّل السلولوس الى نترات السلولوس ثم يحل هذا المركب في مزيج الكحول والايثر ثم يمشق ويدفع في الثقوب الدقيقة الى حجرة فيها هواء حار فيتجمد الخيط فيها بتبخير المادتين التي استعملتا لحلّ النترات . وتستردّ هاتان المادتان لتستعملا ثانية . اما الخيط فيعالج بطريقة خاصة لتنقص قابليته للالتهاب . ولكن هذه الطريقة لا تستعمل الآن الا في مصنع واحد في الولايات المتحدة الاميركية . فاذا حل السلولوس في مركب من النحاس والنشادر جمّد الخيط في محلول حامض او محلول قلوي

ولكن الاسلوب المستعمل في ٨٠ في المائة من مصانع « الحرير الصناعي » يقوم على معالجة السلولوس التي بالصودا الكاوية ثم بعد فترة معينة يعالج بثاني سلفور الكربون فيتحول الى مركب سلولوسي يمكن حلّهُ في الحمض الكبريتيك المخفف

في هذه الاساليب الثلاثة نجد ان المادة المعالجة هي السلولوس نفسهُ . ولكن الاسلوب الصناعي الجديد الآخذ في الانتشار الآن قوامهُ تحويل السلولوس الى خلات السلولوس ، والخيط الناتج عن هذه العملية هو خلات السلولوس نفسها وليس بسلولوس صرف . ومن ميزات

هذه الطريقة ان الخيط بعد تجميده لا يحتاج الى معالجة جديدة بأي مركب كيماوي ، بل يكون جاهزاً لعملية « الفتل » التي تسبق الاستعمال

لما ظهر الحرير الصناعي في السوق اولاً كان خشن الملمس ولكن اتقان الاساليب الصناعية زاد الخيط متانة ونعومة ونقص نخانتهُ . ومن اغرب ما ظهر في صناعة الحرير الصناعي زيادة الطلب على نقص لمعانه مع ان الاقبال عليه اولاً كان باعث هذا اللمعان . واغرب من ذلك انهُ لما ظهر الحرير الصناعي في السوق ألفت لجنة في الولايات المتحدة الاميركية لدراسته فكتبت في بيانها انها لا تتوقع لهُ نجاحاً . ومع ذلك فقد استهلكت الولايات المتحدة الاميركية من « الريون » (الحرير الصناعي) مقداراً يفوق ستين في المائة مقدار ما استهلكتهُ من الحرير الطبيعي وقد زاد مقدار المصنوع منهُ في خلال ١٨ سنة (١٩١٠ — ١٩٢٨) من ١٠ ملايين رطل الى ١٠٠ مليون رطل وبلغ هذا المقدار ١٤٢ مليون رطل سنة ١٩٣١

ولا يخفى ان من حسنات الحرير الصناعي امكان نسجهِ مع القطن أو الصوف فتصنع كذلك منسوجات متنوعة غاية في المتانة والجمال . وقد صنع من عهد قريب نوع من الريون ينافس الحرير مظهراً ومتانة حتى عند ما يكون الخيط مبلولاً ولكن استعماله لم يشع بعد لاسباب صناعية

* * *

وكما استعمل السلولوس قديماً في وسائل المواصلات استعمل حديثاً في احدث هذه الوسائل. ففي الطيارات الاولى كانت هياكل الطيارات ومراوحها Propellers تصنع من الخشب والاجنحة تغطى بنسيج من القطن او الكتان يدهن بنترات السلولوس او بمخلاته حتى يصبح مشدوداً ومهما يكن من مستقبل الطيارات المصنوعة من المعدن فان السلولوس كان ولا ريب ذا شأن في ارتقائها حتى الآن

وقد صنع من السلولوس ورق صفيق مقوّى لصنع منهُ علبٌ تستعمل في التجارة ، وورق رقيق شفاف يدعى « السلوفان » . وصناعة هذا الورق الاخير من الناحية الكيميائية لا تختلف عن صناعة الحرير الصناعي ولكن بدلاً من ان يدفع المحلول السلولوسي في ثقوب يدفع في شق ضيق جدًّا فيتحول ورقاً بدلاً من ان يتحول خيطاً

وقد استغني في صناعة الاحذية عن المسامير والخيط في صنع « الكعب » وخصف النعال باستعمال مادة سلولوسية شديدة اللصق فاذا بسطت بين « النعل » واسفل الحذاء التصقا في ٥٠ ثانية فيصبحان وكأنهما قطعة واحدة والآلة التي تستخدم لهذا الغرض تمكن العامل البارع من انجاز ١٥٨٠ حذاء في ثماني ساعات وربع ساعة من العمل

هذا والعلم لا يزال على عتبة عصر السلولوس :

العشرة المقدمون

في تاريخ الفكر الانساني

للكاتب ول دورانت

مؤلف «قصة الفلسفة» و «صروح الفلسفة»

أنحنا في مقتطف مايو الماضي نبأ الجائزة المالية التي جادت بها اريحية صاحب السعادة أسعد باسيلي باشا احتفاء بذكرى الدكتور يعقوب صروف الناشرة . واقترحنا على الكتّاب موضوعاً هو : «العشرة المقدمون في تاريخ الفكر العربي» . اقترحناه ونحن نعلم ان البحث في سيرة كل من هؤلاء الذين يقع عليهم الاختيار، وتحليل اثره الباقي ، يقتضي مجلداً او اكثر ، ولكننا اقترحناه ونحن نعلم كذلك ان المتغلغل في تاريخ الفكر العربي ، المتسق في فهم تياراته القوية ، يستطيع ان يستشرفها فيلم بمن يحسبهم اعلامها وبما ابدعوا وخلفوا من اثر وكيف وجهوا معاصريهم ومن اتى بعدهم في صفحات ممدودات . ووعدنا ان ننشر في مقتطف يونيو مقالاً للكاتب الفلسفي الاميركي ول دورانت ، نحسبهُ نموذجاً صالحاً لما نقصد،مع انهُ قصر اختياره على الفلاسفة والعلماء ونحن اضفنا اليهم رجال الادب . ولكنهُ حصر ميدان البحث في اصحاب الاثر الباقي منهم ناظراً الى ما استحدثوه من الآراء والمذاهب وما مدى تأثيرها في عصرها والعصور التي تلتها ، وهل كانت مبتكرة او منقولة ، وشاملة او منحصرة في فرع واحد من فروع الفكر ، وعويصة تنفذ بها صاحبها الى جواهر الاشياء او سطحية رقراقة لم تمس الا سطحها

ومقال المستر دورانت ردٌّ على سؤال وجه اليهِ من قبل مجلة اميركية نصهُ : « من هم اعظم عشرة مفكرين في التاريخ » . قال بعد التوطئة :—

« المحرر »

كنفوشيوس

ارى القارىء يهمّ بالاعتراض قائلاً — كيف نختار كنفوشيوس واغفل المسيح أو بوذا ؟ ان السبب في ذلك ان كنفوشيوس كان فيلسوفاً اديباً لا واعظاً يدعو الناس الى عقيدة دينية جديدة . وان دعوتهُ الناس الى الاخذ باسباب الحياة النبيلة كانت مبنية على بواعث زمنية لا على اعتبارات فوق الطبيعة . انهُ اقرب من المسيح الى سقراط وفلسفتهِ . ولد سنة ٥٥٢ قبل المسيح في عصر حلّت فيهِ الفوضى في الصين محلّ مجدها القديم فتمزقت تلك البلاد دويلات دويلات يسودها النزاع والحرب فاخذ على عاتقهِ ان يعيد اليها النظام والوئام . وهاك فقرة من كتاباتهِ توضح لك آراءهُ قال :

« ان الاقدمين الامجاد كانوا اذا ارادوا ان يوضحوا الفضائل السامية وينشروها في الناس ينظمون احوال ممالكهم . وقبل ان ينظموا احوال ممالكهم كانوا ينظمون احوال اسرهم . وقبل ان ينظموا احوال اسرهم كانوا يهذبون اخلاقهم . وقبل ان يهذبوا اخلاقهم كانوا ينقوا نفوسهم وقبل ان ينقوا نفوسهم كانوا يحاولون ان يكونوا صادقين ومخلصين في افكارهم وقبل كانوا يحاولون ان يكونوا صادقين ومخلصين في افكارهم كانوا يوسعون معارفهم . وتوسيع المعرفة كان مجيء عن طريق البحث والمشاهدة . شاهدوا الاشياء فاكتملت معارفهم وحين اكتملت معارفهم خلصت افكارهم وحين خلصت افكارهم تهذبت اخلاقهم وحين تهذبت اخلاقهم نقيت نفوسهم وانتظمت اسرهم . وحين انتظمت اسرهم انتظمت دولهم ، وحين انتظمت دولهم اصبحت الارض كلها تمرح في السعادة والوئام »

هذه فلسفة ادبية سياسية صحيحة في بضعة اسطر . نعم انها فلسفة محافظة ، تملي كثيراً من شأن السادات الاجتماعية وتستخف بالدمقراطية ولكنها رغماً عما فيها من اقوال شبيهة بمبادىء المسيحية ، نراها اقرب الى فلسفة الرواقيين منها الى المعتقدات المسيحية . ويقال ان تلميذاً وجه سؤالاً الى كنفوشيوس قال فيهِ « انجازي الشر بالخير » فقال « كيف تجازي اللطف اذاً ؟ جازِ الخير بالخير ، وجازِ الشرّ بالعدل » . ولم يكن يعتقد ان الناس متساوون وان الذكاء هبة عامة لجميع الناس بل كان يعتقد ان اكبر حظ يصيبهُ شعب من الشعوب هو اقصاء الجهّال عن المناصب العامة واحلال الحكماء محلهم . فاختارتهُ مدينة كبيرة من مدن الصين تدعى شنغ تو حاكماً عليها « فحدث اصلاح عجيب على اثر توليتهِ ، في عادات الشعب واخلاقهِ . فوضع حدّاً للجرائم ولم يجرؤ الخبث والخداع ان يرفعا رأسيهما واصبحت الامانة وحسن النية من ميزات الرجال ، واللطف واللطف من صفات النساء » . اني لا اكاد اصدق ما يقال انهُ حدث لبدء عن طبائع الناس والراجح انهُ لم يدم زمناً طويلاً . ولكن اتباع كنفوشيوس ادركوا عظمة معلمهم حق في حياتهِ

فدفنوه في احتفال مهيب وبقي جمهور كبير منهم اكواخاً قرب قبره واقاموا فيها يندبون على فقده ثلاث سنوات وبقي احدهم واسمهُ تمي كتع بعد ذلك ثلاث سنوات اخرى

تحيل النظر في الحضارات المتعددة التي نشأت وزالت بعد زمن كنفوشيوس فلا تجد في احداها رجلاً يبهض بفكره فوق بقية الرجال كما يبهض الجبل فوق الآكام التي حولهُ ، انما لا تجد رجلاً نسمع في صوته صوت الشعب الذي ينتمي اليه ، ولا في تعليمه ما اصلح حاضر او احدث فيهم انقلاباً ما . نحن نطوي الهند والعراق والشام وآسيا الصغرى ، فنقع فيها على بعض المشترعين الدينيين ، ولكننا لا نقع على عالم عالمي ولا على فيلسوف عالمي . ثم نستعرض الدول المصرية فينبؤنا التاريخ عن مئات من الفراعنة وآثار خالدة من الفن ، ولكننا لا نجد اسم رجل جمع في عقله حكمة الماضي وطبع شعبهُ بطابعه الفكري الخاص . فتصرف النظر عن كل هؤلاء الشعوب وتتجه الى بلاد اليونان في عصرها الذهبي — عصر بركليس

افلاطون

اتصوّر القارىء يهمُّ بالاعتراض ثانية ولسان حاله يقول كيف تختار افلاطون وتصرف النظر عن معلمه سقراط اب الفلسفة واعظم شهدائها . على ان لا يضطرب القارىء اذا قلت لهُ ان نصف ما يذكر عن سقراط حديث خرافة . فقد اثبت المسيو دوبريل احد كتاب فرنسا في كتاب دعاهُ « الخرافة السقراطية » ان سقراط من طبقة اخلّس وأديبوس وروميولس وغيرهم من الاشخاص الذين تحجب حقيقتهم الخرافات والاساطير . ولا ريب في ان جانباً كبيراً من شهرة سقراط عائد الى ذكاء تلميذه افلاطون وأمانته . ولا نعلم ما في كتابات افلاطون من آراء سقراط حقيقة وما فيها مما ابتكره افلاطون نفسه فليكن اسم افلاطون رمزاً لكليهما

من يدانيهُ اقل رية في اثر افلاطون . انظر الى الاكاديمية التي انشأها ، اولى الجامعات في التاريخ واطولها عمراً . انظر الى الاهتمام العام بفلسفته ، والتجديد الذي تمّ غير مرّة فيها كما ظهر اولاً في اصحاب الفلسفة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية ثم في اتباع افلاطون بكمبردج . انظر الى المقام الذي احرزه افلاطون في حضارة القرون الوسطى وما لفكره من الاثر في المباحث اللاهوتية الحديثة . واذكر ان مائة الف تلميذ او اكثر في جميع انحاء العالم المتمدن يكبون اليوم على « جمهوريته » « ومحاوراته » يتلقون منها الحكمة . هذا هو خلود النفس يتلاشى امامهُ فناء الجسد . ان « محاوراته » لمن اثمن الآثار التي ينتجها البشر نفيها اتخذت الفلسفة اولاً شكلاً معيناً ولما افاض عليها افلاطون من عواطف شبابه الزاخرة المتنوعة وصل بها الى قمة عليا من كمال الابداع

اذا شئت ان تصغي الى حديث سام عن الحب والصداقة والبحث عن الجمال فاقرأ ليسي

وكارميدس وفيدرس . واذا شئت ان تعرف ما يناجي قصاً شريفة عما يتعلق بالحياة الاخرى فاقرأ «فيدو» . ان صفحاتها الاخيرة لمن اعلى القمم التي بلغها النثر في كل عصور التاريخ . واذا كانت تلك مشاغل العقل واسرار المعرفة فاقرأ بارمنيدس وثيتيتس . واذا كانت تلك كل المباحث على اختلافها بوجه عام فاقرأ « الجمهورية » ففيها تجد مباحث في ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن . فيها تجد المبادئ التي تتشدها طالبات التحرر من النساء ، وفيها تجد القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة اليوم لتحديد النسل . فيها تقع على مبادىء الاشتراكية واليوجنية والارستقراطية والدمقراطية والتحليل النفسي والمذهب القائل بان الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب ان يقول امرسن في هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب في هذا الكتاب غنى عنها »

ارسطوطاليس

لا شك في ان جميع الباحثين مجمعون على اختيار ارسطوطاليس وضعه الى المجلس الذي تؤلفه من اعظم المفكرين . فأبناء القرون الوسطى دعوه « بالفيلسوف » (ودعاه العرب بالمعلم الاول) يريدون بهذه التسمية انه جمع في شخصه وفكره اسمى ما بلغته الفلسفة من الغايات . على اننا لا نرى انفسنا مسوقين الى اختياره بدافع الاعجاب الذي يسوقنا الى اختيار افلاطون . لاننا حين نقبل على كتب ارسطوطاليس نحس بجفاف ما فيها من حقائق مجردة يملؤها عقل خاضع لقوانين البحث المنطقي . ولكن يجب ألا نحكم عليه من مطالعة كتبه لانه قد ثبت ان معظمها كان خلاصات دونها هو او دونها تلاميذه لتذكر الخطب التي كان يلقيها عليهم ، وعليه فليس من الانصاف ان نقابل هذه الكتب بمحاورات افلاطون التي كانت ولا تزال اقوى ما يدفع الناس الى الاعجاب به اعجاباً يقرب من الحب

فاذا صرفنا النظر عما تقدم وجدنا ان عقل ارسطوطاليس كان من اعجب العقول في تاريخ الفكر مهما سواء أنظرنا اليه من حيث سعة المباحث التي اشتغل بها ام من حيث تعمقه في كل منها . انه يطوّق الكرة بفكره فيبحث في كل موضوع من موضوعات العلم والفلسفة فيزيده وضوحاً ويرى لكل مشكلة من مشكلاتها حلاً وتعليلاً معقولاً فكانه بث العيون والارصاد تجمع له حقائق الحقائق والمعارف ثم تناولها بعقله فوحد بينها . انك تجد في كتبه التعاريف والالفاظ الفلسفية التي لا تزال تستعمل الى الآن . كذلك تقع فيها على حكمة تكاد تكون كاملة تشمل الحياة بأسرها . لقد كان ينشئ علوماً جديدة بسهولة تامة ففي مؤلفاته تقع على اول ذكر لعلم الحياة وعلم الاجنة والمنطق . لم يكن اول من فكر في هذه الموضوعات ولكنه كان اول من فكر فيها مقيداً تفكيره بالملاحظة والبحث والاستقراء والامتحان واستنتاج النتائج من مقدماتها .

فاذا صرفنا النظر عن علم الهيئة وعلوم الطب فتاريخ العلم يبدأ من مباحث هذا الفيلسوف العظيم. ماس فيلسوف اوعالم آخر كان لهُ من الاثر الواسع النطاق كاثر ارسطوطاليس الا كنفوشيوس. ان جميع دارسي التاريخ يعرفون ان علماء مدرسة الاسكندرية والباحثين في رومية في عهد الامبراطورية اتخذوا مؤلفات ارسطوطاليس قاعدة لمباحثهم العلمية وان فلسفتهُ التي نقلها العرب الى أوربا اصبحت القاعدة التي بنيت عليها الفلسفة المدرسية في عصور النهضة وان دانتي وضعهُ في المقام الاول بين رجال المعرفة فدعاه « معلم المعلمين » وان المعلمين البزنطيين بعد ما افتتح الاتراك القسطنطينية عنوة هجروا شرق اوربا الى اواسطها وغربها فنقلوا معهم بزور فلسفته فكانت من اكبر العوامل في النهضة الاوربية بعد القرون المظلمة. وبقي ارسطوطاليس مسيطراً على سير الفكر البشري نحو الف سنة لم تنقض الا امام البحث العلمي الذي قال به روجر باكون والفلسفة التي ابتكرها فرنسس باكون

***

تمر بنا اليونان ونستبق رومية فنسأل من هم اعظم المفكرين فيها. ان لفريطيوس اولم واعلاهم كعباً. على ان فلسفتهُ لم تكن من مبتكراته، بل استمدها بكل صراحة الى ابيقوروس، ولم يكن اثره الا اثراً متفرقاً. وعليه فلا نستطيع ان نختاره ليدخل بحثنا. واما سنكا وابكتيتوس واوريليوس فلم يكونوا سوى اصداء تردد اقوال بعض فلاسفة اليونان كزينون وغيره يطبقونها على احوال رومية المتضعضعة. كانت الحضارة الرومانية في اواخر ايامها حين كتب هؤلاء الكتاب قد هانت بعد العز، ودالت بعد القوة وحل الارقاء محل الاحرار وخضعت المدن العامرة القديمة لفرائض الجزية والطاعة. وانقسمت الطبقات السائدة طرائق طرائق، واذا الحضارة القديمة قد دكت الى الحضيض وبانت الاطلال تعمى من بناها

ثم ما لبثت ان قامت الكنيسة المسيحية فوق الاطلال تجمع الاحزاب وتزيل الضغائن بفعل الكتب المقدسة. زال الامبراطرة وبقي البابوات. ورجعت كتائب الجيوش من ساحات الحروب والطلقت مكانها فرق الرهبان، جيوش المعتقد الجديد تغشى نظاماً جديداً يستطيع الفكر ان يسمو فيه ويعيش. ما الحول ذلك العهد الذي اخذ العقل الاوربي فيه يتلمس طريقه الى النور

والست المتاجر، واصبحت القرى الصغيرة مدناً كبيرة، والمدارس جامعات فتمكن بعض الافراد ان يتحرروا من مطالب الحياة الشديدة لينعموا في ظلال التفكير والدرس والبحث فهز ابلار لعف قارة اوربا بلاغته وادمج بوناقتوري وأتسلم خلاصة الافكار الثائرة في فلسفة لاهوتية مجيدة ولما انقضى زمن الاستعداد انجبت اوربا ارسطوطاليساً آخر في شخص هو :

توما الاكويني

رجل كان يهتم بشتى مظاهر الكون والحياة ووصل باسلاك دقيقة من الفكر بين ضفتي الهوة الفاغرة بين العلم والاعتقاد . جمع معارف عصره ونشرها ووحدها ثم سددها الى مسائل الحياة والموت وعليه فيجب ان نختاره وان كان بعضنا لا يرتاح الى ذلك

ان قلبي ليخفق اذ أُجبر على اختيار توماس الاكويني ليشغل بين أعظم المفكرين محلاً كنت اود ان اشاهد فيه سبينوزا او ليوناردو دافنشي ، ولكن جرياً على الخطة التي رسمتها وهي التجرُّد عن الهوى في اختيار من نختار ، يجب ان نخضع اهواءنا لعقولنا . ان تفوق توما الاكويني في قرن حافل بالعظائم واثرهُ البعيد المدى في ملايين من الناس ، وآراءهُ التي لا تزال في عرف كثيرين اقوى دعامة من مبادىء العلوم الحديثة ، وفلسفتهُ التي لا تزال الركن الذي يقوم عليه اعظم مذهب مسيحي ، كل ذلك يحكم علينا باختياره

وفي القرن الخامس عشر ارتفع صوت من بولونيا يقول ان الارض وهي موطىء قدمي الله في عرف الاقدمين ليست سوى سيار صغير يدور حول شمس صغيرة . قول لا يثير فينا الآن دهشة ولا استغراباً لاننا تعلمناه في مدارسنا ونقرأهُ في الكتب والصحف ، ولكنهُ كان كفراً والحاداً في عصر كانت فلسفة ابنائه تقوم على قرب الناس من السماء لانهُ جاء ضربة قوية حطمت السلم الذي يصل بين البشر والملائكة

كوبرنيكس

ان كتاب « كوبرنيكس » الذي عنوانهُ « دوران الاجرام السموية » احدث ثورة فكرية بعيدة المدى . لما جلس راقب الكواكب الساعة الاخاذة لم يكن يدور في خلده ما قد يكون لقوله من الاثر في المعتقدات ، لانهُ كان قد اخذ بالبحث عن الحقيقة والحقيقة في عرفه تحرر الناس ، فقلب بسحر معارفه الرياضية رأيهم في الكون فبعد ما كانوا يعتقدون ان الكون وما فيه يدور حول الارض والانسان اضحوا يرون ان الكون نجوم وعوالم متناثرة في هذا الفضاء غير المحدود

لا اعلم مبلغ تفهمي كوبرنيكس من العلوم الرياضية والفلكية على اننا نقيس مكانتهُ باثره الذي لا يفنى . فيه بدأ العقل يثور على الخرافات والاقوال التي تقبل بالتسليم ومن ثم مضى في ثورته عصراً بعد عصر ، يكشف حقائق الطبيعة ويسيطر على عناصرها حتى بلغ ما بلغهُ الآن

فالثورة التي اثارها كوبرنيكس اثبتت ان الفكر البشري بلغ اشده حينئذٍ ومنها سار في معارج التضوج والاكتمال

بلغ الفكر البشري اشدهُ في عصر كوبرنيكس ومن ثم اخذ يتقدم بخطوات ثابتة في كشف اسرار الطبيعة والسيطرة على عناصرها . فكان العصر الذي تلا عهد كوبرنيكس حافلاً برواد الفكر الشجعان الذين لم يثنهم خوف او انتقاد عن الخوض في مختلف المباحث

من نختار ممثلاً لهذا العصر — عصر الاختبار ؟ انختار ليوناردو دافنشي المصوّر الموسيقي انحات البناء المستبط المهندس الفيلسوف العالم بالتشريح والفسيولوجيا والطبيعيات والكيميا والجيولوجيا والزوولوجيا والنبات والجغرافيا والرياضيات؟ كلا ان التعريف الذي اطلقناهُ على رجال الفكر لا ينطبقُ لانهُ كان رجل فنٍّ اكثر منهُ مفكراً او عالماً واثرهُ الباقي في الناس هو اثرهُ الفنيّ فاذا ذكرناهُ الآن نذكر صورتيهِ « الجيوكوندا » « والعشاء الاخير » لا رأيهُ في الآثار المتحجرة او دورة الدم

فرنسيس باكون

أنختار جيورداتو برونو صاحب النفس الباحثة وراء الفيوم عن الوحدة الالهية غير راضية عن المذاهب والطوائف واختلاف المعتقدات ؟ كلاَّ لاننا نجد في هذا العصر رجلاً اوسع فكراً وأبعد اثراً من برونو الذي أحرق في سبيل الفلسفة . نجد رجلاً دعا جميع الباحثين عن الحقيقة الى الترابط والتعاون في خدمة العلم واثبت ان الغاية من الفكر ليست المناقشة المدرسية والتكهن بالغيب بل الغاية منهُ السيطرة على الطبيعة سيطرة تمكن الانسان من القبض على ناصية الاحوال الطبيعية التي يعيش فيها . أنهُ رجل بلغ من سعة نظره ان رسم خريطة لمجاهل العلم ودل الباحثين الى اصول العلوم التي انشأوها بعدُ ودربهم على كشف حقائقها وترتيب اصولها . هو الرجل الذي نفخ روح الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجامعة الانسكلوبيديين الفرنسيين وعلّم الناس ان المعرفة للقوة والسيطرة . لا للتأمل والتخيل . هو الرجل الذي قضى على منطق ارسطو طاليس واقام الملاحظة والامتحان اساساً للفكر واتصف بكل الصفات التي يمتاز بها الفكر الحديث — هذا هو فرنسيس باكون

وحديث التقدم الفكري منذ ايام باكون الى الآن هو حديث الفلسفة الباكونية والاساليب الباكونية وانتصارها على الفلسفة والاساليب القديمة

***

ما اكثر الرواد على هذه الطريق . ففي يدي ديكارت يتصارع النظام القديم مع النظام الجديد من غير ان يتم الفوز الاكمل للجديد . وفي عقل ليبنز نشاهد ما للتقاليد القديمة المرعية الجانب من قوة ونفوذ لانها تحول الرياضي المتنازل لاهوتي متردد . وفي صوت عمانوئيل كانت

نسمع صوت المعتقدات القديمة يرتفع وسط اهازيج الريبة والشك التي اثارتها المباحث الجديدة والآراء الجديدة

على ان سبينوزا وفق توفيقاً غريباً في الجمع بين هذين المذهبين المذهب العلمي والمذهب اللاهوتي في النظر الى الطبيعة والكون . ومن هو سبينوزا ؟ رجل جعل التأمل في الله والطبيعة والحياة عمله ، فسار به عقله المتفوق اشواطاً بعيدة في كشف الكثير من اسرارها . انظره يصنع بلوراته ، او يدوّن آراءه في ما وراء الطبيعة او يدرس الهندسة والميكانيكيات او يتشهد للفلسفة يرى في كل عمل من اعماله عظمة وجلالاً جعلت كل مفكر بعده يتأثر بفكره السامي وشخصيته القوية . ولكننا لا نستطيع ان نتخيله واحداً من العشرة الذي نحاول اختيارهم . لان اثره كان محدوداً وحصوراً في افراد قلائل ولو كانوا من قادة الفكر في العصور التي تلت عهده

نيوتن

ولكن من يشك في مقام نيوتن ؟ ان تلاميذ المدارس يعرفون كثيراً من القصص التي تروى عنه وتدل على انصرافه عن مسافسة الحياة الى التأمل في اسرار الكون . ان قصتي التفاحة الساقطة والكلب الذي احرق له كتاباً ثميناً اشهر من ان تذكر ولكن هل يعلم كثيرون ان كتابه « المبادىء » كان فاتحة عصر جديد تمت فيه سيطرة العلم على سير الفكر الحديث . وان نواميس الحركة التي كشفها اصبحت اساساً لعلم الميكانيكيات الحديث الذي بُني عليه كل تقدم عملي في عمراننا الحاضر وان اكتشافه لناموس الجاذبية حول الكون الى نظام دقيق تعرف ابعاد اجرامه واجرامها وحركاتها . قال فولتير « كنا نتحدث فسأل سائل اي الرجال التالية اسماؤهم يفوق الباقين عظمة — الاسكندر او قيصر او تيمورلنك — فاجاب احد الحضور لاشك ان نيوتن اعظم الجميع . فكان كلامه فصل الخطاب لان نيوتن يسيطر علينا بقوة العقل لا بالسيف البدني وعليه فنحن نحترمه » . فيظهر مما تقدم ان معاصري نيوتن ادركوا مقامه الفريد بين رجال الفكر ، وقد جاء الاحتفال بانقضاء مائتي عام على وفاته اقوى دليل على ذلك

فولتير

والى فولتير يعود الفخر والفضل في نقل مبادىء نيوتن الميكانيكية وفلسفة هُبس الى فرنسا فكان عمله مبدأ عصر النهضة والنور فيها وكان هو حامل مصباحه ورافع لوائه . قد يدهش بعض القراء ويحنق بعضهم حينما يرون فولتير قد زُج بين اعظم المفكرين في التاريخ ويعترضون بانه لم يكن مبتكراً في آرائه وانه كان فوق ذلك هداماً اكثر منه بناء ولكن من منا مبتكر لدى التحقيق وأي رأي تصوره الآن لم يذكر منذ القدم في صور مختلفة ؟ ان ابتكار الخطإ اسهل على الناس من

ابتكار الصواب. ألم يتناول سبينوزا — وهو من اكثر المفكرين تقصياً وتعمقاً — مبادىء آرائه وفلسفته من برونو وابن ميمون وديكارت ؟ ألم يتخذ احد العلماء موضوعاً لبحثه حين نال لقب الدكتوراه « ان كل ما كتبهُ ارسطوطاليس باطل لا يستثنى منهُ سوى ما نقله عن افلاطون» ألم ينقل افلاطون قديماً وشكسبير حديثاً كثيراً من مرويات الناس فطولاها بسحر خيالها وبلاغتها الى آيات خالدة من الفن والجمال ؟ فاذا سلمنا بأن فولتير وباكون اثارا مصباحيهما من مصابيح الغير افلا يكفيهما فخراً وعظمة انهما اضاءا بهما العالم . اخذ فولتير من غيره آراء كانت مطمورة مطمورة في زوايا النسيان لصعوبة تناولها ، فبسطها وألبسها من سحر بلاغته ثوباً خلاباً فاقبل عليها الناس اي اقبال

وهل كان فولتير هداماً كما يقال ؟ ارفض الاعتراف بعظمته وقوة فكره لان آراءه تختلف عن آرائنا ؟ الم تختلف عن سبينوزا لان آره كان محصوراً في نفر قليل من المفكرين مع ان بعضنا يقدس فلسفتهُ حتى يكاد يقسم بها ؟ وعليهِ فيجب ألا نسأل هل تتفق آراء فولتير مع آرائنا بل هل قبلها الناس وهل كان لها اثر فعال في تلوين آرائهم وتوجيهها في عصره والعصور التالية ؟

لا ريب في ذلك اذ يقال ان الملك لويس السادس عشر التقت في سجنهِ فرأى مؤلفات فولتير وروسو فقال « هذان الرجلان نوضا دماغ فرنسا » . ولو وضع كلمة « الاستبداد » بدل فرنسا لكان اصاب كبد الحقيقة

على ان الملك لويس اسبغ على الفلسفة شرفاً لا تستحقهُ كلهُ . اذ لا شك ان الحالة الاقتصادية في فرنسا في العصر الذي سبق الثورة مهدت السبيل الى الثورة الفكرية التي كان فولتير زعيمها ورائع لوائها . لكن الالم في عضو من أعضاء الجسم لا يدفع الانسان الى معالجتهِ ان لم يشعر بهِ اولاً بما تنقلهُ الاعصاب من الاحساس بالالم الى الدماغ . وعلى ذلك تس حالة فرنسا . ان جهل العامة بفساد الحكم في ايام البوربون جعل استمرار الحالة مما لا مندوحة عنهُ الى ان يفضي على البلاد بشرق شملها وهبوطها الى هوة سحيقة من الانحطاط والخذلان . لكن أقلام عشرات من الكتاب انطلقت من عقالها تصور للشعب فساد الحال فكان سريرها أوقع من صليل السيوف لانها دلت الشعب على مكامن الداء فانتاك فهبَّ يبحث عن الدواء . وفي هذا العمل العظيم كان فولتير القائد الاعلى انضمَّ تحت لوائهِ عشرات من الكتاب كلهم يعترف بقيادتهِ وينقاد لهُ باشارتهِ حتى فردريك الكبير حياهُ بقولهِ « انهُ أكبر نابغة أنجبتهُ العصور»

وكما ان قادة الفكر في ذلك العصر كانوا ينحنون امام فولتير احتراماً كذلك نراهم في العصور التالية يعتبرونهُ امام الحرية الفكرية ويلقبونهُ بصاحب الجلالة . فنيتشه الفيلسوف الالماني استقى كثيراً من تعمقهِ وقدَّم اليهِ احد مؤلفاتهِ وأناتول فرانس تتلمذ لهُ ودرس عليهِ في مؤلفاتهِ السمة

والتمين وكيتشفيها أسلوبهُ وفكرهُ . وبراندس كبير الجنود في كثير من معارك الحرية الفكرية وقف ايامهُ الاخيرة على وضع سيرة لهُ كاد يرتمهُ فيها الى مصاف الآلهة . فاذا اغفلنا اكرام فولتير كنا غير جديرين بالحرية التي رفع منارها

على ان هناك وجهاً آخر للنزاع بين الايمان والشك ، بين الفلسفة القديمة والاساليب العلمية الحديثة . ذلك ان كثيراً من المستقدات التي انهارت امام النزعة العلمية الحديثة كان لها كثير مما يشفع بها وفولتير نفسه بقي موحداً مؤمناً حتى انهُ اقام في بلدته كنيسة للصلاة . على ان اتباعه تصدوا الحد الذي بلغهُ زعيمهم ولما مات كانت الفلسفة المادية قد طغت بتيارها وتغلبت على كل فلسفة أخرى تنازعها البقاء حينئذٍ

***

في أواخر القرن السابع عشر ظهر في انكلترا الفيلسوف الانكليزي جون لوك فكان الرأي الاساسي في فلسفته ان الاختبار مصدر المعرفة وان الحواس سبيل الاختبار وان العقل لا يحتوي على أمر لم يصلهُ عن طريق الحواس . فكان قولهُ هذا سبيلاً الى الاستنتاج بأن الاجسام المادية تؤثر في العقل عن طريق الحواس دون غيرها . واننا لا نستطيع ان نعرف شيئاً الا اذا كان جسماً ماديًّا وعليهِ فالفلسفة المادية هي لباب الحق

فرد عليهِ المطران باركلي بقولهِ ان قول لوك يثبت من قبلهِ ان لا وجود مستقل للمادة وانما هي توجد لاننا نشعر بها بحواسنا فاذا انعدمت الحواس انعدمت المادة ففضى برده هذا على المادة والفلسفة المادية . ولم يلبث ان جرى لها دافيد هيوم فكتب رسالته التي عنوانها « الطبيعة البشرية » جارى فيها باركلي في نفي وجود المادة المستقل وتعداهُ فأثبت بالطريقة نفسها ان العقل ليس لهُ وجود مستقل

٥

تصور الحالة الفكرية في ذلك العصر وما أصيبت به من الاضطراب . استل باركلي سيفاً طعن بهِ المادية فجاء هيوم واستلَّ السيف نفسهُ وطعن بهِ العقل غير المادي والروح الخالدة وفي المعركتين فقد العلم كثيراً من مقامهِ وهيبتهِ . في ذلك الحين تناهت الى عمانوئيل الالماني ترجمة مؤلفات هيوم فقرأها ولما انتهى ناجى نفسهُ قائلاً « أتتخلى عن العلم والايمان لهذا التقادة الهدّام ؟ ماذا يجب ان نفعل لانقاذهما ؟ »

وماذا فعل ؟ وضع كتابهُ « نقد العقل المحض » ووضع فلسفتهُ الكمالية التي رفع فيها

شأن التأمل كمصدر من مصادر المعرفة لانهُ تقضي بان الاختبار لا يمكن ان يكون وحدهُ مصدر المعرفة فأمضى الناس الى صوتهِ فرحين لانهم سمعوا فيهِ صوت التقاليد والمعتقدات القديمة التي كانت مرعية الجانب لدى آبائهم واجدادهم ، ولانهم رأوا فيهِ منصرفاً عن العلم البقيني المادي الذي اخذ ينتشر حينئذٍ

***

ومن يشك اقل الشك في اثر كانت ؟ انهُ انقذ العقل والنفس من قبضة المادة ، ودفع بالمانيا كلها الى الاهتمام بالمباحث التي ما وراء الطبيعة فأقبل عليهِ شلر وغوته يتلقيان الحكمة والحق ونقل عنهُ بتهوفن قولهُ « ان عجيبتي الحياة هما القبة الزرقاء رسمها الكواكب والناموس الادبي في نفس الانسان » وتابعهُ فيخت وشلنغ وهيجل وشوبنهور فوضع كل منهم نظاماً فلسفيًّا جديداً يقوم على نزعتهِ الكمالية . وكأن كتابهُ « نقد العقل المحض » كان تمهيداً لآراء شوبنهور ونيتشه وبرغسن ووليم جيمس . وحتى الآن لا يزال نظامهُ الفلسفي قائماً لان العلم الحديث في اشخاص بيرسون وماخ وبوانكاري اثبت ان « الحقيقة » و « المادة » و « الطبيعة » و « نواميسها » كلها مما يستنبطهُ العقل ولا وجود لها الاَّ بوجوده فكأن اكليل النصر عقد لكانت وفلسفتهِ ففازا على المادية والالحاد

ثم جاء داروين فثارت الحرب ثانية

داروين

اننا لا نعلم ما قد يكون لاثر داروين التهائي في تاريخ البشر ولكن لا ريب في انهُ فاتحة عصر جديد في التقدم الفكري . فاذا ثبت انهُ على خطإ فيما ذهب اليهِ انقذه الناس كما كادوا ينقذون ديموقريطس وانكساغورس . واذا ثبت انهُ على صواب تقدمت الاحيال المقبلة اليهِ بالتجلة والاعظام وجعلوا سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتابهُ « اصل الانواع » حدًّا يبدأ عندهُ الفكر الحديث

وماذا فعل داروين ؟ رسم صورة للارض والحياة تختلف عن كل صورة قبلها ، واشار فيها اشارة دقيقة الى كل ما رآه من غير ان يتهجم على معتقد ما . واذا الطبيعة في هذه الصورة معركة حامية الوطيس ، فيها الولادة عَرَض والموت حقيقة ازلية . والحياة سداها ولحمتها الانتخاب الطبيعي القائم على تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وسطح الارض مرتع للاحياء من منظورة وغير منظورة يأكل قويها ضعيفها ويتتكُ داهيها بساذجها وصار للافضال الطبيعية

على اختلافها من زمهرير وزلزال وأعصار وطوفان ووباء وحريق وحرب شأن كبير في هذا الانتخاب ، تبيد بها أجيال وتبقى اجيال اخرى تعيش وتتكاثر الى ان يُقضى عليها او يحل محلها ما هو اصلح منها للبقاء . هذا هو النشوء وهذه هي الطبيعة وهذه هي الحقيقة وهذه هي الارض — بحسب صورة داروين

جاء كوبرنيكس فأثبت ان الارض ذرة سابحة في الفضاء فقضى على المعتقد القديم القائل بانها مركز الكون وموطنٌ قدسي الله . وجاء داروين فأثبت ان الانسان حيوان يتنازع مع سائر الحيوانات السيطرة على الكرة الارضية فقضى ايضاً على المعتقد القديم القائل ان الانسان خلق خلقاً مُستقلاً وانهُ سيد كل المخلوقات

تصور تأثير هذه الفلسفة الجديدة في العقول التي نشأت على الفلسفة الكنائية والمعتقدات الدينية . افتعجب اذاً حين ترى رجال المعتقد القديم يثيرون حرباً ضروساً على الرأي الجديد حتى يبلغ العداء بين العلم والدين مبلغاً من الحدة والشدة لم يبلغهُ بعد غليليو وبرونو ؟ ولكن ألا يقف المتنصرون في هذا المعترك على جثث ضحاياهم يأسفون لتصرم الحين تواقين الى النظام القديم والمعتقد القديم الذي قوضوا اركانهُ !؟

***

اما لك اذن الرجال العشرة الذين اخترناهم

كنفوشيوس — افلاطون — ارسطوطاليس — توما اكيناس — كوبرنيكس — باكون — ڤولتير — كانت — داروين . والى جانبهم افراد لم يسعنا ان ندخلهم معنا مع ان لهم مقاماً لا يقل عن مقام هؤلاء — ديمقريطس — ابيقوروس — مرقس اوريليوس — ابيلارد — غليليو — سبينوزا — ليبنز — شوبنهور — سبنسر — ونيتشه

***

وقد حكم علينا ان لا نذكر احداً من المخترعين لان كثيراً من العقول اشتركت في اخراج مستنبط وأحد من حيز الخيال الى حيز العمل والاتقان . واذا ذكرنا الحركات الاجتماعية الكبيرة في التاريخ وجدنا اننا ضربنا صفحاً عن كثيرين من زعماء الفكر البشري . اين الحركة الفسائية وزعيمتها من ماري ولستنوكرافت الى سوزان انتوني . واين الحركة الاشتراكية من ديوجينس وزينون الى لاسال وماركس ؟ وهذا النقص لا سبيل الى تلافيهِ اذ اية قائمة تستطيع ان تستنفد كنوز الفكر البشري على اختلافها ؟ آه

ارتحال الصديق

مصطفى صادق الرافعي

لاسماعيل مظهر

ان لم يكن في موت الرافعي من أثر الاّ أن تكون فجيعتنا فيه فجيعة العربية والعروبة ، وفجيعة اللغة والادب والفن الاسلوبي الاسمى ، بل وفجيعة الاسلام ، لكفى بموته واعظاً يعظنا ، وذكرى تصاورنا عن تلك القرون الماضيات التي ارتحل فيها من امثاله أقلون امتازوا بما امتاز به من اصقال الطبع وحمية الروح وصفاء القلب ونقاء النفس . ثم أقلّون هم اولئك الذين اتصفوا بما أضفت الطبيعة على الرافعي من صفات اليقظة الحقيقية . فقد كان رحمهُ الله يقظ النفس ، يقظ الروح ، يقظ الفؤاد . فأكسبتهُ يقظة نفسه قوة الايمان . واكسبتهُ يقظة روحه قوة العمل . واكسبتهُ يقظة فؤاده قوة الحرية والصراحة . فقد عاش رحمهُ الله مؤمناً عاملاً حرّاً مستقلاً ما اضناه حب الجاه الكاذب يوماً فأرغمهُ على أن يلوذ بأذيال عظيم او يداجي ابتغاء مرضاة انسان . بل عاش لنفسه ولايمانه ولحريته ، فكان المثل الاعلى في زمان قلت فيه المُثُل وكثرت الشُلاّت

لا بدعا من أمر الرافعي وقد ارتحل عن هذا العالم الفاني ، ان نصفهُ فنخرج منهُ صور نحاول أن نطبعها في عقول اهل هذا الزمان ، فان ما بين الرافعي وبين الكثيرين من اهل هذا الزمان من فروق تجعل طبع صورة صحيحة من شخصيته في عقول الناس امراً عسيراً . فلا أحاول هذا اذن الآن بل أحاول أن أقضي حق صديق رحل ، فأقول فيه ما اعتقد انهُ الحق ، وان ألم بجمل ما تركت صداقته في نفسي من آثار لعلي لا أخطىء اذا قلت انها آثار باقية على قدر ما أشعر في قرارة نفسي من ثقة بأن للرافعي في نفسي آثاراً تتناول نواحي شتى . فلقد كان لذلك الراحل الكريم شخاصة تشبع آثارها في نفسك شيوع الكهرباء في المادة الجامدة فتكسبها معنى جديداً هو معنى القوة لفسرك ، ثم لا تبدّد

كنت أشعر بأني الى جانب الرافعي في رحابة صديق خالص الود زكي القلب ، نقي السريرة ، بعيد عن ان يفكر في ان يستغل صداقتك الا لصداقة ، فان غضب فللصداقة وان عتب فللصداقة وان قطعك فللصداقة ايضاً . فكانت الصداقة عنده معنى يتمثله في شخصك راجياً ان يصدق حدسه فيك ، فتكون الجدير بتمثيل هذا المعنى السامي الذي تجسّز في خياله حتى كاد يتجسّم ،

وأكنّهُ في قلبه حتى كاد يضيق به ، فان تنس عن شيء فمن كل ما يزيدك ثقة بأنهُ صديق

كنت أستشم ريح الايمان الطاهر منبعثاً عن نفسه الطاهرة . ما كان يعنيني من أمر إيمانه من شيء الاّ انهُ ايمان . ايمان ثابت حتى في الاشياء التي كانت تخالف مذهبه في الادب أو مذهبه في الدين ، طالما اعتقد انك ان خالفته في شيء فانما تخالفه فيه عن ايمان يشبه ايمانه فيما يعتقد به . ولمسري ان هذا لاسمى صور الايمان وأرقى مراتب الحرية الصحيحة

أهدى اليّ رحمهُ الله يوماً كتابه « اعجاز القرآن » وكنت أصدر «الصور» ، فعقدت فصلاً في معنى الاعجاز تعليقاً على رأيه فيه ذهبت فيه مذهباً لا يتفق في شيء مع رأيه ، بل ولا يلتقي به في ناحية من النواحي ، بل اني لاذكر أني تشددت بعض الشيء ، وهاجمتهُ في مواطن . وكنت اذ ذاك حديث العلاقة بالرافعي ، وقد تبادر اليّ ان ما اكثر انما يفقدني علاقتي برجل اعتقد انهُ عظيم . ولكن الصديق الراحل رحمهُ الله ، تلقى ما كتبت رحب الصدر راضي النفس ، وتلقاني بذلك البشر الطافح من أساريره الواضحة المعاني قائلاً : ان البئر التي انتزحت منها أفكارك في الاعجاز لن اشرب منها . ولكن حسبك انك انتزحت منها مؤمناً بصلاحية مائها . ومرّت الايام فلا القاه الاّ استعجلني ترجمة كتاب عن عَلَم من اعلام اوربا ، مختاراً في الاكثر الكتب التي تدعو الى حرية الفكر والى نشر المبادىء العلمية الحديثة كأنهُ كان يعتقد ان الايمان الصحيح لا يلبثني ان يقف عزة في سبيل الفكر أيًّا كان متجهه ومرماه

كان للرافعي لون من الادب ، لا اختار ان احلل الصورة التي اطبعت منهُ في نفسي قبل ان أعهد لذلك بشهادة علم من اعلام زماننا هذا . فقد كتب استاذنا الكبير احمد لطفي السيد باشا فصلاً في الجريدة ، عندما اصدر الرافعي كتابهُ « تاريخ آداب العرب » سنة ١٩١٢ جاء فيه :

« قرأنا هذا الجزء . فأما نحوه فعلى طابع الباكورة في بابه . يدل على ان المؤلف قد مَلَك موضوعهُ ملكاً تامًّا ، واخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفاً حسناً . وليس من السهل ان تجتمع لهُ الاغراض التي بسطها في هذا الجزء الاول ، الاّ بعد درس طويل وتدبر عميق ، لم يتأخر هو عن وصفه في مقدمة كتابه . واما اسلوب الرافعي في كتابته فانهُ سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا عن العرب المتأخرين . فكأني وانا أقرؤه أقرأ من قلم المبرّد في استعمال المساواة والباس المعاني الفاظاً سابغة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ، ولا قصيرة عن مداها تودي ببعض اجزائها . وان هذا الجزء بل هذه المقدمة ، تدل على انّ المؤلف سيخرج لنا من تاريخ آداب العرب ما يجمع شملها بعد التشتت في كتب متعددة ، ويكون بذلك قد أدّى للأمة أعظم خدمة يؤديها اشد الادباء غيرة على الادب » . . . . . اذن فقد لمح استاذنا الكبير في الرافعي ما لمح فيه كل قارئيه . لمح فيه سلامة الاسلوب من الشوائب الاعجمية ، ولمح فيه

ايمانه بآداب العرب، تلك التي أرصد نفسه لخدمتها، خدمة لن يؤديها الا أشد الادباء غيرة على الأدب

كان ذلك في عصر لم تعزنا فيه بعد الاساليب التي نابتها شوائب الأعجمية (لا رحمها الله) ولم يصف ايماننا بآداب العرب ، ولم نتبدل من ثقافتنا التقليدية ثقافة دخيلة مزجرجة كالزئبق مرنحة كالجدار الذي يريد ان ينقض ، وكان الرافعي يحاول ان يقيمه

كان ذلك في عصر اعتقد فيه الادباء ان العربية وآدابها اصل تقليدي ، ما ينبغي الا ان يكون اساس الادب الحديث، وان الادب الغربي ليس الا نقاحاً يغذي ذلك الاصل . لم نكن قد اعتقدنا بعد ، عن خطإ واسراف ، ان أدب العرب ينبغي ان يتخذ اساساً وان اللغة العربية ليست الا اداة التعبير عنه . ولم نكن قد اسبغنا هذا الاسراف تجديداً ، ولم نكن أضفينا على الذين يحافظون على الاسلوب العربي القسيم ويحاذرون ان يشوب هذا الاسلوب شيء من شوائب الاعجمية ، نقب المقلدين (الكلاسيك) لا لنكرم فيهم هذه النزعة ، وانما لنتخذها سبباً للسخرية منهم والاستهزاء بهم ؛ ولم نكن نابتة الأدباء اذ ذاك قد تردوا في «الاستراب» حتى ابتتت بهم الصلة او كادت ، بأدب أوائلهم وأساليبهم ، ولم نكن قد فتنا بعد ، وكفى بالفتنة صدعاً نخشى ان نعجز عن رأبه . كان ذلك في زمان قاد الادب فيه عقول رشيدة متزنة ، وكان الادب بمعزل عن السياسة وعن حب التظاهر الكاذب وعن حب المادة حباً أفقد الادب في عصرنا صفة الاستقلال عن الارضيات السفلى . كان ذلك في عصر محمد الرافعي لان الرافعي حاول ان يحيي موات الاساليب المتقادمة وان يجمع ما تشتت من آداب العرب . كان ذلك في عصر لم يراد باؤه في احياء لفظة عربية غريبة الا انتصاراً للادب وللعربية . كان ذلك في عصر قال فيه استاذنا احمد لطفي السيد باشا مامعناه : لئن مجد الانجليز شكسبير لانه احيى من موات اللغة الانجليزية آلافاً من الالفاظ المهجورة فالأجدر بنا ونحن في مستهل حياة جديدة الا نكون أقل منهم تمجيداً لمن يحيي من موات لغتنا ما أمات الاغفال . هنالك في ذلك العهد عرف أدب الرافعي ومجده . فلما أظلنا عصر الانتحال ، انتحال الاساليب الغريبة وانتحال الآداب الغربية ، وطفت الفتنة ، كانح أدب الرافعي مدّ الفتنة الجديدة كفاحاً سوف يجد أثره في تاريخ عصرنا هذا . لهذا كان الرافعي صاحب مذهب في الادب هو من حيث الاسلوب واليان المذهب الذي ينبغي ان يسترشد به نابتة الادباء في هذا العصر ، ليكون أداتهم السليمة في التعبير عن القسم الجديد . ولا شك عندي في ان الادب الجديد ان اتخذ من الاساليب السليمة اداة للتعبير ، لاستطاع ان يؤدي رسالة جديدة للعربية ، ما يحول دون اداتها الآن الا عجمة الاساليب وقد خلت من جمال السبك وقوة البيان فشوهت من جمال ما نقلنا عن الغرب ، وصدت نفس الاديب عن تذوق ما فيها من جمال الفكر

أجدّد للرافعي وقد ارتحل ، بهذه الكلمات عهد الوفاء ، جزاء ما غمرنا به في حياته من صداقة خالصة وايمان ثابت وحب ما تزول ذكراه

كلمات الرافعي

— ١ —

« ولا يذهبنَّ عنك الفرق بين رجل حافظ والكتاب احفظ منهُ وهو من الكتاب خرج والى الكتاب يرجع ، وبين رجل يكون ترجماناً من تراجمة العقل الانساني المعني بتأويل الكون وتفسيره والطائر بالالفاظ الانسانية على اجنحة العلوم والفنون والمخترعات والمعاني ، فان ذاك ينقل عن الواضع ثم لا يتعدى هذه المنزلة ولا يتجاوز متون الالفاظ وأما هذا فلا يزال يضطرب مع الالفاظ ومعانيها يجاذبها ويدافعها ثم لا يزال يضع يده في النسيج اللغوي يسدي ويلحم فهو مدفوع الى المسالك الدقيقة من مذاهب الوضع وطرقه وأساليب الاخذ والانتزاع ، وهو مقيد أبداً بخاص المعنى وخاص اللفظ على التعيين والتحديد لا يجد فسحة من ضيقين ، فان لم يكن مثل هذا في منزلة الواضع فهو في المنزلة بعدهُ ولا ريب »

[من مقالة «حروف اللغوي» في مقتطف يناير ١٩٣٨]

— ٢ —

« فتحنا القبر وانزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة ، ووقفتُ هناك بل وقف التراب المتكلم يعقل عن التراب الصامت ويعرف منهُ ان الصبر على ما يمتد محدود بلحظة ، وان القوة على ما تبلغ محدودة بخمود ، وان النايات على ما تتسع محدودة باقطاع ، وحتى الفارات الخمس محدودة بقبر . . . . . يا عجباً ! القبور مأهولة بملء الدنيا وليس فيها أحد . أية ذرة من التراب هي التي كانت لمعةً ورعداً وايها كانت بؤساً وشقاء وأيها التي كانت حبًّا ورحمة وأيها كانت بغضاً وموجدة ؟

« سألت القبر اين المال والمتاع واين الجمال والسحر واين الصحة والقوة واين المرض والضعف واين القدرة والجبروت واين الخنوع والذلة ؟ قال كل هذه صور فكرية لا تعبر الى هنا لانها لا تؤخذ من هنا . فلو انهم اخذوا هدوء القبر لدنياهم وسلامهُ لمزاعمهم وسكونهُ لتبهم لسخروا الموت فيما سخروه من نواميس الكون

« ان هؤلاء الاحياء يحملون في ذواتهم معانيهم الميتة وكان يجب أن تُدفن وتطهر

اقسمهم منها فمعنى ما في الانسانية من شر هو معنى ما في الناس من تفنن الطباع والاخلاق

« يكذب بعضهم على اخيه فيعطيه حيفة حقيقة ميتة، ويكيد بعضهم لبعض فيتطاعمون من حيف الحوادث المسمومة، ويمكر الخائن فاذا حيفة عمل صالح قد مات، فكل مضغة تبتلعها من حق اخيك الحي كقصعة تقتلعها من لحمه وهو ميت لا تعطيك الا حيفة، ثم انت من بعدُ لست بها انساناً ولكنك وحش.... بل وحش دنيء ليست لهُ فضيلة الوحشية التي من قوة تأبى أن تمس لحوم الموتى »

[من مقالة : « في وحي الروح » مقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٩]

— ٣ —

« سلاماً يا فاتح الجو المصري . لقد اجالت الايام قداحها فخرجت القرعة عليك وأوحى اليك الواجب آية : بسم الله مصعدها ومجراها

« وطرت فاذا انت طائر فوق الحاضر لتجيئنا من جانب المستقبل

« وهبطت علينا كأنك في بريد السماء كتاب مجد حي للوطنية الظافرة

« بل كتاب قصة رائعة الفنها الصواصف من قين ثورة الجو وثورة نفسك المصرية. وحكتها من صوتين زفيف الطيارة وصرخة ضميرك الوطني. وجعلتها فصلين: انت والمجهول

« ألا حسبك مجداً ان يحيا الشعب كله بضعة ايام في قصتك . . . . . .

« لقد انفلت من رذيلة الخوف وتركتها في التراب موطىء القدم . وقلت لها ويحك لقد آن للشباب المصري فهو مغامس في ماء الصواعق (كناية عن السحاب) متطوح في اللجة الازلية التي تغوص فيها الكواكب . يطير بروح الشرارة ، ويهبط بروح التيه ، ويلجم الجو ويسرجهُ ، ويتعلم كيف يشوي عدوهُ في عين الشمس

« وكنت بطلاً مغامراً فخطوت في طريق الملائكة بهذه الفضيلة ، وحملك الجو ولو انك خفت وكنت على جناحي جبريل لا على طيارة ، لخاف جبريل على جناحيه من خطة هذا المعنى الترابي . . . .

« ولعلك رسول النعيم العابس لهذا الجو المصري الذي يضحك دائماً ضحكة الفيلسوف الساخر في حين اصبحت الحياة قوة لا فلسفة

« ولعلك تفسير مضحك لعقيدتنا المغلوطة في القضاء والقدر، ان القضاء ان تقدم بلا خوف ، وان القدر ان تتق بلا مبالاة

[من مقالة « فاتح الجو المصري » في مقتطف مارس ١٩٣٠]

المرأة في مصر

على مبر المصور

عن محاضرة للسيرة ايمي مبر

نقلها عادل الغضبان

يخيل اليّ ان تاريخ المرأة المصرية هو من أجل التواريخ التي وصلت الينا فيض بشتى أسباب الشجاعة والثقة . ففي مصر لم تكن المرأة موضع استعباد منظم على نقيض ما كانت عليه في بعض بلاد هذا الشرق الجميل الذي كثيراً ما أتهم انهُ يسيء المرأة السعودية ولئن اضطهدت المرأة احياناً في مصر إنّ ذلك كان عرضاً بثت عليه بواعث أجنبية

ليس تاريخ الامم الاّ مجموعة اخلاق كل أمة وعاداتها فالمصري ذكي بطبعه شريف في معاملته نشيط في عمله لا يحفل بما بين الرجل والمرأة من فوارق جسمانية ولا يتخذها ذريعة لاحتقار شريكة حياته وانهُ لعلى حق . ونحن ان شئنا معرفة هذه الفوارق فهاك ما تنص عليه الموسوعة الطبية قالت : الرجل عادة اطول قامة من المرأة وهيكله العظمي أثقل وزناً وقلبه أكبر حجماً ورئتاه أقدر عملاً ودمه اغنى تلاقيف ودمه يختلف عن دمها في مقداره وتركيبه وعلى الجملة فالرجل اقوى من المرأة . ونحن على اتفاق في هذا مع القواعد الطبية ولا اخالكنّ يا حضرات الآنسات الاّ موافقات على ان ما تصبو اليه المرأة والنادر لا يقاس عليه ليس التشبه بالرجل في ساحات النزال او حلقات الملاكمة او ميادين الفروسية وعلى ان الفوارق بينها وبين الرجل قد توجد بين الرجل والرجل دون ان يكون لها دلالة معلومة فكم رأينا من رجال ضعاف البنية مشوّهي الخلق هم في طليعة النوابغ العظام

لما منّ الله شريعة هذا الكون لم يجعل هذه الفوارق بين الرجل والمرأة أداة فوضى بل أداة توازن طبيعي واجتماعي ولما كان الرجل والمرأة قد خلقا ليتم الواحد الآخر فقد وجب ان يتوافرا على كل تعاون بينهما

اذا عرض الباحث لجميع حلقات التاريخ المصري وجد المرأة دائماً ابداً الى جانب زوجها تشاركه في حياته الى اوسع حدود هذه المشاركة ولقد كان للمرأة المصرية في الزمن القديم

شأن كبير كعامل اجتماعي حتى ان اولادها كانوا ينتسبون اليها وحتى كان لها في الاسر المالكة سلطة التحريم والتحليل وهل من شهادة اعظم أثراً وأقوى دلالة على مجد المرأة من تلك الصور البديعة التي نقشت على نواويس الفراعنة والتي تدل بجلاء ووضوح على الشرف الذي كانت تحف به . ففي معظم هذه النقوش مثلت المرأة جالسة الى جانب زوجها وقد زانتها جمالاً بحالي الزينة وأنواع الحلي وخلال الاكاليل وربيق الجواهر وضمخات الورد وهي تتقبل من اولادها ورعاياها شارات الولاء وتشترك في تقديم الذبائح والقرابين للآلهة وتقوم بالطقوس الدينية التي ترفع للآلهات حتى اذا كانت الاسرة الرابعة قامت المرأة بالشعائر الدينية التي ترفع للآلهة .

من مبنا ايتها الآلسات لم تسحرها صورة الملكة تيتي فان سحرها في قسامها وزينتها لا كفاء له وليست زوجة أمنوفيس الرابع هي الوحيدة في ذلك السحر والتأثير فحوالي سنة ٢٤٧٠ قبل المسيح كانت تيتوريس هي الملكة على مصر ثم ملكت في سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح سكيموفريس خلفة أخاها امنمحت الرابع ومنذ سنة ١٤٩٣ الى سنة ١٤٨٠ قبل المسيح كانت الحاكمة على مصر حتشبسوت يشاركها في الحكم تحوتميس الثالث زوجها وأخوها ومما يؤثر عن هذه الفرعونة الجليلة الزكية انها كانت تميل الى تشجيع المتفنين والعلماء فضلاً عما اخذت به نفسها من تحسين معايش رعاياها ويقال ان ملوكة بنت زبك هي التي ملكت مصر بعد تلك الحادثة المشهورة من غرق المصريين في البحر الاحمر وأعتقد انكن تذكرن جيداً فصول التوراة التي تخبرنا بان فرعون مصر ووزراءه وجيشه هلكوا في البحر وهم يطاردون البرانيين . وقيل ان النساء اجتمعن وملكن عليهن من بلغت منها ١٦٠ سنة فكانت ملوكة . واول عمل أتت به هذه العجوز انها أمرت بتشييد سور يمتد من شمال البلاد الى جنوبها اي من العريش الى اصوان تماشيه الأقنية وتقوم به مصالح للذخيرة وقد علقت أجراس الخطر تدق عند اول إشارة وماتت ملوكة بنت زبك بعد عشرين سنة من ملكها وقد اخذ الحزن على موتها من رعاياها كل مأخذ فبكوها سنة من البكاء

اما من تشرفها الاساطير باسم بدور المصرية فيغلب على ظني انها لم تكن الا ساحرة اكتسبت نفوذها من صداقة المجوس لها . واما زوجة فوطيفار التي شغفت بيوسف فيعرفها مؤرخو العرب باسم زليخة وهي بنت ملك من ملوك الرعاة تزوجها كثير جليس فرعون حتى كانت ريتوقريت زوجة الكاهن الاكبر پيلوزيريس وهو أعظم كهنة طود الحمة شأناً وكلهم راقدون في مدافن هرموبوليس وهو الذي وصف زوجته فقال : « حبيبته هي ملكة السحر عذبة اللفظ نافذة المشورة كل ما عرض على شفتيها يشبه أعمال « ماعت » هي المرأة الكاملة الوافرة النعم على بلدها المبسوطة اليد الفائقة الخير المرددة ما يستحب الجامحة شفتاها عن المنكر الكبيرة في حبها ».

اما كليوپطرة فاذا لم يخني المقال فانها اول طبعة للمرأة المشئومة في التاريخ ، للمرأة التي تمثلها خير تمثيل

على لوحة الخياطة جريتا جاربو ومارلين ديتريش وهي التي لا تترك لمن أحبها مخرجاً سوى الموت على انهُ يجب أن لا ينسى الناس أشياءهم فملكة مصر اليونانية الرومانية كان يشغل قلبها حب وطنها وهو الحب الذي لم يملأ أي حب آخر وليس أحق من الآنسة دوريه تورن أو سليم بك حسن أو سامي جيرة أولئك العلماء الاعلام في الآثار المصرية ان تدعوهم الى محاضر تكلّم عن أولئك النساء العجيبات اللواتي زخر بهنَّ تاريخ مصر القديم ووصل الينا محبباً عزيزاً ولقد هيّأت الى ازدهار حرية المرأة وشخصيتها قرون عدّة من الحضارة وأي حضارة تهي الآن منهة الخاطر ترغب في حياة روحية كاملة تنتظرها وتستحقها وهي التي عبر عنها يسوع الناصري وفضلها على مشاغل الدنيا يوم زار مرتا ومريم زيارة حفّها البساطة ووسمت احتفال أعظم هيئة قدسية كانت فيها أخت مرثا المثل الحيّ على الحياة الروحية وتبعها في ذلك خليفات قرنيني وهتشبسوت وكليوبطرة فأجبن دعاء المسيح وملأن قصر الحياة قداسة. وحسبنا أن نشير الى بعضهن من مثل القديسة كاترين الجميلة العالمة التي استشهدت حبًّا للدين الجديد والقديسة سانكليتيك الشهيدة والقديسة تيكلا رئيسة دير يضم على ٦٠ راهبة في الطيبه والقديسة بازيليس زوجة القديس جوليان والقديسة دوروثي العذراء بالاسكندرية والقديسة كومتا الشهيدة والقديسة أبولوني والقديسة افروزين والقديسة أسطاسي والقديسة افرازي والقديسة مريم المصرية والقديسة تومائيد الشهيدة والقديسة تيودورا والقديسة تيودوزي والقديسة مور زوجة القديس تيوتاؤس والقديسة دميانة التي دفنت مع الاربعين عذراء اللواتي حكم عليهنَّ معها وضربت أعناقهنَّ في ضواحي بلقاس وحيثما وجد الهدوء والسكينة شيدت الأديرة للرجال والنساء على السواء فازدهرت المسيحية في أرض القراعنة وكان ازدهار الكنيسة فيها من أسباب مجدها حتى جاء الاسلام واستنقذ العرب وتقلوه الى مصر مشفوعاً بعاداتهم وتقاليدهم ومنها هذا الحجاب الذي أصبح للمرأة رمزاً على حياة منفردة منبتة عن حياة الرجل فأخذ المصريون عنهم لأول وهلة كل ما جاؤوا به شأنهم في ذلك شأن جميع البلاد التي فتحها المسلمون الا انهم كلما ازدادوا تغلغلاً بروح الدين بذوا التقاليد الاجنبية ورجعوا الى تقاليدهم التي ورثوها عن الاجداد

وهنا أيضاً تمتاز المرأة المصرية فهذه السيدة نفيسة التي حجّت الى مكة ثلاثين مرة وتوفيت وعاشت في تقشف وزهد كان مدعاة عجب معاصريها الأولى عرفوا قداستها فجاؤوا اليها من كل حدب وصوب يلتمسون بركتها حتى ان الامام الشافعي نفسه زارها وطلب اليها وهو متصرف أن تصلي من أجله ولما أدركتهُ الوفاة دعيت السيدة نفيسة الى الصلاة على جثمانه والسيدة نفيسة دفنت في منزلها في درب السباع سنة ٢٠٨ هجرية أما ابنة أختها سكينة فقد طلبت على غرار حافضيلة وهدى حتى أن جماعة المؤمنين لما توفاها الله صمموا على أن يدفنوها بالقرب من خالها وقد فعلوا

وهذه سكينة المشغفة بالأدب المتلقة دارها بالادباء والمفتنين في عصرها وهم الالى سحر هم دلالها وعفافها وهفت فيهم روح الوحي والالهام فتسابقوا في مضمار البلاغة وكانت هي تستمع اليهم من وراء ستار

كذلك كانت عائشة النبوية بنت جعفر الصادق التي توفيت سنة ١٤٥ هجرية من قديمات الاسلام يحج الى قبرها في الجامع الذي شيد على اسمها في سفح القلعة كثير من الناس

وكانت ست الملك بنت العزيز بالله مشهورة بالذكاء والحكمة حتى ان الشعب المصري لما ثار في وجه اخيها الحاكم بأمر الله توجه اليها لانتخاب ملك آخر فأشارت بالملك الشاب علي ابن الحاكم وكان عمره اذ ذاك اربعة عشر عاماً فملكته وحكمت باسمه مدة اربع سنوات استطاعت في خلالها ان تجري العدل في عمراه وان تكتسب بذلك حب مواطنيها وماتت سنة ٤١٥ هجرية

من هؤلاء النساء ايضاً كذلك حدقة الجارية في قصر الملك الناصر ابن قلاوون وكانت على جانب كبير من الذكاء وحب الخير فقد بنت عدداً كبيراً من التكايا والسبل والمدارس فضلاً عن جامع في الخليج الذي دفنت فيه سنة ٧٣٧ هجرية. وبركة خاوند ام السلطان الاشرف وكانت تقية سخية يلجأ اليها كل بائس ويعتمد عليها كل عليل وقد بنت في سنة ٧٧٠ هجرية عند عودتها من الحج باب زويلة في سفح القلعة وهي المدرسة الكبيرة التي يزار فيها قبرها

اما شجرة الدر زوجة السلطان صلاح الدين فقد يلزمني محاضرة برأسها للتحدث عنها وعن ملكها على مصر الاسلامية مدة ثمانين يوماً فقد كانت سيدة جبلة الملامح ذكية الفؤاد سياسية ثاقبة النظر وطنية تقدح مجالي حبها في القلوب الشرر الذي تقدحه في السماء الشهب الثاقبة

على اننا اذا وجهنا النظر الى القريب من العصور رأينا زينب هانم افندي أصغر بنات محمد علي تبني اكثر من ١٤ جامعاً وتنشىء للفقراء والراقصي الذكر الأوقاف والتكايا وها هي عائشة التيمورية ابنة اسمعيل باشا تيمور الكاتبة الشاعرة التي عنى والدها بان يهيىء لها ثقافة عالية وتربية رفيعة فنشأت شاعرة مجيدة لها آثار حسان في العربية والفارسية والتركية وبينما كان العالم الادبي يترقب منها المزيد اذا بالقدر القاسي يختسها في ابنتها توحيدة ولما تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فجزعت عليها امها حزناً شديداً مدة سبع سنوات تجردت في خلالها من كل شيء الا من بكائها ونواحها حتى قرحت اجفانها ودميت عيناها ولولا لطف الله والطب لذهب بصرها واول من قرظ ديوان عائشة شاعرة اخرى هي وردة اليازجي الشاعرة الرقيقة سليلة الاسرة اليازجية التي تعهدت اللغة العربية وعملت على نشرها وازدهارها

لئن ذكرت لكن طائفة من الاسماء يستحق كل واحد منها درساً مستفيضاً اني لم اقصد الا ان اتمكن ان مصر في كل عصر وفي كل حالة لم تخل من نساء شيرفن بلادهن ولولا كثرتهن لتعددت لكن اسماءهن فتهن ينشأن سلسلة بطلات متصلة الحلقات منذ فجر التاريخ قد جددت

فيها الحماسة التديمة التي نراها اليوم قد انبعثت في الالباب الاولية الحديثة في اولئك الصناديد الذين نقلوا اللهب الرمزي من آتينه الى برلين كما تناقلت المرأة في مختلف العصور رسالتها العالية التي تتناقلها نحن اليوم متبعات مبادئها القديمة وعمليات شأن أنوثتها الكاملة

المعروف ان الروح تتغلب دائماً على المادة فالقوة الوحشية ان تغلبت على القوى الادبية والفكرية فلوقت قصير والمرأة في هذا الميدان كفء للرجل فهل عليها ان تحذو حذو الرجل في توسيع مداركها والاهتمام بالثقافة والعمل ؟ قد يختشى في اوربا وامريكا ان يبعث لشاط المرأة الى تنافس الجنسين. اما علماء الاجتماع في مصر فلا نخالهم يعبأون بهذا الامر فان مناخ مصر مدعاة الى الكسل والى تجنب كل مجازفة او جهد وهذا ما على المرأة المصرية ان تحاربه وتتغلب عليه

النفس مخلوق حي يحتاج كالجسم الى التغذية والتمرين والنمو وليس الواجب مقتصراً على لزوم حالة راهنة بل على الرفع والتقدم . فعلى المرأة ان ترهف احساسها وتقوي ارادتها وتربي ذكاءها وتعود الثابرة دون اخلال بأنوثتها. ان هذا العصر كثير المطالب فيجب ان تتفق مطامح المرأة وهذه المطالب وكل من لا تستسلم الا الى الدلال والكسل فبشرها بمثل ذريع فالمرأة العصرية يجب ان تأنف من ان تكون حيواناً او اداة عبث وهي التي تدعي بمساواتها بالرجل بل عليها ان تكون شريكة الرجل تشاركه في السراء والضراء وتطمح الى نفس الواجبات والحقوق المخولة له وهذا ما يشيد صرح سعادتها وليست سعادتها الا ان تعيش صحيحة الفكر والجسم ساعية قدماً في ميدان الحياة العقلية مدخرة ما استطاعت اليه من ثروة فكرية وأدبية

ليس بخاف عليكن يا حضرات الآنسات اثر السيادة التركية في مصر الحديثة وما كان للعلائق الودية بين كبار البلدين من توطيد ذلك الاثر حتى كانت العادة عند امرائنا وامرائنا ان يقضوا فصلاً طويلاً من السنة في بلاط الخليفة السلطان وهذا ما يفسر لنا لماذا قضت الاميرة فاطمة فاضل عهد شبابها الاول في القسطنطينية فتألق جمالها وسطع ذكاؤها حتى شغف بها الامير مراد ابن اخي السلطان عبد العزيز وود لو يتزوج منها لولا ان هذا الزواج كان مخالفاً لارادة الباب العالي فزوجها من خليل باشا شريف وارسله في بعثة خاصة الى اوربا فلفتت الاميرة اليها الانظار واختلف الى مجلسها كبار القوم للمجيئين بها وكان من رواد بهوها بسمارك ودزرائيلي وناپليون . ولما عادت الى مصر لتسكن بها سبقتها اليها شهرتها فأحاطها الخديو عباس حلمي ووزراؤه وعثلو الدول الاجنبية في مصر وكل عظيم في عالم الفكر والفن والسياسة بفيض مظاهر الاعجاب والاحترام . اما هي فكانت تختلط بجماعة خاصة من اصدقائها المخلصين الذين وهبتهم ثقتها وقدروا فيها المرأة الوطنية وكان من بين هؤلاء المصلح الكبير الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ونخبي باشا زغلول الرجل القانوني والشيخ عبد الكريم سلمان وعلي

فري بك المستشار بالاستئناف المختلط وفارس نمر باشا الذي أدلى اليّ باخبار الاميرة ناظلي وحسن حازم باشا كبير التشريفات في البلاط ولاسيما قاسم أمين وسعد زغلول في هذه الدائرة من الاصدقاء الذين احاطوا تلك السيدة العظيمة بشتى معارفهم تحت الفكرة النسوية وما عتمت ان آتت ثمارها فنشر قاسم امين كتابين «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة» وهما الكتابان اللذان عالج فيهما ترقي المرأة المصرية فلم يستقبلا بحماسة والغريب ان النساء انفسهن لم يكنّ اقلّ عداء للمؤلف من غيرهن ولكن امثال هؤلاء يجب ألا يحفل بهن على أن هذين الكتابين ما لبثا ان عني بهما نخبة رجال مصر حتى ممن كان بادأهما العداء من مثل طلعت حرب باشا

اما الاميرة ناظلي فقد استطاعت ان تذوق قبل وفاتها ثمر ما ساعدت على غرسه من انصاف المرأة في تلك الطبقة العالية التي بسطت فيها ظلال تلك الشجرة في تلك الطبقة التي كثيراً ما عُرفت الأميرة واطلقت عليها لقب الاميرة الثرية الاطوار ومع ذلك فقد كانت حريتها مثالاً يؤثر فطرحت بنات مصطفى باشا فهمي الحجاب وحاولت ان تتأثر بهن زوجة سرهنك باشا وزوجة الدكتور محمود صدقي باشا ولكن الذي بعث على اعتناق هذه الحرية الحديثة هو سعد زغلول باشا لما دعا زوجته الى مشاطرته حياته السياسية فحمل ما كان في الحجبان وحف سعداً جماعة الاعوان والانصار فتفخروا في بوته وافتتحت أبهاء الاسر ولا سيما بيو حرم محمود بك رياض وبيو حرم سلطان باشا وفيه شوهدت تلك الفتاة الجميلة ذات العينين السوداوين هدى سلطان التي كتب لها ان تضطلع بالارث الذي تركتهُ لها الاميرة ناظلي

ولعل السيدة هدى هانم شعراوي تنشر يوماً مذكراتها عن ذلك العهد عهد الشباب الذي هيأها لهذه المهمة العظيمة التي تضطلع بها اليوم والمعروف انها زفت في الثالثة عشرة من عمرها الى ذلك الرجل العظيم والوطني الهمام محمد شعراوي باشا. ومما لاشك فيه ان الحياة مع رجل ذكي حكيم قد صقلت نفسها فما لبثت ان ظهرت مواهبها دون الجنوح الى الزهو والخيلاء والانانية وهي السرية الثرية بل تطلعت دائماً الى المثال الاعلى الى المتع الفكرية فدرست وتثقفت وشغفت بالادب والفن ولستا ندري اتهذبت هدى هانم من محيطها النسوي ام ان حنانها وعطفها على قضية المرأة لا يقدح شرره الا عند رؤيتها كآبة غيرها من النساء . فبعد موت زوجها تخصصت بتحرير المرأة فألفت لذلك لجنة اصلية هي الاتحاد النسائي وتفرع منهُ في السنوات الاخيرة لجنة فرعية باسم فتيات الاتحاد النسائي ثم شيدت مدرسة وافتتحت مشغلاً وستوصفاً وبصنماً للخزف واعتمت ان تزيد يوماً فيوماً عدد جيشها النسائي الذي يسعى جنوده الى ذلك المثال الاعلى ولسنا الآن أهلاً لان نحكم على ما قامت به حرم شعراوي باشا في تاريخ المرأة المصرية فما يزال العهد حديثاً والدوائر التي أحاطت بأعمالها خفية عنا على أن المعروف المشهور هو فضل هذه السيدة الجليلة الذي يجل عن التعداد والحصر

ها هي المرأة في المعترك تضيق كل ما تحدوها عليه أنوثتها فالمدارس قد غصت بالطالبات المتعطشات الى العلم والعمل وسنسمع يوماً صدى نجاح بعضهن يدوي في أذن الفضاء لحذار أن ننسى الاخريات اللواتي وان كان الدهر لم يسعفهن بإباحة الصيت الا أنهن جديرات بالشكر لانهن الضحايا التي قدمت على مذبح سعادة اخواتهن . لقد اشتهرت المرأة المصرية بميلها الى الفنون وعدد من زاول صناعة الادب كبير جداً كالنجوم اللامعات في الافق وها نحن نذكر اشهرهن :

ملك ناصف كانت في طليعة العدد القليل من الفتيات اللاتي قبلن في مدارس الحكومة فلمست بين زميلاتها وتوسمت فيها آمال جسام ولكن الموت اختطفها زهرة نضرة بعد ان تزوجها عبد الستار بك الباسل ونشرت كتابها الذي وضعته باسم باحثة البادية . وأما اشهر من كتب باللغة العربية فهي النابغة مي زيادة التي خطت وكتبت بخمس لغات او ست ولكنها اجادت باللغة العربية وأشغلت ذكاءها الثاقب بالعلم والادب فأخرجت عدة كتب في موضوعات مختلفة واحد منها تناولت البحث فيه عن « ملك ناصف » فضلاً عما ينجم من مقالات في الجرائد السيارة وعما القته من محاضرات في الفلسفة والتاريخ والادب في اسلوب خاص بها هو الشعر المنثور . ومما لاشك فيه أن مي زيادة تعد في طليعة شهيرات الشرق فلقد جلبها الله بذكاء متوقد استخدمته في مسائل مختلفة سمواً وهي المتعطشة الى العلم والمعرفة الى ترفيع فكرها وعاطفتها وهي المعروفة كذلك بطيبة القلب وثقافتها النادرة . وهي وان كانت من أصل لبناني الا انها عاشت كل حياتها في مصر فهي تنسب الى مصر ولبنان على السواء . ولقد بهرت وهي في ريعان الصبا كل من حف حولها وما شرعت تكتب حتى أتتها الشهرة متقادة اليها فتكثر زوارها وتحتفل مجلسها الادبي الذي كان الحديث يتناول فيه بعدة لغات ولا ننسى ان مركز مصر الجغرافي يجعل منها بلداً مختلط السكان فلا عجب اذا رأينا كثيراً من المصريين والمصريات يجدن في التعبير بغير العربية او الفرنسية لغة السياسة التي هي أداة الرقة والاناقة (١)

ارجو اني توصلت الى اقناعكن ان المرأة المصرية وبنات لساء الشرق هي التي امتازت بالحكمة حتى في اشد ايامها حلكة وشقاء ليس المقصود بالحكمة هذه التي اظهرتها بسباع هذه المحاضرة لم يحتكن الصبر فيها بل المقصود بها مناحي الحكمة الباسرة التي تولدها مدارکنا مجتمعة فيقودها او يكبح جماحها العقل القوي الذي يجنبنا كل تفريط وافراط والذي يحدونا على ان لا نحتقر شرائط الطبيعة التي جعلت من المرأة شريكة للرجل تفيض بالدعة والايناس . وفي الختام نقدم لكل من بطلات التاريخ القديم والحديث فرائض الاجلال واحترامنا فانهن جميعاً اشتركن في تحقيق سعادة المرأة المصرية في هذا العصر . انا بعثنا اليهن اعجاباً صادراً من اعماق القلب ولئن نحول الى شكر واعتراف بالجميل فما احقهن به

(١) المقتطف : بعد ذكر باحثة البادية وهي توسطت مدام شيبر في ذكر طائفة كبيرة من المشتغلات بالآداب والفنون فلم نأت بما تقدم لضيق المقام

شاعر المنى ! . . .

ملكتَ دنيا المنى والحسنَ يا شاعرْ !
كلُّ المفاتن تبغي الهائم الشاعرْ
فهو الوحيد لروح الحُسن بالسابرْ (١)
يُبدي المفاتن لحناً للشعر آسرْ
يصوّر الحسنَ حيّاً ملهماً ساحرْ
صدّاح للحُسن يُذكي نفحةَ الخاطرْ
وأنت بالحسن تحيا أيُّها الشاعرْ
تقضي الليالي من فرط الجوى ساهرْ
تُنسّق القلبَ عِقداً دُرُّه باهرْ
وتُسمع الروض لحن البلبل الساحرْ !
يهفو لك الزهر يشكو حبَّهُ الثائرْ
مُستجدياً قبلةً من ثغرك الفاترْ !
وأنت تحنو برفق الشدق الآثرْ
مُقبّلاً منهُ خدًّا في اللظى سادرْ
فأنتَ أنت المنى للحُسن يا قادرْ
والحُسن منك مُناك المُلهم الخاطرْ
ملكتَ دنيا المنى والحسنَ يا شاعرْ !

القاهرة — محمد فهمي

(١) سبر غور الشيء : عرف قراره والمراد هنا تغلغل سره

الفيتامينات واثرها

في الصحة والمرض والنمو

أمراض ينشأ منها الفيتامين وينشفيها

بعد بكتشفات ماكوم التي تقدم ذكرها ، فتح باب مشكلة الفيتامينات على مصراعيه . وكانت اساليب البحث التي ابتدعها هذا الباحث الاميركي وأتقنها تشير بكتشفات جديدة في هذا الموضوع الخطير

وقاية العين والبصر

فيتامين A

وقد كان الموضوع خطيراً حقًّا . ففي سنة ١٩٠٤ عني بحاثة ياباني بدراسة داء يصيب عيون الاطفال ببلاده (اسم هذا المرض كيروفثلميا Xerophthalmia) فاتجه رأيهُ الى ان الباعث على هذا المرض نقص في الغذاء . وليس هذا المرض بجديد في علم الطب . بل كان معروفاً من قديم الزمان وكانت العمدة في علاجه من ايام ابقراط اضافة قليل من كبد الدجاج ودهن الانكليس الى الغذاء . وفي سنة ١٩١٣ لاحظ الباحثان لوسورن ومندل ان الحيوانات التي يجريان فيها تجاربهما تصاب في عيونها بحالة تشبه مرض « الكيروفثلميا » تشفيها منها باضافة قليل من الزبدة الى غذائها . وجاراهما ماكوم في هذا البحث الا انهُ عكسهُ اولاً اي انهُ ازال من غذاء هذه الحيوانات المواد التي تحتوي على فيتامين A فاصيبت بالمرض فأضاف الى هذا الغذاء الناقص مواد يكثر فيها هذا الفيتامين فشفيت منهُ . وشاهد رجل يدعى ولز وكان من رجال الصليب الاحمر الاميركي الوفاً من اطفال رومانيا مصابين به فطلب مقادير كبيرة من « زيت السمك » وفيتامين A كثيرة فيه فشفاهم مما ألم بهم . وفي اثناء الحرب كانت بلاد الدانمارك تبيع كل ما يستخرج فيها من الزبدة لالمانيا ، وكان شعبها قد استبدل بالزبدة في غذائه زيت جوز التارجيل فأصيب اطفاله بهذا المرض في عيونهم فلما اعيدت الزبدة الى غذائهم تطبوا عليه

وليس مرض « الكيروفثليا » بالمرض الوحيد الذي يصيب العيون لنقص في فيتامين A بل هناك العشو كذلك اي ضعف البصر في الليل وهو حالة يصاب بها طوائف من الفلاحين الروس الذين لا يتناولون غذاء كافياً ولاسيما في ايام الصوم الكبير عند ما يكتفون بغذاء نباتي بحت وقد اثبت البحث ان تناول « زيت السمك » يشفيهم منهُ

وعلاوة على ذلك أن نقص هذه المادة من الطعام يحدث اضطراباً في غدد اللعاب والدمع والهضم والتناسل، ويميل بعض الباحثين الى القول بان نقصهُ يضعف قدرة الجسم على مقاومة بعض الامراض المعدية ولاسيما الزكام والدرن

***

كان ما كولم في السابعة والثلاثين من عمره عندما أخذ العلماء يحلّلون الرسائل التي نشرها في الفيتامين المحلُّ الجدير بها من الاجلال . فدعتهُ جامعة جونز هبكنز الشهيرة الى تقلّد منصب استاذ الكيمياء الحيوية فيها فقبل بإشارة من صديقه مندل . فلما دخلت الولايات المتحدة الاميركية غمار الحرب سنة ١٩١٧ دعي الى وشنطن ليشترك مع غيره من العلماء في وضع برنامج غذائي للجيش الاميركي المسافر الى فرنسا ولبقية الامة الاميركية

مرض الكساح

فيتامين D

ما كاد يتقلد منصبهُ الجديد في جامعة جونز هبكنز حتى لاحظ ان طائفة من الجرذان التي يجرب تجاربهُ فيها ، تصاب بما يجعل عظمها ضيفاً وصدورها مقوّسة . فعرضها على أستاذ امراض الاطفال في الجامعة فأيد لهُ ظنَّهُ بان هذه الاصابات هي كساح (rickets) فاشترك ما كولم مع قسم امراض الاطفال في الجامعة في دراسة الموضوع فكان هو يتولّى الطعام الذي تغذى به الجرذان وغيرهُ يقوم بالفحص المجهري الدقيق . فتوصل بعد البحث الطويل الى تركيب غذاء يحدث في الجرذان التي تتغذى به حالة كساح تامة الاعراض

وكان في الوقت نفسهِ رجل يدعى ملانبي Mellanby يشتغل في قسم الصيدلة بجامعة شفيلد بانكلترا ، وكان قد اتجه نظرهُ الى البحث في ما تصاب به بعض الحيوانات من لين العظام عندما تتغذى بغذاء ينقصهُ فيتامين A فقال ان الكساح مرض آخر من امراض التغذية الناتجة وان سببهُ نقص فيتامين A . وزعم انهُ يستطيع ان يشفي المصابين بالكساح باعطائهم غذاء يحتوي على هذا الفيتامين

ولا يخفى ان الكساح داء خطير عرف قديماً ولا يزال حتى الآن متفشياً في كثيراً من البلدان

والاطفال المصابون به تتقوّس سيقانهم ، ويعجز جسمهم عن ترسيب املاح الكلسيوم في عظامهم فتضعف عظام صدورهم ويصبحون معرضين لامراض الصدر تفتك بهم غالباً وكثيراً ما يكون سوء تغذية الام وهي حامل ، ثم سوء تغذية الوليد ، من البواعث على عجز اي غذاء كامل عن شفاء المصاب

ولكن ملاني اخطأ في معرفة سبب المرض لانهُ لم يكن ناشئاً عن نقص في فيتامين A فأجرى ماكولم تجارب اثبتت اثباتاً قاطعاً ان فيتامين A لا يفيد مطلقاً في منع الكساح مع ان زيت السمك ، من أفضل العقاقير في منعه . ولكن زيت السمك يحتوي على فيتامين A فهل يحتوي ايضاً على فيتامين آخر لهُ الفضل الحاسم في منع الكساح ؟ ولكن ما السبيل الى ازالة فيتامين A من زيت السمك لاجراء التجربة به والبحث عن فيتامين آخر فيه ؟

كان هيكنز الانكليزي قد اكتشف انهُ من السهل «اكسدة» فيتامين A فيفقد فعلهُ الحيوي فاخذ ماكولم قدراً من زيت السمك وغلاهُ على درجة مائة عيار سنتغراد وضخ فيه غاز الاكسجين بوساطة جهاز خاص مدة اربع عشرة ساعة ، فاعد الاكسجين بفيتامين A اي « تأكسد » الفيتامين وفقد فعلهُ واخذ زيت السمك بعد ذلك وامتحنهُ بجرذان مصابة بمرض العيون المعروف باسم « كيروفثليا » فلم يشفها فثبت ان فيتامين A قد أزيل منهُ ، لانهُ لو بقيت من هذا الفيتامين بقية يسيرة في الزيت لظهر أثرها في الجرذان المصابة

ولكنهُ لما اضاف هذا الزيت الى غذاء جرذان مصابة بالكساح شفيت مما ألمّ بها . فثبت ان في زيت السمك فيتامينًا غير فيتامين A مقاوماً للكساح ، فدعاه ماكولم في شهر اغسطس من سنة ١٩٢٢ « فيتامين D الذي يذوب في الدهن »

الفيتامين والتناسل

فيتامين E

وفي ٨ ديسمبر من السنة نفسها اذيع اكتشاف فيتامين آخر . ولا كتشافه قصة طريفة . ففي سنة ١٩١٥ لاحظ ماكولم ان الجرذان التي يجرب تجاربه فيها لا تتناسل في مواعيدها السوية فعزا ذلك الى سبب مجهول . وحالت المسائل التي كان يشتغل بها حينئذٍ دون متابعة البحث ولم يفطن احد من العلماء الى مشاهدته هذه فطويت

ولكن باحثاً يدعى هربرت اڤانس Evans كان يبحث في دورة التناسل في الجرذان من حيث علاقتها بأنوار الغدد . الا انهُ لم يكن كيمياويًّا يعنى بالكيمياء من ناحيتها الزراعية او الحيوية وانما كان فسيولوجيًّا يهتم بالعوامل التي تؤثر في التناسل . وكان غذاء الجرذان من هذه العوامل . فغذى جرذانهُ بغذاء يكثر فيه فيتامين A وفيتامين B . فلاحظ هو ومساعدتهُ ان

الجرذان تتزاوج وتحمل في مواعيدها السوية ، ولكنها لا تلد بل تسقط حملها . وفي كل حادثة من الحوادث التي شاهداها ، كان الجنين يموت قبل ميعاد الولادة . وعجز الفيتامينان اللذان تقدم ذكرهما عن منع هذه الحالة الشاذة

فشرعا يبحثان عن مواد غذائية تحتوي على عنصر غذائي مجهول ، من شأنه ان يساعد الجرذان على الحمل والولادة السويين . فوجدا ان ورق الخس فتال وكذلك جنين الحنطة بل وجدا انهما اذا استقطرا زيتاً من أجنة الحنطة واضافا منهُ مقادير يسيرة جدًّا الى غذاء هذه الجرذان تمكنت الاناث من حمل الجنين مدة الحمل السوية ثم ولادته حيًّا . فلما استوثق افانس من ان نقص هذا العامل الغذائي المجهول يفضي الى عقم ذكور الجرذان والى موت الاجنة في أرحام الاناث أعلن اكتشافهُ فيتامينًا جديداً ووسمهُ بالحرف X ولكن الباحث بارنت شور Sure وسمهُ بالحرف E بعد ما حقق في السنة التالية النتائج التي وصل اليها افانس

وقد طبق اكتشاف افانس هذا على البقر اولاً ثم على النساء فأسفر التطبيق عن نجاح يفوق ما كان متوقعاً لهُ . ذلك ان افانس لم يزعم شأن الباحث الطبي الحذر ، أن ما يصح على الجرذان يصح على البشر . ولكن الدكتور فوخت مولر الطبيب بمستشفى اورالس ببلاد الدنمارك عالج طائفة من البقر كان مشهوراً عنها اسقاط أجنتها فاضاف الى غذائها مواد تحتوي على فيتامين E فنجحت تجربتهُ نجاحاً طيباً . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٩٣١ اذاع عن طريق مجلة «اللانست» الطبية نتائج هذا الاسلوب من العلاج في النساء المجهضات . ففي الحادثة الاولى كانت المرأة في الرابعة والعشرين من عمرها وكانت قد حملت اربع مرات وأسقطت الجنين في كل منها فتناولها الزيت المستخرج من أجنة الحنطة عن طريق الفم . فكان حملها التالي سويًّا وولدت في الميعاد السوي طفلاً سليماً . وفي الحادثة الثانية كانت المرأة في التاسعة والعشرين من عمرها وكانت بعد وليدها الاول قد حملت اربع مرات واسقطت الجنين في كل منها . فأعطيت مقدار ملعقتي شاي كل اسبوع من زيت أجنة الحنطة فكانت النتيجة كنتيجة الحادثة الاولى

ومن الباحثين من يعتقد اعتقاد الدكتور فوخت مولر ان فيتامين E لاغنى عنهُ للبشر ولكن جماعة الاطباء بوجه عام لاتزال تنتظر الحكم الفاصل في الموضوع . حتى افانس نفسهُ أذاع بياناً في سنة ١٩٣٥ حذّر فيه من عواقب استعمال هذا الفيتامين من دون تمييز لشفاء العقم في البشر لان العقم قد يكون ناشئاً عن اسباب اخرى

ثم وجد الاستاذ شرمن ان نقص فيتامين E يضعف الوظيفة التناسلية ، وأكد افانس ان هناك اربع مواد اخرى على الاقل لها فعل فيتامين E

فيتامين E ليس فيتامين العقم ، ولكنهُ احدى المواد الكيمياوية التي لاغنى عنها للتناسل السوي

فيتامين مرض الاسكربوط

فيتامين C

لعل أول مرض أدرك الانسان انهُ مرض ناشيء عن نقص في الغذاء هو مرض الاسكربوط. وقد كان المصابون به يحيشون الى ابقراط وفي مفاصل سيقانهم أوجاع وآلام ، وفي لثاتهم تقيُّح وغغرين . فكان لا يعرف كيف يعالجهم . ويروي مؤرخو الطب ان ألوفاً من الاوربيين الذين اشتركوا في الحروب الصليبية عانوا مرضاً يطيء الفصل كان يبدأ بتعب وشحوب اللون ونقص الوزن وضعف الشهية وتوتر الاعصاب . ثم كانت جذران الاوعية الشعرية تتلف فيحدث النزف ويصحب ذلك تضخم في الركب والمفاصل واعياء عام ينتهي بتشنج وهذيان فالوفاة

وكان مرض الاسكربوط يعرف ايضاً باسم « مصيبة الملاح » لان كثيرين من الملاحين ، ولاسيما الذين كانوا يرحلون رحلات بحرية طويلة كانوا يموتون به

في سنة ١٥٣٥ استعمل رجل يدعى كارتييه خلاصة حبوب الصنوبر لوقاية ملاحيه من هذا المرض . ويقال ان الكابتن كوك اضاف بعض الخضراوات الى طعام ملاحيه المؤلف من اللحم المملح فلم يصب احد من ملاحيه بالاسكربوط . وفي سنة ١٧٥٠ اشار رجل يدعى كولباتش باستعمال عصير البرتقال والليمون الحامض في علاج هذا المرض ، وفي اوائل القرن التاسع عشر اصدرت الاميرالية البريطانية امراً بجعل عصير «الليم» Lime جزءاً من ارزاق البحارة على جميع سفنها

ولكن سبب الاسكربوط الصحيح ظل غامضاً حتى انقضت عشر سنوات على بحث ايكمان في علاقة مرض البريبري بالرز المقشور . فشرع هولست وفروبلخ في تجربة التجارب في الارانب الهندية لمعرفة سبب الاسكربوط . ومن حسن طالعهما انهما اختارا الحيوان الصالح لهذه التجارب ، لان هذا المرض لا يصيب الجرذان ولا السناجير ولا الكلاب ولا الطيور

فغذيا الارانب الهندية بغذاء مؤلف من خبز وحبوب فأصيبت باعراض المرض . فأضافا الى غذائها ثماراً وخضراوات مختلفة ، وبعد بحث دام خمس سنوات أثبتا ان العنصر الحمي الذي يشفي من الاسكربوط ويمنعهُ ، كثير في الليمون الحامض والبرتقال واوراق الكرنب (الملفوف) والبزور المنتشة (النابتة) . اما الحبوب والبزور الجافة فلا تحتوي عليه

وقد اعتمد الاميرال برد الاميركي على هذا الاكتشاف في رحلته الى المنطقة المتجمدة الجنوبية ، اذ اخذ معهُ حبوباً جافة ، يمكن بلها حتى تنتش فتستعمل في حالة الاصابة بالاسكربوط

ومن الغريب ان هولست صنع خلاصات يكثر فيها هذا العامل الغذائي المانع للاسكربوط والشافي منهُ ووصفهُ بانهُ مادة كيماوية تذوب في الماء ، قبل ان يكتشف ما كولم فيتامين A

وفيتامين B ، ولكن العلماء لم يصدقوا حينئذٍ أن الاسكربوط يرجع الى نقص في الغذاء . وكان الغالب عليهم حينئذٍ الأخذ بان سبب الاسكربوط زيادة الحموضة في الطعام ، او نوع من السم كالسم الذي يعثر عليه احياناً في الاطعمة المحفوظة ، او زيادة الملح في الاطعمة المملحة وهي الاطعمة التي يعتمد عليها الملاحون . وظل الخلاف على الموضوع الى سنة ١٩١٨ عند ما اثبت بالتجربة الدقيقة ان الاسكربوط سببهُ نقص فيتامين معين دعي فيتامين C

البلاجرا : مرضه الفاتك

فيتامين G

ثم أضيف فيتامين آخر ، وكان مرجع الفضل فيهِ الى طبيب مقدام لا يخشى الموت حقيقة لا مجازاً ، يدعى الدكتور جولد برجر ، وكان من نصيبهِ ان يتناول بالبحث مرضاً يصيب الناس دون الحيوان على ما يعلم ، فلم يتخذ جولد برجر جرذاً ولا أرنباً ولا سنّوراً يجري عليهِ التجارب ، بل جعل نفسهُ وامرأتهُ وبعض السجناء مرد تجاربهِ

كان قد قضى اربع عشرة سنة في مصلحة الصحة العامة بالولايات المتحدة الاميركية ، أصيب في خلالها بحميات ثلاث التيفوس والصفراء والدنج . فلما أهلت سنة ١٩١٤ عهد اليهِ في مهمة جديدة — مهمة مكافحة البلاجرا

والبلاجرا مرض خاصد ، كان قد انقضى عليهِ نحو قرنين من الزمان منذ عرفهُ الاطباء . فلما عهد الى جولد برجر في مكافحتهِ ، كان متفشياً اي تفشّ في المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة الاميركية ، وكان الشعب يتوسل الى الحكومة بأساليب مختلفة بان تسعى الى قهرهِ لشدة ما عانى منهُ . فقد كان الصغار والكبار في المناطق الجنوبية الفقيرة ، يعانون التهاباً في اللسان واللثة ، وقروحاً في الجلد تبدو صغيرة خفيفة ثم تكبر وتكتسب وتتشقق ، وكان اكثرها على ظهر الكفين والقدمين والساعدين ، ويصحب ذلك سوء هضم واسهال ودوار واضطراب عصبي ، وكثيراً ما كانت تقضي هذه الاصابات بصاحبها الى القبر

وكان الاطباء حينئذٍ يميلون الى الاعتقاد ان للبلاجرا سبباً ميكروبيًا ، وأقوى سند استندوا اليهِ في رأيهم هذا ان البلاجرا بدت مرضاً معدياً يفشي خاصة في السجون وملاجىء الايتام والمناطق الفقيرة في البلاد التي يكثر فيها زرع الذرة . وعينت لجنة من قبل الحكومة لبحث الموضوع فقالت في بيانها ان المرض معدٍ وان ناقلهُ العدوى حشرة ماصة للدم . ومما عزز الثقة برأي اللجنة ، ما اصابهُ الطب من النجاح في مكافحة الملاريا والحمى الصفراء على هذا الاساس . ولكن جولد برجر داخلهُ الريب في رأي اللجنة . ولم يأثر بنجاح الكفاح ضد الملاريا والحمى الصفراء ، وكان يميل في قرارة نفسهِ الى الظن ان البلاجرا مرض من امراض العوز والفاقة

ذهب جولد برجر في زيارة الى مستشفى الحكومة في ولاية كارولينا الجنوبية . فلاحظ ان احداً من الاطباء والممرضات والمأمورين في المستشفى لم يصب بذلك المرض ، مع ان اكثر مرضاه أصيبوا به . وبعد ما جرب بعض التجارب بالاغذية التي يتناولونها ذهب الى ولاية جورجيا وفي مصحة الحكومة وجد كثيرين من المصابين به فجرّب ان ينوّع غذاءهم عليهُ يقع على ما يثير السبيل . ثم زار بضعة ملاجئ للاطفال في ولاية مسيسبي توجد فيها اطفالاً مصابين به تتفاوت أعمارهم من ست سنوات الى اثنتي عشرة سنة ، ولاحظ انهم يتناولون قليلاً من اللبن في طعامهم . فبدا لهُ حينئذٍ ان طريقهُ أصبح واضحاً . فذهب الى حاكم ولاية مسيسبي وطلب اليهِ أن يعاونهُ في الفوز بمتطوعين لتجربة التجارب فيهم . فاختير لذلك اثنا عشر رجلاً من سجناء سجن رانكين المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة وهو سجن لم يصب أحد من رجالهِ ولا من سجنائهِ بالبلاجرا وقطع لهم عهد بأنهُ اذا نجوا من الموت بعد اجراء التجربة عليهم أطلق سراحهم . فغذاهم جولد برجر بغذاء قوامهُ دقيق أبيض ورز مقشور ودقيق الذرة الخشن ودهن الخنزير وشراب قصب السكر . وكان لهم أن يأكلوا من هذا الغذاء أي قدر شاءوا ولكن ليس لهم أن يأكلوا شيئاً غيره . وبعد انقضاء عدة أسابيع بدأ احدهم يشكو من التهاب في لسانهِ وقروح مشققة في طرفي فمهِ ، وبعد انقضاء ستة أشهر أصيب أحدهم بقطع البلاجرا ثم أصيب خمسة آخرون . ولكن احداً غيرهم في ذلك السجن لم يصب بأي عرض من أعراض البلاجرا

عند ذلك أضاف جولد برجر الى غذائهم اللبن واللحم والخضراوات والثمار فاستعادوا صحتهم كاملة وأطلق سراحهم

وظنّ جولد برجر حينئذٍ انهُ أقام الدليل التجريبي على ان البلاجرا مرض من أمراض التغذية او سوئها ، ولكن غيره من الاطباء ظلوا مقتنعين بأن سبب المرض نوع من انواع الميكروبات

فلم يبق امام جولد برجر في هذه الحالة الاّ خطوة واحدة . ومن يواعث مناقبهِ انهُ لم يحجم . وفي يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩١٦ حقن في عروقهِ دماً من دم امرأة مصابة اصابة حادة بالبلاجرا ، وفي اليوم التالي تناول عن طريق الفم براز مصاب آخر ، ثم كحت بعض الطفح عن جلد مصاب ثالث وجففهُ وسحنهُ وتناولهُ هو وزوجه وليث اسابيع ينتظر ان يصاب بالبلاجرا اذا كانت البلاجرا حقيقة مرضاً ميكروبيًّا . ولكنهُ لم يصب لان هذا المرض لم يكن مرضاً ميكروبيًّا الاّ ان سرطان الكبيتين قضى عليهِ سنة ١٩٢٩

ولكن جمعية الكيماويين الحيويين الاميركيين قررت أن تبدل اسم الفيتامين المانع للبلاجرا وكان قد وسم بحرفي (P. P.) فجعله فيتامين G وهو الحرف الاول من اسم جولد برجر باللغة الانكليزية

جدول موجز

لانواع الفيتامين وخواصها

اسم الفيتامين	مكتشفه	الامراض التي يقي منها	بعض خواصه	المواد التي يكثر فيها
A	ماكولم ١٩١٣—١٩١٤	كسيرو فتليا (مرض يسبب العين) . العشو . تأخر النمو . ضعف المقاومة للعدوى (؟)	يذوب في الدهن يفقد قوته عند التعرض للهواء لا تتلفه حرارة الطبخ العادي	زيت السمك ، الزبدة ، القمح ، صفار البيض ، الجبن ، الجزر ، الخس ، الطماطم ، الكبد ، الاسباغ
B	ماكولم ١٩١٥—١٩١٦	البريري ، اصابة انسجة الاعصاب وأعمال الهضم الهزال والضعف وفقد الشهية	يذوب في الماء يمكن احتواؤه غيلا يتلف عند الدرجة ١٢٠ سنتغراد	الحمية ، الرز ، صفار البيض ، الجبن ، قلب حبة الحنطة ، وحدة الحنطة ، الشوفان ، الذرة ، عصير البرتقال ، الطماطم
C	هولست ١٩١٢	الاسكربوط تخلخل الاسنان وسقوطها الهزال ، انتفاخ المفاصل . ضعف المقاومة البدنية	يذوب في الماء يتأثر بالحرارة . يتأكسد بسرعة يذوب على الدرجة ١٨٩ سنتغراد	عصير البرتقال ، عصير الليمون ، الكرنب ، الكرفس ، الخس ، الليم ، الطماطم ، البصل ، الاسباغ ، البذور المنتشة
D	ماكولم ١٩٢١	الكساح ، ضعف العضلات العام ضعف تمثيل الكلسيوم والصوديوم . سقر الاسنان ورمازم	يذوب في الدهن لا يتأثر بالحرارة ولا يتأكسد يذوب عند الدرجة ١١٤ سنتغراد	زيوت أكباد السمك ، صفار البيض ، سمك السلمون ، الاطعمة التي عرضت للاشعة التي فوق البنفسجي ، البطارخ
E	اقانس ١٩٢٢	العقم في ذكور الجرذان ، الاسقاط في اناث الجرذان	يذوب في الدهن ثابت على الحرارة يتحمل التعرض للاكسجين يذوب على الدرجة ١٥٨ سنتغراد	زيت أجنة الحنطة ، الخس ، الاسباغ ، الحبوب ، زيت بزر القطن ، فول صويا ، الذرة الصفراء ، زيت الزيتون
G	جوولد برجر ١٩١٦	بلاجرا الضعف العام اضطرابات الهضم	يذوب في الماء لا يتلف بالطبخ او الاحماء	الحمية ، البيض ، الكبد ، الكليتان ، الطحال ، اللبن ، القمح الاحمر ، الاسباغ ، سمك السلمون ، الفت ، البطاطس

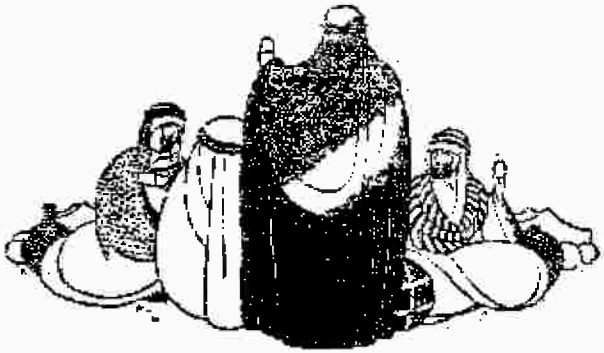

عمر بن عبد الله

ابن ابي ربيعة

— ٣ —

جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي
بجامعة بيروت الاميركية

﴿ شعره ﴾ انقلاب كبير هز الجزيرة هزاً ، وفتح عظيم حمل اليها مدنيات الفرس والروم ، وتطور خطير في الخلق والنظم والعادات ، وانتقال من شظف العيش الى سعته ومن فقره الى غناه ، وأبواب للهو تفتح امام مدن الحجاز وشباب ابناء حيل بينهم وبين السياسة وحرموا ادارة الاعمال في دولة بني امية فعكفوا على لهوهم وفرغوا له ، وكان بينهم شعراء صوروا بأشعارهم هذه الحياة اللينة في تلك المدن اصطلح الادباء على ان يسموهم بالشعراء الاباحيين . وشباب في البادية ، حالتهم غير حالة أهل المدن ، حُرموا السياسة وحُرموا المال ، ولم يكونوا من القوة او الجاه والمكانة بحيث يحدثون الفتن او يُحسب لهم حساب فاقتطعوا الى شيء من اليأس والانكسار وكان بينهم شعراء اصطلح الادباء على تسميتهم بالعذريين . وكانوا كأنما ضرب عليهم ان ينشدوا ألحان الحزن ويرجّعوا صدى اليأس والغصة في الحب وكان شعرهم بحق من ارق ما ترك العرب من الشعر الغزلي

وشعراء آخرون لم يتقيدوا في قطر واحد او فن واحد ، لم يعرفوا البث ، ولم يعرفوا الغصة ولم يعرفوا الحب نفسه ، ولكنهم لم يخرجوا عن انهم شعراء يحسنون التصوير فصوروا وأتيحت بالشعراء الفنيين او الصناعيين او التقليديين تميزاً لهم عن الاباحيين والعذريين . ولم يجعل هؤلاء الغزل غرضاً يقصد اليه بل استعانوا به كوسيلة الى غيره من الاغراض

ونريد ان نلاحظوا شيئاً وهو ان الغزل الاباحي والعذري لم يُعرفا بوجه عام عند غير شعراء الحجاز . اما الغزل الفني فقد عرفته شعراء الاقطار الاخرى وأجاد بعضهم فيه وكلكم يعلم ابيات جرير التي فيها

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

واريد ان اقيد ملاحظاتي هذه في انهُ ليس من اللازم ان يكون كل شاعر أوتي الغزل وحرم السياسة وعاش في المدن اباحيًّا، ولا كل شاعر حرم الغزل والسياسة وبدا كان عذريًّا، ولا كل شاعر غير حجازي كان تقليديًّا. فقد كانت هنالك احوال خاصة دفعت بعض الشعراء الى ان يشذوا عن هذه القاعدة. واذا سألني سائل ومن اي فريق كان عمر أجبته على الفور من كل من هؤلاء. ولكنهُ كان اباحيًّا قبل كل شيء وعذريًّا بعده وقتيًّا في الموضع الثالث. فقد احب وصدق وقتئذ حبًّا واحب وصدق وغب حينًا آخر ولم يصدق ولم يحب، بل لعله لم يعرف هذا المحبوب الذي وضع فيه شعره الغزلي حينًا ثالثًا. وشعره خير شاهد على ما اقول. ففيه قصائد اباحية يسرح فيها بفكره وعينه واخرى عذرية تمثل الحب البريء الصادق وان تكن رنة الشكوى والعذاب والحزن والاستسلام الى اليأس غير قوية كما هي في سائر الشعر العذري. وله قصائد لم ينظمها فيما أرى الا لان المغنين او غيرهم قد ألحوا عليه في ان ينظم لهم فنظم

ولكن عمر كان يختلف عن غيره من الشعراء الذين عاصروه في انهُ الشاعر الوحيد الذي صور لنا حياة المدن الاجتماعية البهجة ولا سيما ذلك الجانب منها الذي يتعلق بالمرأة وصلة عمر بها فكان شعره من هذه الناحية سجلاً للحياة التي عاشها وصورة للعواطف التي اضطربت في نفسه. ونحن وان كنا نعلم انهُ ليس من اللازم ان تكون كل الحوادث التي ذكرها في شعره قد وقعت لهُ حقًّا فاننا نرى ان تعبيره عن احساسه قد استمده من حياته الخاصة. ونرى اشخاص شعره مخلوقات حساسة محببة بارزة تتكلم وتتحرك وتلعب دورها في الحياة

هوذا الحديث قد طال ولم اصل بالقارىء الى درس شعر عمر ودرس اثره في نفوس معاصريه وتابعيه. فلقد كان حقًّا يفتن شعر هذا الشاعر الذي استطاع ان ينال اعجاب اعظم فقهاء الحجاز فيصرفهم في كثير من الاحيان عن جد الحياة الى هزلها. وليس لديَّ متسع لاسرد خبر عمر ينشد رائيته طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري فما يزال هذا واقفًا شاخصًا حتى تكتب لهُ القصيدة او خبر عمر مع عبد الله بن عباس وقد وفد على هذا رئيس الازارقة يسألهُ في الدين فينصرف عنهُ ويميل الى عمر يستمع الى شعره. فيقول ابن الازرق: الله يا ابن عباس انا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد ونسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك سفهاً وتستمع اليه! فيذكر ابن عباس ان في هذه القصيدة سفهاً ويقول انها من آل لم وانا نستجيدها. أو أسرد خبر الامام سعيد بن المسيب يفاخر الناس بشعر عمر

وأي أثر قد ترك في نفوس النساء ذلك الشعر حتى صار الرجال يرون حرجاً عليهن ان يعرفن

شعر عمر فقالوا ما دخل على النوائق في خدورهن شيء أضر من شعر ابن ابي ربيعة . ورأى بعضهم جارية تدخل على اهله حاملة دفتراً فيه شعر عمر فقال لها . ويحك تدخلين على النساء بشعر ابن أبي ربيعة ! ان لشعره لموقعاً من القلوب . ومدخلاً لطيفاً ولو كان شعر يسحر لكان هو فرجعي. وقال بعض الرواة أدركتُ مشيخة من قريش لا يزنون بسر ابن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب . وكانوا يستحسون منهُ ما يستقبحونهُ من غيره وكأني أراه الآن قد غلب على قلوب القرشيين فمالت أهواؤهم اليه وملك عليهم نفوسهم فخضعوا لسحره حتى صار يقال اذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه بشعر ابن أبي ربيعة ولحن ابن سريج فانك ترقصهُ ترقيصاً

وأما أثره في نفوس الشعراء من معاصريه فلم يكن قليلاً ولقد اجتمع اليه الفرزدق واستنشده من شعره فأنشده احدى قصائده فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ، لا تحسن والله الشعراء ان يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقة . وسمع جرير بعض شعر عمر فقال : ان هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . أما جميل بن معمر زعيم العذريين فقد تعارض وعمر فلما أنشده عمر لامتهُ قال جميل : هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيني الليالي ، والله ما خاطب النساء بخاطبتك أحد قط

ولم يفت النقاد أن يلتفتوا الى شعر عمر فانهم أكثروا عليه ولقد حفظ عن مصعب الزبيري نقد لشعر عمر تكاد كتب الادب لا تحفظ نقداً أطول منه لشعر شاعر

ولكن أحقاً كان عمر كل هذا ، أم ان هؤلاء القدماء قد عودونا أن يقولوا في كل شاعر مثل هذا ؟ الواقع هو أن للقدماء آراء في النقد هي في كثير من الاحيان قليلة القيمة بعيدة كل البعد عن شروط النقد الصحيح ، ولكن هذا الاجماع على الاعجاب بعمر نكاد لا نراه عند هم لغير عمر . ويفرض عمر نفسه على كثير من الادباء والنقاد والشعراء المتأخرين ويبقى أثره في الاجيال التي تلته بحيث لا نكاد نرى الآن كتاباً لأديب أو مؤرخ أو معجماً واسماً الا وقد ضمن شيئاً من شعر عمر . حتى اذا جاز الادب العربي عصر الظلمات وانبثق فجر النهضة الحديثة لم يفت النقاد من عرب ومستعربين أن يلتفتوا الى عمر

ولعلّ أول من تنبه اليه مستشرق انكليزي باسم بلكريف فكتب رسالة عنهُ وترجم شيئاً من شعره قبل سنة ١٨٧٢ . وكان روكرت الالماني معجباً بعمر وقال عنهُ انهُ أعظم شاعر في الغزل عند العرب . وقد حاول جمع شعره ليترجمه الى الالمانية فات قبل ان يتم لهُ ذلك فنهض بعض هذا العبء بعده بول شفارز الالماني وترجم خمس قصائد ونشرها سنة ١٨٩١ . ثم نشر كل ديوانه بين ١٩٠١ و ١٩٠٩ وليست مبالغاً اذا قلت انهُ قد نال شعر عمر من العناية على يديه ما لم ينله ديوان شاعر عربي حتى الآن

وانبرى المستشرقون يثنون على عمر قدحه بركلن ونكلسن. وما قاله الاخير: انا اذا استعرضنا شعراء الحجاز في عصر بني أمية فالزعامة لعمر وهو حامل لواء الشعر الغزلي. وقال عنه « جب » في بحثه عن نشأة الغزل: وان أعظم حامل بين هؤلاء الشعراء الغزلين وأولاهم ذكراً لعمر ابن أبي ربيعة دون جوان بكلا وأوفيد العرب والشرق

واذا تركتم هؤلاء المستشرقين وانتقلتم الى أدبائنا العرب تروون عناية جلى والتفاتاً عظيماً وثناء كبيراً فقد كتب الدكتور ضيف رسالة باللغة الفرنسية قدمها الى السربون وقابل فيها بين عمر والفرد دي موسيه. ووضع الدكتور زكي مبارك رسالة في حب ابن أبي ربيعة وخصص الدكتور طه حسين جانباً من أحاديثه الادبية لدرس عمر. وأكتفي بنقل عبارة كتبها الدكتور طه في عمر تقديراً لهُ: « فعمر اذن زعيم الغزلين الاموين لا لستثني منهم احداً ولا تفرق بين اهل البادية واهل الحاضرة بل نحن نذهب الى أبعد من هذا فنزعم ان عمر ابن أبي ربيعة زعيم الغزلين في الادب العربي كله على اختلاف ظروفه وتباين اطواره منذ كان الشعر العربي الى الآن »

ونقول بعد هذا: وما هو هذا الشعر الذي سحر القدماء وخلب ألباب المحدثين؟ فارجو ان تمنحني شيئاً من الوقت احاول فيه درس بعض الظواهر في هذا السبيل

لعلك لاحظت من حديثنا عن عمر انه قصر شعره على وصف المرأة فهو من هذه الناحية شاعر كان من أسبق الناس الى التخصص — هذه الظاهرة القوية في نهضة العلم العلمية اليوم — وكان موضوع دراسته المرأة فهو لا يصف الا المرأة ولا يلتفت الى شيء اذا لم تكن فيه المرأة حتى الحج ومشاعره فانها لم تكن لتستوقف نظره اذا تفيت عنها المرأة

ولقد لقيهُ سليمان بن عبد الملك فقال: ما يمنعك يا عمر من مدحنا؟

قال: انا لا أمدح الرجال انما امدح النساء. فكان كالطبيب المتخصص تسألهُ ان يعالجك من امر ليس من اختصاصه فيقول لك: ليس لي يد بهذا اذهب الى فلان انما اعنى انا بكذا وكذا من الامر

وبعد أوليس من الطبيعي ان يعنى الناس بقول هذا الذي تخصص في حب النساء؟ نعم! ومن هنا كان بعض تشوق الناس الى استماع شعره فيهن. وقد كان الامام ابن عباس يقول هل حدث هذا المغري شيئاً بعدنا. وقد ادرك القدماء هذا في عمر فقال جرير وقد سأله بعض المدنيين ان ينشدهم من شعره: انكم يا اهل المدينة يحجبكم النسيب وان اسب الناس الخزومي. وقال آخر: ان عمر لزم مذهباً واحداً لم يجاوزه فأكثر فيه وأحسن. وفي تخصصه توصل الى استعراض امور دقيقة في الحب وحياة النساء لم يعرفها او لم يذكرها اسلافه ومعاصروه وشهر في هذا الامر بحيث صار اماماً لشعراء الغزل. وقد كان الغزل قبله وسيلة لغاية واستمر عند

بعض الشعراء هكذا حتى اليوم . اما عمر فقد جعله غاية تقصد وسن بذلك طريقاً للغزليين . وشعر عمر من هذه الناحية — في نظري — خير مصدر تاريخي لدرس المرأة الحجازية في ذلك العصر من حيث عاداتها واخلاقها ولبسها وحريتها ومكانتها وتفكيرها وربما بعض تعابيرها . ولقد يدهش بعض نساء هذا العصر اذا عرفن ان النساء زمن عمر كن يتجملن مثلهن فيرققن حواجبهن ويقوسنها ويصففن شعورهن على طريقة خاصة ويلبسن الرقيق الحريري من الثياب يشف عما تحته من ناعم الاجسام

شفّ عنها مرتفق جَنَدِيٌّ فهي كالشمس من خلال السحاب

والظاهرة الثانية هي قصة القصص في شعره ويتفرع عن هذا أمران — المحاورة بين اشخاص قصة ووحدة المعنى واللفظ في القصيد

ينعى بعض النقاد المحدثين على الشعر العربي القديم خلوه من القصة ولعلهم مخطئون اذ يجب ألا يتبادر الى اذهان الناس ان كل الشعر القديم قد خلا من القصة فقد حاول امرؤ القيس وغير امرىء القيس ان يسردوا اخبار حبهم في شعر قصصي ، وهم وان لم يوفقوا فقد طرقوا باب القصة . اما عمر فقد ابرز القصة في شعره للبيان بحيث لم يترك للشراح والمفسرين مجالاً للتعليق

وقد سرد عمر في هذا الشعر القصصي اكثر وقائع حبه ولعله وضع واختلق وقائع لم تجر له . وفي هذه المحاولة لسرد اخباره مع صاحباته انطق اشخاص قصته فبدت ذوات حية وتعرض لذكر الاحاديث والمحاورات التي كانت تدور بينه وبين بعض صواحبه او بين احداهن واخرى من اترابها وهي صعوبة في نظم الشعر لا يستطيع التغلب عليها الا المطبوعون على سرد القصص . وقد وفق عمر في هذا فادهشت هذه الظاهرة جميل بن معمر فقال لعمر والله ما خاطب النساء بخاطبتك احد قط . وقال بعض النقاد مقابلاً بين لامية لعمر واخرى لجميل « لو ان جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لارجح عليه وعز كلامه به »

وقد اضطر عمر بحكم هذه المحاورة والقصص الى جعل القصيدة وحدة كاملة والى وصل البيت الواحد بالبيت الآخر في بعض الاحيان بحيث تصبح الرابطة محكمة وبحيث يصبح من العسير ان تقدم او ان تحذف بيتاً من القصيد . لقد سمعنا من كثيرين ان الشعر العربي قبل ابن الرومي خلا من هذه الوحدة . وان الوحدة في الشعر العربي هي البيت . بينما هي في الشعر الافرنجي القصيد كله فليسمح لي القارىء ان انبه الى ان شعر عمر يخالف هذا الزعم ولعل عمر قد تعمد هذا الامر تعمداً ويطول بي المقام اذا جئت استعرض قصائد عمر المرتبطة الابيات معنىً ولفظاً ولكني لا ارى بداً من ذكر قصيدة صغيرة هي في نظري من اضعف شعره ولكنها خير ما يمثل هذه الوحدة . واود اولاً ان استشهد بقطعة نثرية في موضوع الحب قصد لاحدهم اقتباسها

فيها : « قال : اما تعلم ان الحب داء ؟ أما والله لو حملت منه كما حملت من حب رخيم ، لما لمت على الحب ! فدعي وما اطلب ، اني لست ادري بما قتلت ، الا اني بينا انا بباب القصر في بعض ما اطلب من قصرهم اذ رمى شبه غزال بسهام فما اخطأ سهامه ولكنها عياء سهمان له كلما أراد قتلي بها سلم »

هذه قطعة نثرية كما يرى تامة السبك ملتحمة النسج لا بأس بمتانتها لولا موضع او موضعان وقد يُريد القارىء ان اسرد له قصيدة لعمر في هذا الموضوع اقابلها بها ولعله يُدهش اذا زعمت له ان هذه القطعة من قصيدة لعمر . وسأسردها شعراً دون تغيير حرف واحد :

يا ذا الذي في الحب يلحى أما تخشى عقاب الله فينا أما
تعلم ان الحب داء أما والله لو حملت منهُ كما
حملت من حب رخيم لما لمت على الحب ! فدعني وما
اطلب اني لست ادري بما قتلت الا اني بينا
انا بباب القصر في بعض ما اطلب من قصرهم اذ رمى
شبه غزال بسهام فما اخطأ سهامه ولكنها
عياء سهمان كلما اراد قتلي بها سلما

واريد ان تلاحظ ان عمر قد قيد نفسهُ فيها بالقافية الواحدة في صدور الابيات وانجازها ويكاد هذا وحده يشير الى ان عمر قد تعمد الامر تعمداً ليضع فنّاً جديداً . . . . .

ثم هناك امر آخر دعا الناس في نظري الى حب شعر عمر هو روح عمر وانا ادري ان لنفس الشاعر قبل كل شيء اثراً كبيراً في تقريبه الى الناس ، فكلما كانت هذه النفس محببة الى الناس كان الشعر موضع اعجابهم وحبهم ولسل الادباء يلمون معي ان حافظاً لم يكن بمنزلة شوقي في الشعر ولكنهُ نال من حب الناس واعجاب النقاد مثل ما نال شوقي ان لم يكن اكثر وذلك لان نفس حافظ كانت اقرب الى هؤلاء الناس من نفس شوقي . وكانت نفس عمر رضية هنيئة وادعة على دعابة مرحة جذابة حلوة فراق الناس اصطحاب هذه النفس وحبها حتى ان ابن عتيق قال لعمر : اف لي على الدنيا بعدك يا أبا الخطاب

وكان عمر مع صاحباته خفيف الظل لطيف الروح حسن المشر فكنّ يتشوقن الى لقياه وكان يطلعهنّ احياناً على اشعاره التي قالها فيهنّ . ولم يكن عمر من هؤلاء الاباحيين الذين اذا تم لهم عيشهم لم يعنهم من شأن صاحباتهم شيء بل تركوها مضغة في افواه الناس . كلا فقد اصطنع ألوان الكلام ليكني عن اسم حبيبته باسم آخر وكان يذكر في اكثر قصائده ان لهوه مع حبيبته لم ينقض بغير السمر البريء والحديث اللذيذ وهو حتى في مواقفه الاباحية الصريحة ، وهي قليلة

في الديوان لم يسمّ اسم واحدة بعينها ونحن الآن لا نعلم من هي تلك التي شغلت قسماً كبيراً من ديوانه (والتي يقال انها زلت على غدير وارتحلت فقوله عمر وظل يرد منهُ حتى لشف) وعمر عفيف في لفظه وفي تعابيره وليس هناك في كل الديوان كلة واحدة بديئة وعصره عصر الاحوص والعرجي والفرزدق وجرير

ولا اذكر هذه الناحية في عمر الاّ وتبدو امامي صورة تعاكسها في بشار الذي كان اعجاب بعض الناس بشعره عن رهبة وتملق . فله موقف في قصيدة يظهر فيها بشكل لم ار أقبح منهُ في عجب بعد عينه مع صاحبته التي أغواها وأغراها فقبلها وجرح شفتها يقول بلسانها :

كيف بأمي اذا رأت شفتي أم كيف ان شاع عنك ذا الخبر

فيجيب : قولي لها بقة لها ظفر ان كان في البق ما له ظفر

ارأيت سخرية بالحب وازدراء بالحبيب مثل هذا القول : قولي لامك ما تشائين فبشار السمج لا يعنيه امرك بل هو يسخر بك ويزدري حبك ويسر عن هذا بقوله :

قولي لها بقة لها ظفر ان كان في البق ما له ظفر

وأين هذا من روح عمر وقول عمر الذي يحق له ان يدل :

لو كفي اليمنى ساءتك فقطعها ولذقت بعد رضاك عيش الاجذم

أو هنيئاً لاهل العامرية نشرها الـــذيذ وريّاها الذي اتذكر

او ان اهوى البلاد شخصاً الينا والذ البلاد لمياً ودلا

لقيتي بالبلاط امست تشكي رمداً ليتهُ بعيني حلا

يقول وهل هذا كل ما في شعر عمر وأنا اقول لا وأنت تعلم ان في الشعر شيئاً لا يقاس بمقاييس مادية او روحية يعرفها الناس فأنت تعجب بشعر وتعجز عن ان تصلّ الى هذه المواطن فيه التي استثارت اعجابك او طربك . فليست العاطفة ولا الخيال ولا حسن التصوير ولا الابداع في الديباجة ولا رقة الشعر وموسيقاه ولطف روح صاحبه هي كل ما في الشعر ، بل هناك ما هو أعمق من هذا وأكثر تعقداً منهُ وأرجو ان يتنبه اذا سميت ذلك سحر الشعر

وأنت فوق هذا كله ترتاح الى شعر عمر لما فيه من تمثيل صحيح لنفس صاحبه ولنفس فتيات صاحبه ولروح هذه الجماعة التي عاش بينها وتطبق الى شعر عمر لما فيه من صدق اللهجة وطيب القلب وجمال هذا الطبع الذي جمع بين سذاجة الحياة البدوية الاولى وليها وظرف الحضارة الجديدة وطلاوتها . ويكفي ان اقول ان عمر شعر وأحسّ فجرى لسانهُ بما احسّ وشعر

أنا وابني

لإيليا ابو ماضي

قال لي ابني وهو حيـــران يما يحكي ويقرا
كيف كان الله ؟ اني قد وجدت الله سرًّا
اسمع الناس يقولو ن به خيراً وشرًّا
فاقدلي . قلت : يا ابني انا مثل الناس طرًّا
لي في الصحة آراء وفي العلة اخرى
كلما زحزحت سترًا خلتني أسدل سترا
لست ادرى منك بالامر ولا غيري ادرى

* * *

احسب الله الذي صاغ من الذرات صخرا
والذي شاء فصارت قطرات الماء بحرا
والذي شاء نضم البحر اصدافاً ودرا
وأراد الضوء اجراماً فصار الضوء زهرا
ان هذا الله لما شاء هذا كان ـ فكرا ـ

* * *

ثم لما نظم الالـــوان في الارض زهورا
ورأى أن يملأ الســـحب غناء وحبورا
فتشى في حوائي الـ ارض سحراً وعطورا
وتهادى في خوائي الافق ألطافاً ونورا
وترامى في الربى والماء حسناً وخريرا
عند ما أوجد هذا كان ـ حسًّا وشعورا ـ

* * *

من أحب الله جباراً وفتاكاً وقاهـــر
فأنا أهواه رساماً وفنـــاناً وساحر
وأراه في الندى والزهر والشهب السوافر
فاذا الانجم غارت والمطوت كل الازاهر
وتلاشى كل ما انشا وسوى من ناظر
لاح لي في حسنه الاكمل في ديوان شاعر

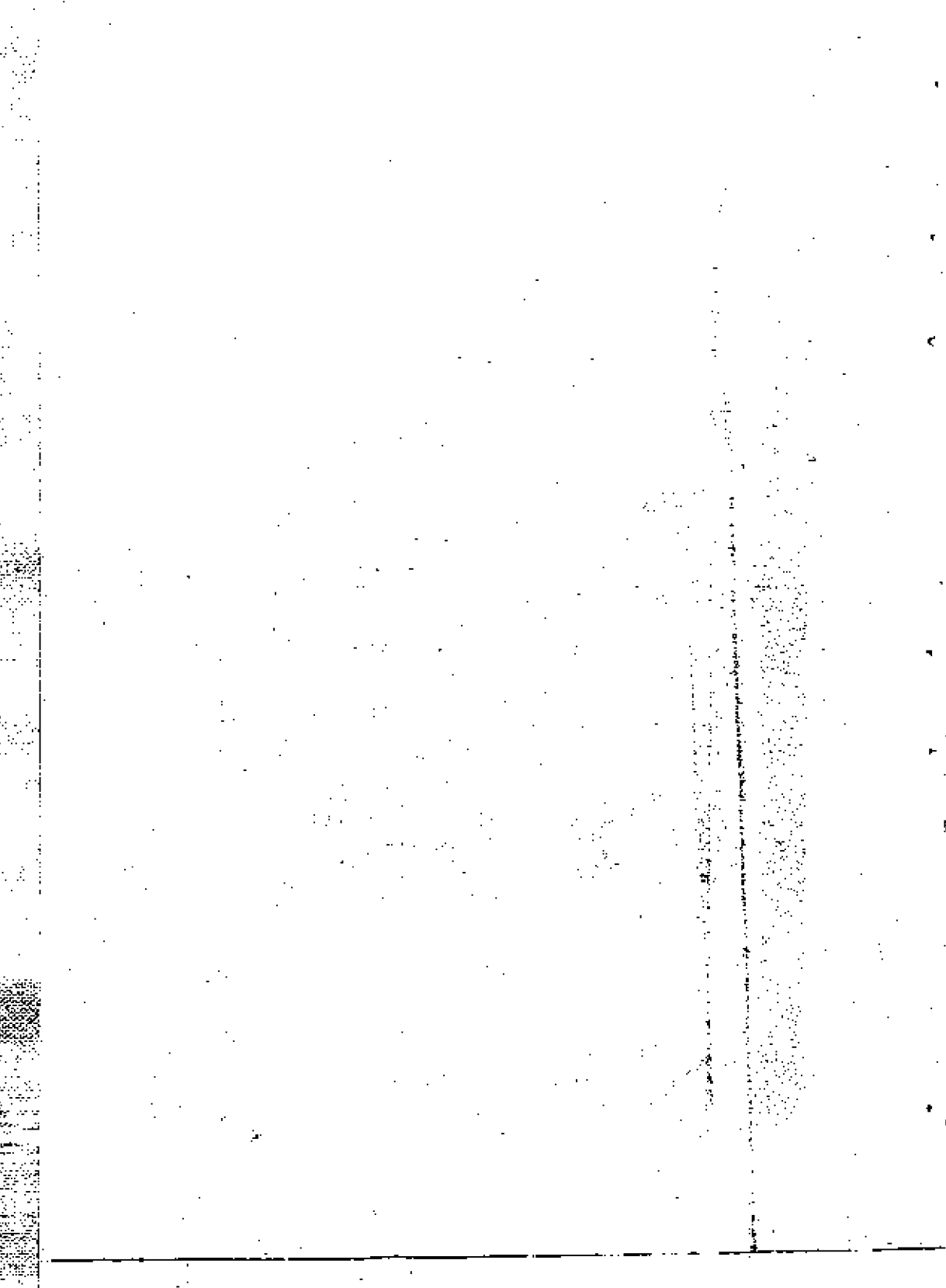

منظر عام للخزان من
مكتب الري

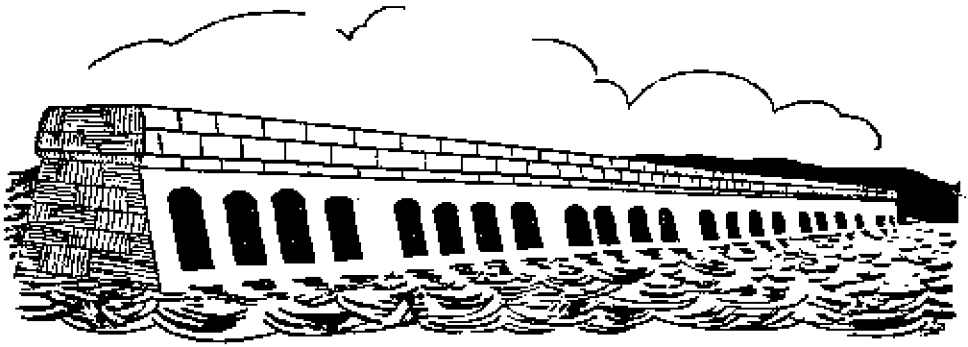

خزان جبل اوليا

لمنا غبار

استخدام الانسان قوى الطبيعة في مصلحته عمل من أفضل ضروب النضال البشري على سطح هذا السيار . فأول ثمار الفلسفة استغلال الماء والهواء والتراب والنار ، والاستعانة بهذي الاشياء لتوفير القوة وتخفيف العناء . كان ذلك ديدن الانسان منذ العصور الخالية ، وسيظل كذلك وقد بلغ ذرى المدنية والعمران . بل ان الانسان ليزداد في ذلك ما زاد اغراقاً في مناحي المدنية والارتقاء . فان تقدم العلوم ، وتزايد الاختبار ، يزيدان الانسان حولا في ميدان الطبيعة ، فيمكن من كشف اسرارها ، وسبر اغوارها ، وحل رموزها ، واستخراج كنوزها . كان ذلك شأن المصريين في عهد الفراعين العظام ، فلا غرو اذا أعاد أحفادهم الكرة على مناهج السلف الكريم يوم كانت المدنية في مهدها ، يوم ترعرع في وادي النيل فنون الزراعة والري والمساحة والهندسة والبناء والارصاد الفلكية

تجلت لي هذه الحقيقة يوم جئت خزان جبل أولياء قبل سنتين ونصف من الزمان ، فوقعت العين على أبدع حركة ، وأقدس حركة ، رأيتها في الحياة ، ورأيت ما كان يجري تحت سماء النيل الابيض من آثار الهمة القعساء ، حركة انشائية لم يسبق لها نظير في هاتيك الديار منذ درّ فجر العمران . فكان في ميدان جبل أولياء ، على النيل الابيض خليط من انكليز والمان وايطاليان ويونان وأرمن وحبشان وسودان ومصريين وسوريين ، وغير هؤلاء من طوائف البشر وأساطها ، وقد تسلحوا بأحدث مستنبطات العلم والفن والصناعة ، من محركات ، وناقلات ، ورافعات ، وماخرات ، وحافرات ، وحاطبات ، فحولوا بها البحر يبساً واليبس بحراً ، والغور جبلاً والجبل غوراً . وكانت المئات والالوف تعمل في حوض النهر تحت سطح الماء أمتاراً ، والماء من حولهم كالجبال الشاهقة تشكها الحواجز والسدود الوقتية ، وقد هبطوا الى قاع النيل يحفرون ويقرون ويشيدون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فبدت لي حينذاك سلطة الانسان على الطبيعة عسوسة ملموسة ، يستقل مقدرتها ناعم البال . مبلغ كهذا لم يدركه الفراعين العظام ، ولم يشهده وادي النيل في ما سلف من العصور . هذا هو خزان جبل أولياء وصحته « أولي » ولكنه كتب « اوليا » في البيانات الرسمية الاولى ولم يغير

للخزانات غرضان ، ثانوي وجوهري . فالغرض الثانوي هو وقاية البلاد من غوائل الفيضان ، ولا سيما في أوقات تجاوزه الحدود العادية وتهديده البلاد بالدمار . ومصلحة الري العمومية تنظر الى هذا الغرض بعين العناية كجزء جوهري من التزاماتها ، والغرض الجوهري هو تخزين مقدار وافر من المياه ، وحبسه أمام السد لاستخدامه في ري الاطيان الزراعية في أوقات انخفاض مستوى النهر وعجزه عن امداد المزروعات بالقدر الكافي من المياه

أنشىء أول عمل من هذا النوع على النيل في عهد محمد علي الكبير ، رأس الاسرة المالكة في مصر . أريد بذلك القناطر الخيرية ، في النصف الاول من القرن الماضي . وكانت القناطر الحلقة الاولى في سلسلة انشاءات الري . تلتها الحلقة الثانية في خزان أسوان في أوائل القرن الحالي ، ثم قناطر اسيوط ونجع حمادى وخزان مكوار . وأخيراً في خزان جبل أولياء هذا ، الواقع على النيل الابيض جنوبي مدينة الخرطوم نحو خمسين كيلو متراً أو أقل قليلاً

وأقسم الكلام فيه الى أربعة أقسام هي تاريخ هذا المسعى : الاعمال التمهيدية : أوصاف الخزان : مغازيه الروحية

١ — تاريخ هذا المسعى

قام السر وليم غارستن الشهير ، المستشار الفني في وزارة الاشغال المصرية العمومية ، برحلة كبيرة في وادي النيل ، في مستهل القرن العشرين ، وعلى اثر استرداد السودان واستقرار الحال فيه . فجاب من تلك الاصقاع ما دنا وما نأى . ووافق فروعه الى مصادرها في جبال الحبشة وبحيرة طانا مصدر النيل الازرق ، وفي البحيرات الاستوائية مصدر النيل الابيض . وصعد في بحر الجبل ، وبحر سوباط . وجاء الجزيرة جنوبي الخرطوم . وتخطاها شمالاً الى حدود اسوان . ووضع تقريراً مطولاً ضمنه آراءه في هذا الشأن ، وقد اسماه « الدليل في موارد اعالي النيل » . بسط فيه الكلام في انماء الثروة ، وتوافر دواعي طمأنة الانسان وتأمين حياته . تلك اول احلام الانسان العاقل وهي اول حوافز ارتقائه . واشار غارستن في ما اشار الى انشاء خزان على النيل الابيض عند جبل اولياء . ذلك اول خبر سطع على هذ المسعى في التاريخ . تلا ذلك انشاء الحكومة المصرية مصلحة الري في الخرطوم سنة ١٩٠٥ ، فجاء ذلك باعثاً على الاستزادة من المعلومات المختصة بالري وتخزين المياه ، والاكتشاف كثير من الاقاليم المجهولة . فثبت لمصلحة الري ان خزان اسوان لا يسد حاجة القطر المصري ، فيلزم انشاء خزان على النيل الابيض عند جبل اولياء . وهذي كانت الخطوة الثانية في تاريخ هذا المسعى الجليل الشأن . وقد كان الباعث عليها نقص الفيضان سنة ١٩١٣ وانخفاض النيل سنة ١٩١٤ الى أوطأ ما عرف في القرنين الاخيرين ، فعجز النيل سنة ١٩١٤ عن سد مطالب الري الضرورية فعرج ذلك بهمم رجال الري الى التفكر

في انشاء هذا الخزان تداركاً للخطر قبل وقوعه. وعلى هذا الاساس عرض اسميل سري باشا، وزير الاشغال على مجلس الوزراء « مشروع خزان جبل اولياء » وذلك في شهر مايو سنة ١٩١٤

(المعارضة) لم يلق مسعى في الارض ما لقيه هذا المسعى من المعارضة والمقاومة. وكانت تلك المعارضة سياسية في أساسها، فنية في مستندها. وليس من اغراضي الدخول في الموضوع من ناحيته السياسية. فقد قال اسميل سري باشا رحمة الله عليه: « ان من سوء الحظ ادخال السياسة في مسعى كهذا ». ولما كانت المعارضة قد استندت الى تصريحات فاه بها السر وليم ولكوكس، ومعلوم ماهذا الرجل من عظيم الشأن والمكانة العالية في هذا الباب، بناء عليه الفت الحكومة البريطانية لجنة خاصة من بارزي المهندسين للنظر في تصريحاته. واعضاء تلك اللجنة هم: —

١: السر موريس فتز موريس رئيس معهد المهندسين سابقاً
٢: السر ر. بنون مفتش عام الري في جنوب افريقيا سابقاً
٣: السر وليم فارستن مستشار وزارة الاشغال العمومية المصرية سابقاً
٤: السر ارثر وب مستشار وزارة الاشغال العمومية المصرية سابقاً
٥: الاستاذ كوتن رئيس معهد المهندسين الملكيين، وصاحب تأليف في الهيدروليكا والحياة
٦: الكولونيل ليون المدير العام لمصلحة المساحة المصرية، ونائب مدير مصلحة الارصاد الجوية سابقاً. واضافت الى هذه الهيئة القاضي بوث للنظر في الاتهامات من وجهة قضائية. فكانت نتيجة بحث هذي اللجنة في مصلحة المسعى ودفع الاتهامات. ولما برزت المعارضة في وجه الحكومة المصرية عينت هي ايضاً لجنة دولية لدرس الموضوع وتقديم تقريرعنه، واعضاؤها هم:

١: المستر جي رئيساً — رشحته حكومة الهند
٢: المستر كوري عضواً — رشحته حكومة الولايات المتحدة
٣: الدكتور كمبسن عضواً — رشحته جامعة كمبريدج
٤: السكرتير كايبس — استاذ في مدرسة الهندسة الملكية

قامت هذي اللجنة برحلة في اعالي النيل الابيض. ودرست الموضوع من كل جهاته. وقدمت عنه تقريراً ضافياً أسمته « تقرير لجنة مشروعات النيل » لخصه المستر داوسن مساعد المستشار المالي، لتسهيل مراجعته. وذلك في دسمبر سنة ١٩٢٠. وقد ايد ذلك التقرير انشاء خزان جبل اولياء

فشرعت الحكومة المصرية في العمل وشادت البيوت والمنابر في منطقة جبل اولياء لسكن المهندسين والمقاولين. واقفت على تلك المباني ما يقرب من مليون جنيه. الا ان العمل توقف في وزارة عدلي يكن باشا في ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ لاسباب مالية. وفي آخر ذلك العام ندبت الحكومة المصرية المستر ديبوى. مستشار وزارة الاشغال يومذاك، مع جماعة من المهندسين، في عدادهم عبد الحميد باشا سليمان وللمستر برسي، فقدمت تقريراً باسم « تقرير ديبوى »

طبع سنة ١٩٢٥ وزار المستر فتزموريس موقع جبل اولياء سنة ١٩٢٤ يصحبه مستر نوتنهام وكيل وزارة الاشغال . وهو ايضاً نظم تقريراً في ٢٦ مارس سنة ١٩٢٤

وتألفت لجنة دولية للنظر في توزيع مياه النيل بين مصر والسودان . واعضاؤها هم : —

١ : المستر كنتر كريمر رئيساً — هولندي — ٢ : المستر ماكجريجور — عن الحكومة البريطانية ٣ : عبد الحميد باشا سليمان عن الحكومة المصرية

وأضافت الحكومة المصرية الى هذي اللجنة لجنة مساعدة مؤلفة من عبد الحميد باشا عمر وعبدالقوي بك احمد . وكانت هذي اللجنة خطوة كبيرة الى الامام في أمر هذا الخزان

وشكل اسمعيل سري باشا سنة ١٩٢٦ لجنة مؤلفة من أحد عشر عضواً برآسة صالح عنان باشا لفحص تقرير لجنة النيل ، وكان سكرتير هذي اللجنة عبد القوي بك أحمد

وبعد مراجعة هذه اللجنة التقرير رفع رئيسها بانه الى عثمان محرم باشا خلف اسمعيل سري باشا في وزارة الاشغال . وقدم الوزير عثمان محرم باشا سنة ١٩٢٦ ، ثم خلفه ابرهيم فهمي باشا سنة ١٩٢٨ ذلك التقرير لمجلس الوزراء . وهو يرمي الى اعتبار تقرير لجنة النيل مرعيًا في جميع مبادئه ، ثم طلب الى مجلس الري الأعلى سنة ١٩٢٩ ان يبدي رأيه في الامر فقرر ذلك المجلس « ان انشاء خزان عند جبل أولياء مسألة أساسية للتوسع الزراعي في مصر » . ومجلس الري الأعلى مؤلف من غالب عثمان بك رئيساً ، وهو مفتش عمومي الري في الوجه القبلي ، ومعه تسعة أعضاء ، خمسة منهم مصريون وأربعة انكليز

وفي ٧ مايو سنة ١٩٢٩ عقد اتفاق تقسيم مياه النيل بين مصر والسودان . وجاء في رد المفوض السامي اللورد جورج لويد على رئيس الوزارة المصرية ما نصه : —

« ان حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعي والتاريخي في مياه النيل واني أقرر انها تعتبر المحافظة على الحقوق مبدءاً اساسياً للسياسة البريطانية في الشرق »

وصدر قرار وزارة الاشغال سنة ١٩٢٩ مختوماً بهذي العبارة : «رأى المجلس ضرورة اقامة خزان جبل أولياء ، واتفق الجميع في وجوب التعجيل في انشائه» وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٣٢ أحالت وزارة اسمعيل صدقي باشا الى مجلس النواب مرسوماً ملكيًا بمشروع قانون باعتماد خزان جبل أولياء ، فألف المجلس لجنة خاصة لدرس الموضوع وتمحيصه ، واعطاء قرار بهذا الشأن . وكان اعضاء اللجنة البرلمانية سبعة عشر عضواً . فعقدت تلك اللجنة ١٧ جلسة لمناقشة الموضوع ، من أول مارس ١٩٣٢ الى ٩ مايو ، وكان مندوب الحكومة لدى اللجنة في كل تلك الجلسات عبد القوي بك احمد . فتلقى الاسئلة والاعتراضات في كل جلسة ، فأجاب عن هذي ، ورد تلك ، وقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان . وأخيراً استدعت اللجنة وزير الاشغال ورئيس الوزراء فحضرا جلسة ٢٤ مارس يصحبهما وزير المالية

وفي الختام رفعت اللجنة لمجلس النواب تقريراً بهذا الشأن يشغل ١٤ صفحة كبيرة فناقش النواب في التقرير ثلاثة ايام . وختمت مناقشاتهم بخطبة مشجعة من رئيس الوزارة في ٢٣ مايو ، قال فيها « لا دخل للسياسة في انشاء هذا الخزان ولا خطر على مالية

جانب من سطح السد بعد انهياره

الدولة بسبب النفقات المرصودة له » . وحينذاك اعلن رئيس البرلمان محمد توفيق رفعت باشا ان المناقشات قد ختمت وطلب التصويت فصار المشروع باغلبية ١١٣ صوتاً ضد ١٦ صوتاً . عندئذ رفع الرئيس كتاباً بهذا الشأن الى مجلس الشيوخ حسب الاصول البرلمانية . فحوّل مجلس الشيوخ الموضوع الى لجنة الاشغال في مجلس الشيوخ برآسة اسمعيل سري باشا ، واضاف المجلس الى تلك اللجنة الذوات الآتية اسماؤهم

(١) قليني باشا (٢) حبيب دوس بك (٣) محمود بك ابو النصر (٤) اللواء عبد المجيد فريد باشا (٥) عبد الرحمن رضا باشا (٦) اللواء محمود عزمي باشا (٧) اللواء صادق يحيى باشا (٨) ادوار قصيري بك (٩) اللواء علي احمد باشا (١٠) محمد احمد عبود باشا

فبحثت اللجنة المزدوجة الموضوع بحثاً كافياً . ونظرت في كل نقاطه وفروعه من وجهاته العديدة ، وشغلت جلساتها اسبوعين من ٢٦ مايو الى ١١ يونيو سنة ١٩٣٢ ، حضر بعضها رئيس الوزراء مع وزير الاشغال العمومية . وختمت اعمالها باقرار القانون ، ورفعت تقريرها الى المجلس . فناقش المجلس فيه من ١٤ يونيه الى ١٧ منه ، وأقره باكثرية ٧٤ صوتاً ضد ٤ اصوات فتكون الاكثرية الاصوات في مجلس النواب بنسبة ٩ الى ١ وفي مجلس الشيوخ بنسبة ١٨ الى ١

واراني من واجبي كمؤرخ صادق ، يحرص على الحقيقة ، وعلى كرامة الدولة ونزاهة رجالها ، ارى ان اثبت هنا « ان خزان جبل اولياء مسعى مصري ، ايّدته فكرة مصرية غير مستعارة ، ولا مستهواة ، ولا واهمة ، وقد سارت إبّانه سيراً برلمانيًّا حرًّا قانونيًّا ، بنور العلم والفن ، وصدق بالتصويت الحر حائزاً الاكثرية الساحقة وكانت للمعارضة الحرية التامة لايراد كل ما يمكن ايراده ضده . وقد ردت عليها الوزارة رداً علميًّا صحيحاً فلم يبق ثمة مجال للمراء » . هذا هو خزان جبل اولياء وصدر القانون باعتماده في ١٩ يونيو ونشر في « الوقائع المصرية » الصادرة في يونية سنة ١٩٣٢ وهذي صورته

القانون رقم ١٩ سنة ١٩٣٢ باعتماد انشاء خزان جبل الاولياء

نحن فؤاد الاول ملك مصر

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه

مادة ١ : يعتمد انشاء خزان جبل الأولياء في السودان على الوجه المبين بمذكرة وزارة الاشغال العمومية الى مجلس الوزراء في ٣ يناير سنة ١٩٣٢

مادة ٢ : على وزير الاشغال العمومية تنفيذ هذا القانون . تأمر بيصم هذا القانون بخاتم الدولة وان ينشر في الجريدة الرسمية

صدر في سراي القبة في ١٥ صفر سنة ١٣٥١ (١٩ يونيه سنة ١٩٣٢) وتنفذ كقانون من قوانين الدولة

فؤاد

بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك

رئيس مجلس الوزراء — اسمعيل صدقي

وزير الاشغال العمومية

ابرهيم فهمي كريم

بعد ذلك طرحت الوزارة انشاء الخزان للعطاءات . ولدى فحص ما تقدم اليها من تلك العطاءات — بحسب الاصول المرعية — قبلت عطاء السر جيمس الانكليزي ، مشترطة عليه ان يعقد شركة مالية قديرة ، تضمن تحمل اعباء العمل . فعقدت شركة جيمس وجرين مساهمة وشرعت الشركة في انشاء الخزان في خريف سنة ١٩٣٣ على ان تتمه في خلال ٤ سنوات وتسلمه للدولة المصرية في يوليه سنة ١٩٣٧ . والمبلغ الذي تدفعه الدولة المصرية له هو ٢١٠٠٠٠٠ جنيه مصري

٢ — الاعمال التمهيدية

ان الاعمال التمهيدية التي يستلزمها انشاء خزان كهذا هي كبيرة مضرعة . ومن لم يرها قد لا يصدق ما يسمعه عنها . واليك لمحة مختصرة تكشف عن خطورة تلك الاعمال

﴿ ١ : المساكن للمتعهدين والموظفين وخلافهم ﴾ سلمت حكومة السودان للدولة المصرية شقة من الارض ، على ضفاف النيل الابيض ، حول جبل اولياء ، فسورتها الحكومة المصرية بالاسلاك ، ودعتها بالمستعمرة المصرية ، وللمستعمرة المصرية اربعة ابواب ، يقيم الحفر في كل باب ، ولا يؤذن بالدخول اليها الا لمن تجيزه الادارة من موظفين وعامل وزائر ومقاول الخ

وقد شيدت ضمن السور مبانٍ عديدة ، من بيوت وعنابر وقطيات (حجر مستقلة) ومخازن للري ومكاتب ومستشفى ونحو ذلك ، لسكن موظفي الري ، ومهندسي الخزان من مصريين وغير مصريين ، ولسكن المتعهدين والمقاولين والملتزمين والملاحظين وغيرهم . فكان هنالك بلدة واسعة الجناب ، تفصل بين أبنيتها ساحات فسيحة ، وشوارع عريضة ، تنيرها الكهربائية ليلاً . وقد سورت بيوتها بأشجار الثمر الهندي ، أو أشجار السيسبان بحيث لا يرى المارة ما ضمن تلك الاسوار الخضراء . وزينت البيوت بالحدائق والمروج ، والشوارع بالاشجار على الجانبين . وأقيمت على خدمة البيوت جماعات الفراشين والبساتيين . دام ذلك كل المدة منذ سنة ١٩٢٠ الى انتهاء بناء الخزان ، وقد أنفقت الدولة المصرية على ذلك ما لا يقل عن مليون جنيه . وقد شملت تلك المباني بالعناية الصحية التامة منعاً للامراض ، ولتولد البعوض الضار في الاقاليم الحارة

﴿ ٢ : المياه ﴾ وقد أمدت تلك المباني بجهازين من الماء . الاول لحمل ماء النيل كما هو الى البيوت لسقيا الحدائق وأعمال التنظيف . والثاني لأجل ماء الشرب ، بعد تصفيته وتطهيره بحسب القواعد الصحية ، وتحت المراقبة الطبية . وقد مدت أنابيب الماء الى كل بيت في المستعمرة وجهزت بالحنفيات والمصارف لحمل المياه الغدرة الى الخارج ، بحيث لا يحتاج ساكنوها الى أي نفقة او عناء

﴿ ٣ : الكهربائية ﴾ وهي تراد لأمرين ، التنوير والمحركات لادارة الآلات . فأنشيء معمل كبير لتوليد الكهربائية ، فيه مكنات كبيرة ، يقوم على ادارتها واصلاحها خبراء اخصائيون وكان على القوة الكهربائية المعول في بناء الخزان علاوة على تنوير الشوارع والبيوت ، وكانت أعمال الكهربائية مستمرة بلا انقطاع ليلا ونهاراً كل مدة بناء الخزان

(٤ : الثلج) وكان من الضروري ، في وسط سوداني حار ، توفير الثلج للتبريد ، وللاعمال الصحية . ولذا أنشيء أيضاً معمل للثلج ، بقوة الكهربائية ، كان يصدر يوميًا ما لا يقل عن ٤٠٠ كيلو جرام من الجليد عدا ذلك كان عند كثيرين من كبار الموظفين ثلاجات كهربائية في البيوت

(٥ : المستشفى) والمستشفى الى يسار مدخل المستعمرة الرئيسي هو بلدة على حدة ، لا تقل مساحة أراضيه عن ٢٠٠٠٠٠ متر مربع . شيدت فيه الابنية لسكن الاطباء والممرضين وغرف للعمليات وحجر عديدة وكبيرة فيها مئات من الاسرة لطول المرضى وقد قسمت تلك الاسرة الى ثلاث درجات ، درجة اولى ، ودرجة ثانية ، ودرجة ثالثة . وكان على المتعهد جنسن ان يدفع عن كل مريض في تلك الدرجات . ضمن في الدرجة الثالثة عشرة غروش في اليوم . وعمن في الدرجة الثانية ثلاثين غرشاً . وعمن في الدرجة الاولى خمسة وسبعين غرشا . ولكن الحكومة المصرية هي المسؤولة بنفقات المستشفى وقد قررت له في الميزانية اربعين الف جنيه للسنوات الاربع وكان في المستشفى ثلاثة اطباء ، وممرضتان ، عدا الترجمة والخدم . وكانت خدمة المستشفى من أجل وأقدس الاعمال الانسانية في ذلك المحيط . لانه لم يقتصر على خدمة الموظفين والعمال ، بل مد احسانه الى سكان المحيط ، فكانت تجري فيه معاينة مئات كل يوم ، عدا عمليات التوليد ، وعمليات الحوادث والآفات التي لاحصر لها . وقد جهزته الحكومة المصرية بكل ما يلزم من العلاجات والاجهزة اللازمة

(٦ : النقل) بحسب شروط التعهد بين جنسن والحكومة المصرية وجب ان يبنى السد للخزان بحجارة من النوع المعروف بالحوانيت . وكان يلزم ان تؤخذ تلك الحجارة من محاجر جبل السليمات الواقع شمالي الخرطوم نحو اربعين كيلو متراً . وجبل اولياء جنوبي الخرطوم نحو خمسين كيلو متراً . فالمسافة بين محجر السليمات وبين الخزان نحو تسعين كيلو متراً . لذا فد خط حديدي من جبل اولياء الى الخرطوم يتصل بالخط المؤدي الى السليمات . وقد مدت هذا الخط الحكومة السودانية فاقتت عليه ١٢٠٠٠٠ جنيه وكانت تتقاضى متعهدي الخزان قدراً معيناً من المال عن كل طن ينقلونه على الخط من حجارة وحدائد ورمال وادوات

وبعد وصول الخط الى محطة جبل اولياء تفرعت منه خطوط عديدة الى موقع الخزان بعضها على جسر (كبري) موقت فوق الماء ، وبعضها على الضفة الشرقية ، والضفة الغربية ، وبعضها في حوض النهر حيث اعمال البناء . وهذا الفرع من الاعمال له خطورته وقد اقيم اخصائيون على خدمته وملاحظته وادارة شؤونه

(٧ : الجسر) هو جسر موقت ، مد فوق مياه النهر من الشرق الى الغرب ، على دعائم خشبية هائلة من أمتن أنواع الخشب ، مدت فوقها جسور خشبية وخطوط حديدية فكانت طريقاً مزدوجاً للبشر والنقل فالماشي الى الجانبين والخط الحديدي في الوسط . وهذا الجسر لا بد منه لانشاء الخزان . وكان العمل يجري عليه نهاراً وليلا بلا انقطاع

كل المدة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٧ . وعند الجسر كان في النيل « معديات » للمهندسين والمتعهدين . ولنقل الاشياء الخاصة التي لا يمكن تسييرها على الكبري . فكانت المعديات تعبر عباب الماء في كل ساعات النهار من الصباح الى المساء

﴿ ٨ : مركز حكومة ﴾ وكان لا بد لضبط النظام والفصل في القضايا بين عشرات الالوف من الناس — كان لا بد — من انشاء مركز حكومة فيه مفتش قضائي ومأمور وحكمدار وهيئة بوليسية وسجون وكان البوليس على قدم العمل في الخزان وفي السوق وفي المستعمرة وكانت القضايا الجنائية التي تنشأ بين العمال ترد الى ذلك المركز

﴿ ٩ : البريد والبرق ﴾ كذلك كان من اللازم انشاء فرع للبريد والبرق ، لقضاء حاجات تلك الالوف . وقد قسمت تلك الادارة الى ثلاثة فروع : البريد : والتلغراف : والتلفون . فكان البريد يحمل الجرائد والمجلات بأكثر من خمس لغات — العربية والانكليزية والايطالية واليونانية والالمانية والفرنسية وغيرها . ويقوم بواجب ألوف من التحاويل المالية كل شهر . وكانت ادارة التلفون قائمة على العمل ليل نهار ، وكذلك ادارة التلغراف . وكان توزيع البريد والبرقيات بالدقة في وقته حذراً من تعطيل المصالح ، لان هنالك ادارة الري وادارة الخزان وكلتاهما من الخطر بمكان

﴿ ١٠ : السلك (Wire) ﴾ وهو من أهم الاعمال التمهيدية التي أذكرها هنا . وفي ظني انه أغربها وأعظمها وأبدعها . بل هو من أبدع آي الفن الميكانيكي والعلوم الطبيعية . عقد السلك على أربع قوائم اثنتين على كل ضفة من ضفتي النيل على القائمة الواحدة ستون متراً ، مؤلفة من جسور « وشرحات » من الحديد وبين القائمتين تماماً كان السد المؤلف الخزان فكان السلك فوق السد تماماً . والغرض منه نقل الحجارة من الضفة الشرقية الى موضع البناء في حوض النهر او على الضفة الغربية وهناك محرك كهربائي (دينامو) كان يدير آلة متصلة بأسلاك حديدية ، ربطت بها جرادل كبيرة . يسع الجردل الواحد من الحجارة ما يزن ثلاثة اطنان . فكان العمال يملأون هذي الجرادل بالحجارة الضخمة ، فيحملها السلك محركاً بالكهربائية الى فوق حتى تصل الى السلك العالي . وحينذاك تسير على بكرات بقوة الكهربائية الى حيث يلزم . وهنالك تهبط الجرادل بقوة الكهربائية الى الارض ، فيفرغها العمال ، ثم تعود فترتفع بقوة الكهربائية وتعود الى الضفة الشرقية لاعادة ملئها بالحجارة . كان هذا العمل مستمراً كل زمان البناء . ولولاه لكان نقل الحجارة من الضفة الى حوض النهر من اشق الاعمال . وهذا الجهاز اعظم واتمن آلة استخدمت في بناء الخزان

عدا ما ذكرت من الاعمال التمهيدية كان هنالك «الكراكات» ، العاملة في نقل الركام في وسط النهر من جانب الى جانب . وهنالك سيارات عديدة للركوب والنقل . ومعمل للتحليل الكيميائي . وآلات لقطع الحجارة وصنع الخراسانة والاسمنت ، ولكل من تلك الفروع ادارات واقلام واخصائيون فاكتفي بالاشارة لتصوير الحال

٣ — السدّ الذي يكوّن الخزان

هنا نقطة دائرة المسعى ، وملتقى خطوطه ، ومنحنى محركاته . كان العاملون في الخزان نحو عشرة الآف منهم الفان يعملون في تقطيع الحجارة واعدادها في السليتات يتبع هذي الالوف اكثر من عشرة آلاف آخرين من نساء الموظفين والعمال ، واولادهم ، وخدمهم ، والتجار والبقالين والخياطين والغسالين والخبازين والصباغين والمقاولين الصغار وغير هؤلاء من المتعلقين بالهيئة العاملة . يسكن هؤلاء في ثلاث خلل (قرى) عدا الخيام ، فهنالك مجموع من البشر لا يقل عن عشرين الف نفس ، تحور جميعهم الخزان . تنظر الى السد من على ، فتحت نظرك مشهد روائي غريب واني اراه اغرب من حكايات الف ليلة وليلة . فهنالك اولا اربعمائة وثلاثون معمارياً أحنوا ظهورهم يبنون كل النهار ولكل من هؤلاء عمال ومناولون يقدمون له ما يلزمه من المواد . بل هؤلاء «الحالون» والحفارون والسقاؤون والملاحظون والمتعهدون والباعة المتجولون وكل هؤلاء تحت شمس السودان المحرقة بعضهم بالملابس الاوربية التامة وبعضهم نصف عراة او شبه عراة او عراة تقريباً ، حفاة الاقدام ، حاسرو الرؤوس والسواعد والصدور . هؤلاء يعملون على ما كبهم الحجارة الضخمة التي قد يعجز الحمار عن حملها . وهؤلاء يعملون «جرادل» الطين ، اوصفائح الماء ، او أكياس الرمال ، وآخرون يعملون في تفريغ العربات مما تحمل من المواد وآخرون يعملون في هندسة الحجارة بالمطارق الحاطمة ، وفي الوقت نفسه صفير القطار يصم الآذان ، وقعقعة السلك يحمل الجرادل ، واصوات «الكراكات» والادقال والجدائد والمطاحن والمطارق والكهربائية والسيارات . وترى العمال الوفاً يحيطون باربعمائة بناء يشيدون في بقعة واحدة ، وواعجباً مما ارى ان اولئك الالوف ، وقد احنوا للحمل ما كبهم ، وهم يسيرون صعوداً او نزولاً على سطح مائل في وسط الجلبة والضوضاء . مع ذلك لا يخطىء واحد منهم هدفه بل يسير الى المعمار الذي يتبعه هو ويناوله ما يحمل ولا يخطىء مع ان المعمارين متشابهون وهم مئات متجاورة — مع ذلك — يسير العمل بانتظام وهدوء وسكينة كأن معماراً واحداً في المكان

وترى الوفاً منهم مستريحين في فترة العمل يشربون الشاي . احصيت مرة على الهويس تحت نظري نحو عشرين جماعة منهم ، كل جماعة حول ابريق شاي وكل هؤلاء في بقعة صغيرة . فقس على ذلك سائر المحيط . اما حبلهم الجرار صباحاً حين يأتون الى العمل ، ومساء حين يعودون من العمل ، فحدث عنه ولا حرج . هنالك يوم الحشر والنشور ترى العميل الجارف من البشر من كل طبقات الخليقة وكل الوانها ، الصدر الى الظهر ، يدفع اللاحق السابق ، وقد اكتظت الاقدام على ذلك الجسر الغريب الاوصاف حتى انه يعسر على المرء الاصحاب من وسط ذلك التيار البشري ويخيل اليك انه لو رفع قدميه عن الجسر لظل سائراً في وسط الحشد لان الضغط الى الجانبين يضمن بقاءه سائراً محمولا

تنصرف تلك الالوف مساء الى ما آوى بعضهم للطبخ والنفخ وبعضهم للتدخين وقراءة الجرائد والروايات وبعضهم للتقاهي واللاهي وبعضهم لسمع الراديو والفونغراف وينتشر مئات منهم في عرض الفلاة تحت سماء السودان تتعون النفس بلطيف نسيمه وبعضهم يغط غطيطاً عالياً تسمعه من بعيد وبعضهم يعاقر الدخان او يقامر وبعضهم يصلي ويرسل التسابيح . على هذي الحال يبيتون الى الصباح حتى اذا كانت الساعة الخامسة صباحاً وقد صفر الصافر تنبعث تلك الالوف من لحوفها وتسير مواكب متراصة الى الخزان كأنها سائرة الى المقاتل . على هذي الحال استمر القوم أربع سنين

والآن أمامنا الخزان وقد تم بناؤه . فلنحدر عن الجبل، حيث بناية الري على ضفة النهر الشرقية . فأمامنا السد العظيم الفخم الذي مشيد بحجارة الجرانيت، ممتدًّا في عرض النهر من الشرق الى الغرب نرى أوله ولا نرى آخره في أراضي غربي النهر . طوله ٥٠٠٠ متر وعلوه ١٨ متراً وعرضه ٥ ½ متر وسطحه ٣٧٩ متراً فوق سطح البحر وأعلى منسوب مائه ٣٧٧ متراً وأوطأه ٣٧٠ متراً وأعظم عرض الماء حين امتلائه ٧٢٥٠ متراً وأضيقه ٢٠٠٠ متر حين انخفاض المياه ومتوسطه ٤٠٠٠ متر وهي تضمر ٣١٤٠٠٠ فدان مربع من الارض أو نحو ١٣١٨ ميلا مربعاً . وفي السد ١٧٨٠٠٠ متر مكعب من الحجارة الرملية و ٩٩١٠٠ متر مكعب من حجارة الجرانيت منها ١٧٨٠٠ متر مكعب منحوتة و ١١٥٠٠٠ متر مكعب من الاسمنت وزنها ٨٠٠٠٠ طن و ٣٠٠٠٠٠ متر مكعب من التراب ومجسم البناء ١٠٠٠٠٠ متر مكعب والركام ٢٨٤٥٠٠ متر مكعب وستائر الحديد ٨٠٠٠ طن . وتسير الآن على السد ٤٥٣ متراً على الضفة الشرقية وبعدها ٤٦٤ متراً هي السد الصامت الى الهويس ثم الهويس وعرضه ٦٠ متراً فيون الماء وهي ٦٠ عيناً منها ١٠ مقفلة و ٥٠ مفتوحة وبعداها كلها ٦٦٢ متراً بعدها السد الصامت الغربي ٢٤٤٥ متراً بالستائر الحديدية و ٨٦٧ متراً بدون الستائر

والستائر الحديدية جسور طويلة متداخلة طولها ٩ أمتار تغرز الى جانبي السد في الارض فتكوّن سورين بينهما بناء السد . وقد رأيتهم يدقونها في الارض بالمطارق الكهربائية وهي من أدق وأضبط صنوف البناء . والهويس طويل عريض بديع في وسطه مجاز السفن طوله بين البوابتين الحديديتين ٨٠ متراً وعرض الماء فيه ٢٢ متراً ومساحته كله ٣٦٨٠ متراً مربعاً ويحجز الخزان من مياه النيل ٣ ١٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب ويدخر منها قبلما تصل اسوان ٩٠٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب ويصل اسوان ٢٢٠٠٠٠٠٠٠ متر مكعب وهي تكفي ري ٥٥٠٠٠٠ فدان

***

وقد كمل بناء السد في اول ابريل الماضي يوم الخميس الساعة ١٢ ظهراً ولم يبق الا أعمال تكميلية جزئية تنتهي بوقت قصير . وقد انصرف جميع المهاجرين وأكثر العمال ولم يبق الا عدد يسير منهم لانجاز ما تبقى وهو قليل

٤ — مغازي الخزان

رأينا ما هو الخزان . وعرفنا لماذا كان . وكم هي قفاته . وعدد عماله . وأوصاف قسامه فماذا يستفاد من كل ذلك ؟ ماذا ترى البصيرة وراء ما رأت الباصرة ؟ هذا هو البحث الجدير بشيخ مجلات العالم العربي . وأراني في الموقف القانوني اللائق بمؤرخ أقدس الجهود الانسانية . وأرى أمامي حقائق هي أجدر بالخلود من السدود والاهرام . ولا أراني أقوى على سردها كلها ، فأقتصر على الاشارة الى بعضها

أولا : ان هذا الخزان ظاهرة ارتقاء من الناحيتين العمرانية والاقتصادية . فلا تقوى أمة منحطة على ابرازه . وهو مجلى المبلغ السامي الذي أدركه الانسان في تطوره وارتقائه ومما يجلى لنا فيه

(١) فن العمار (٢) فن الهندسة (٣) فن الميكانيكا (٤) الفنون الطبيعية (٥) نواميس السائلات (٦) نواميس الكهربائية (٧) الري والمساحة وقواعد الاقتصاد (٨) الشركات التجارية (٩) المبادىء السياسية (١٠) الائتلاف الانساني والتعاون الاجتماعي

كل هذي المجالي على جلالة قدرها انما تصور لنا فرعاً واحداً من شجرة الزوح الباسقة. تلك الشجرة المباركة اصلها ثابت وفرعها

* * *

ثانياً : ارى في هذا المسعى العظيم « حرص الانسان على كيانه » . يحول النشاط الانساني في المحيط الكوني الى أبعد الآفاق محاولا ايجاد وسيلة ، او استنباط حيلة لضمان كيانه . والحرص على الكيان اول الغرائز الانسانية واولاها بالاهتمام . ومن هذا الاصل الاول تتفرع نوازع جمة كالتمدن والعمران والاقتصاد والنظام والاجتماع والشرع والتدين والشرف والوفاء والتآلف والتحالف والنجدة والايثار الخ .

فاذا اعترض الجهد الانساني عقبة في سبيله ، تحول دون فوزه بالكيان مباشرة او مداورة ، عمد الى التغلب عليها ، اما بشقها شقًّا كما فعل بنفق مجلون ، او بزحزحتها من السبيل ، او بالتفافه حولها والدوران بها بحيث يتسنى له استئناف سيره الاصلي كما فعل الانهار في مجاريها . والحاجة ام الاختراع . وان حيلة الانسان احتفاظاً بكيانه تؤلف تسعة اعشار مساعيه العمرانية . وهذا الخزان احدى المحاولات الانسانية لضمان الكيان . هو استغلال الماء لاجل الحياة

وما استلزمه انشاء الخزان من علم وفن وصناعة وسياسة انما هو مقياس ما بلغ الانسان من المستوى العمراني والمدني

ثالثاً : يجلى لنا في مسعى كالخزان « التضامن الانساني » والترابط الوثيق بين افراد

النوع ، ولاسيما بين السلف والخلف . مات بعض الذين كانوا يعملون في انشاء الخزان قبل انجازه . وسيموت اكثر الذين عملوا به دون ان يتناولوا شيئاً من ثمراته . والذين سيستغلونه ممن سيولدون هم اكثر جداً ممن يستفيدون منه الآن . فسيستغله مئات الملايين ممن سيولدون في وادي النيل في عشرات القرون . فسعي الالوف ، وبذل الملايين ، على عمل يستفيد منه الحفدة وحفدة الحفدة هو ما اسميه « التضامن الانساني » . فانا نبني ونغرس لمن بعدنا ، كما بنى وغرس لنا من كان قبلنا . هذا هو خط الارتقاء الصاعد ، مجلى النشوء البديع ، هو استمرار الطبيعة في مجراها لحفظ النوع وسلامة افراده من غوائل الفناء

سيغص وادي النيل بالذراري ، فتضيق بهم الارض على رحبها ، وتنضب الموارد على وفرتها ، فنرانا ملزمين باعداد المدات وتوفير الوسائل الواقية والضامنة لكات والوف السنين وهذي الجهود التعاونية لغز لا يفسر ، الا بانه « تضامن » . هذا هو الحل الصحيح لالغاز التعاون البشري ، منشؤه الفطرة ، ومنتهاه المدنية والارتقاء

***

رابعاً : الخزان في جبل اولياء حجة تثبت حق مصر في السودان هو حجة عملية راهنة لايقوى مراء على انكارها . هو صورة اعتراف انكلترا والحكومة السودانية بحق مصر في النيل وفي حوض النيل . والا استحال ان يؤذن لمصر ان تنشيء خزاناً كهذا في غير بلدها ، وهو خزان تنحصر فوائده في القطر المصري دون سواه من الاقطار . تحجز فيه المياه لمصر كما تحجز عربات السكة الحديدية لاصحابها . ولكن حجز المياه في خزان جبل اولياء ليس استئجاراً بل امتلاكا . فلم تستأجر مصر مياه النيل والمحيط حول جبل اولياء ، لاجل مسمى . بل هي صاحبة الماء وصاحبة المحيط حول ذلك الخزان . وقد أثبتت ملكيتها ذلك الموضع لاجل غير مسمى . وقد رهنت بنائها الخزان على انها صاحبة السودان ، او انها والسودان قطر واحد وعبارة الجرائد ان السودان جزء لا يتجزأ من وادي النيل . فالذين عارضوا في بناء هذا الخزان على اساس سياسي كانوا يكونون معقبين لو كان السودان بلداً اجنبيًّا . اما وقد اعترف الداني والقاصي بحقوق مصر «التاريخية والطبيعية» في السودان وفي النيل فقد فات اولئك المعارضين ان انشاء هذا الخزان هو كبصم الختم على الحجة من الطرفين . فلا يبقى ثمة مجال للمرء في ان السودان لمصر ومصر للسودان ، او انهما بلد واحد وهو افضل التعابير وأصدقها فليحرص على ذلك المصريون

***

خامساً : واخيراً : بقي ان هذا الخزان عجلى ما بلغ المصري من الارتقاء . الجرائد عجلى بطبيعة الامة وخلقها . ولكن الجرائد قد تكون عجلى غير طبيعي ، وقد تكون عجلى زائفاً او ملتبساً فلا يتمكن غير ثاقب النظر من ادراك الشأو الذي بلغته الامة بدليل جرائدها . اما الخزان فعجلى طبيعي لا ريب فيه ولا التباس . فقد بناه اربعمائة وثلاثون مهاراً لم يكن

فيهم واحد غير مصري . وقد شيد باموال المصريين وادارتهم وحكمهم . فلم يبق ثمة ريب في علو كعب المصري . وكان المهندس المصري صاحب الكلمة في الخزان . فاذا تقول اذا عرفت ان هذا الخزان هو أمتن الخزانات بناء واقلها نفقة ؟ أولا ترى ان ذلك بينة ارتقاء المصري في اكثر من فرع واحد في شجرة العمران ؟

كان في جبل اولياء مئات من المصريين من مهندسين وملاحظين وكتاب وارباب ادارة وكان هؤلاء في احتكاك دائم بعضهم بالبعض الآخر وبالانكليز . والاحتكاك المستديم في دائرة العمل لا يترك مجالا للتصنع والزيف . فاذا كان من المصري ومن الادارة المصرية؟ هل حدث بين المصري والانكليزي خصام او جفاء؟ وهل كان المصري دون اخيه الاوربي خلقاً ورجولة ؟ وهل كان في ادارة المصري شيء من التشويش والترطم ؟ لا وايك . سل عنها خبيراً . فقد لاصقتهم سنين : ووقفت على امرهم في حالي رضاهم وبطشهم . فلم ار الا « ما يزين » . لم تكن هنالك ثغرة في سور الادارة المصرية . ولا نقص في خلقه ، ولا خلل في علاقاته . اربعة اعوام مرت ولم يحصل مشكل في الادارة او العلاقات ، لا بين المصري والمصري . ولا بينه وبين اخيه الاوربي . زد على ذلك انا لم نسمع ان احداً من اولئك المئات اتى امراً ادًّا . بل كانوا جميعاً مثلا في المحامد والاخلاق ، من اكبر موظف الى اصغر تابع . وأتموا اعمالا من اجل الاعمال وأوفرها خطراً ، ولم يتركوا الا ما يستوجب الثناء والاعتبار ، من الاجنبي قبل الوطني

***

لقد طفت حول الكرة الارضية نحو خمسة اعوام ، ورأيت الشيء الكثير من بدائع المشاهد ومفاخر الامم ، في كل قطر وتحت كل سماء ، على اني لا اذكر مشهداً ابدع منظراً وأشرف مخبراً من رؤيتي حلقة المهندسين في جبل اولياء حول زعيمهم المهندس المقيم عبد القوي بك احمد . وسمعت اشياء كثيرة ترفع الرأس ولكني لم اسمع افضل من اجماعهم على حبه واحترامه وتأييده في كل اجراءاته . فهذا التفاهم بين الرئيس والمرؤوس ، وهذا الاجماع بين التابعين في شأن متبوعهم ، مجلى ارتقاء وتسام لا يمكن الزيف محاكاته

اما النزاهة التي تجلت في بناء هذا الخزان من جانب المهندس المصري مما يرفع الرأس كثيراً . هنا لا معارضة ولا اعتراض . ملايين من الجنيهات أنفقتها مصلحة الري في بناء هذا الخزان ، وكل جنيه ذهب في محله . ولم يتسرب منها شيء الى الجيوب . ولو ان المجال يأذن لي بأكثر من ذلك لما تلكأت . ولكن اللبيب تكفيه الاشارة . فقد ضرب المصري الرقم الاعلى في النزاهة والاتقان في بناء هذا الخزان فلم يبق للمنصف الا احناء الهامة امام هذا المجلى البديع الذي لسان حاله يقول :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

جبل اولياء

فيلسوف عبري يسبق سبينوزا

باروخ سبينوزا

وان جبرول

تعليم نعمة

الفيلسوف الهولندي بندكت سبينوزا علَم من اعلام الفلسفة الحديثة له المذهب الخاص في الفلسفة والآراء والنظريات الثاقبة التي لا تزال مرجعاً سامياً في الكثير من مباحث الفلسفة الى يومنا هذا حتى لا يكاد يخلو مقال فلسفي من الاشارة الى مذهبه او احدى نظرياته

ولد سبينوزا في امستردام من اعمال هولنده عام ١٦٣٢ وهو ابن احد التجار اليهود المثرين برتوغالي الاصل وكان قد قصد والدهُ بتخريجه ان يكون يوماً مدرساً في اللاهوت بيد انهُ اذ لم يجد في تقاليد الآباء ومعتقداتهم الدينية ما يروي اوام نفسه الظامئة الى المباحث الحرة الواسعة ترك دين الاجداد وعكف على درس الفلسفة وخصوصاً فلسفة ديكارت فاضطهدهُ لذلك رؤساء الدين وطردوهُ من مجامعهم فاضطر اخيراً الى هجر امستردام واخذ يتنقل في بعض مدن هولنده حتى استقر اخيراً في الهاي حيث جعل يتعاطى بعض الاعمال لكسب معاشه ولبث فيها الى آخر ايام حياته

اما مذهبهُ الفلسفي فهو المعروف بالحلول Pantheism اي ان الكون هو الله والله هو الكون. والذي يهمنا من مذهبه في هذا المقال هو اعتبارهُ العقل والمادة واحداً او انهما وجهان او صورتان لمادة اصلية واحدة عامة . فالعقل والمادة متلازمان ابداً فلا عقل بلا مادة ولا مادة بلا عقل . انما المادة في ذاتها ليست عقلاً ولا مادة . وعندهُ ان جميع الاشياء والمخلوقات فيها شيء من العنصر العقلي او الروحي وهذا ما ذهب اليه اريسطو قديماً من وجود عنصر روحي في سائر الكائنات الحية وغير الحية انما يختلف وجود هذا العنصر قوةً وضعفاً في الموجودات فهو في الجماد غيرهُ في النبات وفي هذا غيرهُ في الحيوان والانسان

ان نظرية سبينوزا هذه مبنية على نظرية التقابل التي مرّ تفصيلها في المقال السابق الذي

نشر في العدد الاخير من المقتطف تحت عنوان « العقلي والمادي في الفلسفة الحديثة » وقد وضعت هذه النظرية على اثر نظرية الفيلسوف الفرنسي ديكارت من ان العقل والمادة شيئان مختلفان اختلافاً كلياً وليس بينهما شيء مشترك البتة ولا يوجد اي علاقة سببية او تفاعل بينهما. ومؤدى نظرية التقابل هو ان المادي والعقلي كل في دائرته الخاصة على ان كل حركة او حادث يحدث في الدائرة الواحدة يحدث ما يقابله في الدائرة الاخرى وذلك على تمام الدقة والوفاق. وقد تناول سبينوزا هاتين النظريتين وتوصل منهما الى هذه النتيجة البينة وهي انهُ اذا لم يكن من تفاعل بين العقلي والمادي وليس من علاقة سببية بينهما واذا كان ما يحصل في احدهما يحصل ما يقابله في الآخر على ادق نظام واحكام اذاً لا بد من ان يكونا شيئاً واحداً او انهما خاصتان متقارنتان او صورتان متباينتان ظاهراً لا باطناً لمادة واحدة اصلية مطلقة عامة. ويؤخذ من ذلك انهُ حيث تكون المادة فهناك العقل ايضاً وحيث يكون العقل فهناك المادة لا محالة فهما اثنان في الظاهر واحد في الحقيقة. وهذه هي الفكرة الرئيسية في فلسفة سبينوزا وهي اساس مذهبه الذي جعل له هذه الشهرة الطائرة في عالم الفلسفة

وقد اتفق لي ان عثرت مؤخراً في بعض تراجم الاعلام على مختصر سيرة الفيلسوف العربي ابن جبرول وفيها خلاصة وجيزة لمذهبه وآرائه الفلسفية نقلاً عن كتابه « ينبوع الحياة » الذي يتضمن حقيقة مذهبه وكم كان اعجابي بالفيلسوف العربي حين وقفت في تلك الخلاصة على نفس هذه الفكرة في العقل والمادة التي تعزى الى سبينوزا فقط. فعجبت ان لا يكون للفيلسوف العربي ذكر بهذا المعنى وان ينسب الفضل فيها كلهُ الى الفيلسوف الهولندي بينما ان ابن جبرول سبقهُ اليها بما ينيف عن ستماية سنة. وابن جبرول كما ورد في ملخص سيرته هو المعروف عند الافرنج باسم اويسبرون Avicebron العالم الفيلسوف اشتهر عند اهل القرون المتوسطة بكتاب سماه «ينبوع الحياة» ووثق به بعضهم فأتوا من كلامه بشواهد وعدهُ آخرون كافراً وكانوا يجهلون حقيقة حالهِ ودينهِ فلا يعرفون هل كان يهودياً او نصرانياً او مسلماً وما برح مجهول الحال حتى عثر بعض الباحثين على نسخة عبرانية من كتاب «ينبوع الحياة» مترجمة من اصله العربي فعرف ان اويسبرون المذكور هو سليمان بن يهوذا بن جبرول المعروف عند العرب بأبي ايوب سليمان بن يحيى. وكان مولد ابن جبرول بمالقة في حدود سنة ١٠٢١ للميلاد وتوفي في سنة ١٠٧٠

وهذا هو نص العبارة التي تكشف عن حقيقة مذهبه نقلاً عن ملخص الترجمة المشار اليها — ان الجنسين الروحاني والجسداني ليسا سوى نوعين من جنس ارفع منهما وهو المادة الموجودة في كل منهما وان المادة الهيولية والمادة الروحانية ليستا سوى جزئين من المادة العامة والمراد

هنا بالمادة على مذهب الحكماء المشاة احدى علل الوجود وعنده ان مادة واحدة او جوهراً واحداً يكون قياماً للعالم الارضي والعالم العقلي وقد استند في ذلك الى دليل قاطع فقال « انهُ مما اجمعوا عليهِ (يريد فلاسفة اليونان وبالاخص زعماء الافلاطونية الجديدة) ان العالم العقلي هو علة العالم الحسي وكل معلول لا بد لهُ من بعض اشتراكة لعلتهِ في الطبيعة ولو لم تكن هذه المشاركة لامتنع حصول الفعل فان كان في كل شيء من هذا العالم مادة وصورة ولم تكن تلك المادة في العالم العلوي فكيف امكن تولدها وكيف يصح ان يقال ان علتها في العالم العلوي ولا يصح الاعتراض بأن الجواهر الروحانية بسيطة وما سواها مركب لان بساطتها انما هي بالنسبة الى ما كان من دونها من الجواهر ولكنها مركبة حقيقة بالنسبة الى وحدة الخالق المطلقة » . وبالجملة انهُ اعتبر وجود مادة واحدة عامة في كل موجود حاشا الخالق وان هذه المادة هي قيام عالم الارواح والاجساد . يتضح من هذه العبارة ان ابن جبرول كان يعتقد بوجود مادة واحدة عامة لا نوعين من المادة كما كان يظن فلاسفة عصره والذين تقدموهُ وهو عين ما ذهب اليهِ سبينوزا على انهُ وان يكن ابن جبرول قد توصل الى هذه النتيجة من غير الطريق والدليل الذي توصل منهُ سبينوزا فالنتيجة واحدة كما لا يخفى ولا عبرة بالطريقة الاستقرائية فلكل طريقتهُ الخاصة . ولقد رجحت بعد اطلاعي على مذهب ابن جبرول هذا في المادة الى مشهوري فلاسفة اليونان مثل افلاطون واريسطو وزعماء الافلاطونية الجديدة الذين اعلم ان فلاسفة العرب نقلوا عنهم الشيء الكثير على اثر هذه الفكرة في مذاهبهم وآرائهم فلم اقف على شيء من ذلك فأيقنت ان الفكرة هي من بنات افكار فيلسوفنا العربي الكبير وقلت انهُ من الظلم ان لا يذكر بالفضل ذووهُ . وليس من قصدي الحط من مأثرة الفيلسوف الهولندي الكبير ولكن ارى من الواجب انهُ اذا ذكر اسم سبينوزا بهذا الصدد ان يقرن الى ذكر اسم ابن جبرول . وليس اسم ابن جبرول بالمجهول عند فلاسفة الغرب فقد كان لهُ مناظرات ذات شأن مع اكبر فلاسفة الاجيال الوسطى اعني القديس توما والبرت الكبير [1] وغيرهم فليس بالمعقول ان يكون الغرب يجهل آراء ابن جبرول

***

اما خطر هذه الفكرة وقيمتها الفلسفية فهي انها جعلت المبدأ العقلي والمادي في مستوى واحد بعد ان كان العالم لا يفكر الا بالاشياء الحسية فأصبحت الفكرة مجالاً للبدإ العقلي وأصبحت حقيقة

(١) القديس توما هو الفيلسوف توما الاكويني الشهير وقد كان هو واستاذه البرت الكبير من اشد خصوم ابن جبرول فيرد ان روجر باكون الفيلسوف الانكليزي كان من انصاره وقد قبل آراء ابن جبرول بجملتها بعد ان عدل فيها قليلا ورد بحماسة على من ناقضه

ملموسة بعد ان كان ينشأها الشيء الكثير من الغموض والابهام . ولم يقف الامر عند هذا الحد فان متتبع الآراء الفلسفية في ادوارها المتسلسلة لا يلبث ان يلحظ أن المبدأ العقلي اخذ بالتغلب رويداً رويداً على المبدأ المادي حتى كاد يلاشيه من عالم الوجود كما يظهر من فلسفة شتنغ وهيجل وفيخته وجميعهم من اعاظم الفلاسفة المحدثين . وقد تبين مما تقدم ان العقل والمادي» ان الفيلسوف ليبنز قال باجتماع الضدين في الجوهر الفرد الا انهُ حكم بتغلب العنصر العقلي على المادي وتقدمه عليه . ثم ان الفيلسوف الالماني كانت جعل القوة الادبية او الضمير الانساني لباب الوجود . كما جعل يتشه القوة . وشوبنهور الارادة . وسبنسر القوة المجهولة . وكل هذه من الامور المعنوية العقلية كما لا يخفى . أوليس ان في الرأي العلمي الحديث تنازع البقاء ما يشف عن معنى ارادة البقاء وحبه ؟ أليس هذا ايضاً من الامور المعنوية العقلية ؟

وللفيلسوف العربي ابن جبرول آراء وافكار غير هذه جديرة بكل اعجاب ولها قيمتها الفلسفية الخاصة . فقد ورد مثلاً في خلاصة مذهبه هذه العبارة : « ان المادة الطبيعية اي الجوهر المنتشر يتحرك ليتخذ صورة العناصر الاربعة (اي الهواء والماء الخ) ثم يرغب في اتخاذ صورة الجماد ثم النبات ثم الحيوان ثم يطمح الى الامتزاج بالعقل والارتفاع الى ذلك العقل العام الذي هو منتهى كل الارتقاء واليهِ تنتهي كل حركة » . أليس في عبارته هذه دلالة واضحة على مذهب الارتقاء من المادة الترابية الى جوهر العقل الانساني . أوليست هذه هي الفكرة الرئيسية في مذهب هيجل في مادة الكون والارتقاء الدائم ذلك المذهب الذي كانت لهُ السيادة التامة حتى أواخر القرن الماضي ولا يزال لهُ شأنهُ الكبير الى يومنا الحاضر ؟ ولا سيما ان ابن جبرول يذهب الى ان « المادة هي قوى روحانية عقلية الطبيعة غير حسية لا يتيسر ادراك كنهها بالتصور » فكأنهُ وضع بقوله هذا جرثومة المذهب الروحي الذي كان جوهر فلسفة الفلاسفة الالمان من عصر كانت الى هيجل وهارتمان وشوبنهور

***

هذا ما أردت بيانهُ اقراراً بفضل هذا الفيلسوف العربي الكبير ورغبةً في تعريفهِ الى أبناء العربية في مختلف الاقطار . وانهُ لمن دواعي الاسف الا يكون أبناء الضاد يعرفون من أمر نوابغهم أكثر مما يعرفون ولكن لا أقل من أن يحيا ذكر أولئك النوابغ العظام في أذهان أدباء العربية وأبنائها المثقفين . أليس لارباب الفلسفة والحكمة المشرقية إسوةٌ بأرباب الشعر الذين نروي أشعارهم ونجلّ آثارهم

من الادب التركي

وكانت الذئاب تعوي

للكاتب التركي حسين جاهد

نقلها نقولا شكري

جرى ذلك في الغابة ، عند المزيع الاخير من احدى ليالي الخريف اذ كانت الذئاب تعوي وكانت الاوراق الذاوية تنفصل عن الاشجار بتؤدة كما تبدد احلام المرء اذا صحا من نشوته ، وتسقط على رؤوسنا بخفيف بشبه الزفرات القصيرة . فما أتعس نهاية احلامنا ؟

وكان ذلك الخريف حزيناً ، يبكي ويتحب في الظلام خلال الاغصان مع الحشرات الاخيرة التي كانت تأوي الى بعض الشقوق والثقوب فتموت هناك او تقضي تحت قشرة جافة تأت من جذع الشجرة قليلاً

وكانت الذئاب تعوي

اما عواؤها فهو طوراً تهديد كأنهُ دوي عاصفة بعيدة ، وتارة شكوى التضوب العاجز فينتشر فوق الاشجار الساجية هنيهة ، ثم تعود تلك الظلمات الى سكونها ، وينقطع دوي الحشرات ، ويملك الليل لسانهِ متنفس بهدوء تنفس الخائف الحذر

النار تضطرم وها نفير ، وفيها المتوجرج لم يكن ليغير جذوع الاشجار المجاورة ، واضواؤها المضطربة تنعرس في الظلام الدامس المقنط كأنها عينا طفل مروع يحدق في السواد البعيد ليسبر غوره ، وليس لهُ جرأة على التقدم خوفاً من الظلام ورهبة للمجهول . والى جانب النار يضطجع احد رفيقي في ردائهِ الواسع وينام نوماً هادئاً ، وهو رجل جميل قوي لايظهر منهُ في ذلك الرداء غير وجهه . والآخر شاب هزيل عصبي جلس ازائي واخذ يلقي في النار قطعاً من الخشب بدون انقطاع . وكان قد قرَّ من سجنه حديثاً وعدنا الى حياة المغامرات في الحراج والوديان والجبال ، نحن احياء ابداً وهاربون ابداً

طوق صديقي الشاب ركبتيهِ بذراعيهِ واخذ يلقي على النار نظرات حزينة من مقلة جامدة

كأنهُ يقرأ لغة اللهيب . وكان يتابع حركات النار حتى اذا تحول الوقود رماداً تناول غيرهُ والقاهُ في النار ، وعاد الى تطويق فخذيهِ بيديهِ وتأمل بعيني مفكر وبقينا صامتين . عوت الذئاب ايضاً عواء شديداً محزناً حتى اعتقدنا ان ضوء نارنا يزعجها فهي حولنا مضطربة مضيقة حلقاتها

قال رفيقي : ما أقبح هذه الوحوش فأجبته : لقد خافت النار

قال : كلاّ . ولكن العالم ضيق حتى على الحيوانات فليكن ملعوناً

فشعرت ان اناً عميقاً يهيج في صدره ، وكان وجهه مصفرًّا تقع عليهِ اضواء النار فيصبح كأنهُ شبح من الاشباح . ولاح لنا ان السكلام متعذر فاستولى السكوت ثانية . ثم عاد صديقي الى السكلام بعد هنيهة فقال وهيئته تدل على انفعاله : أتعلم اني تعب اود ان انام نوماً طويلاً عميقاً

فقلت لهُ : نم انت وانا اقوم على الحراسة

فتمتم قائلاً بلهجة التوبيخ : ايها الجبيت . انك لم تفهم مرامي . اريد ان اقول لك نوماً طويلاً بدون يقظة . نوماً ابديًّا

— ماذا أصابك ؟ — اني تعب . تعب جدًّا من الحياة . بعد السجن ؟ وفي الحرية ؟ نعم بعد السجن وفي الحرية . افٍّ لهذه الحرية !

— هل تعلم كيف فررت ؟ — اعلم انك حر وحسبي ذلك فلا اكترث للبقية

— ولكن البقية هي التي تهم ايها الرجل الساذج . انها هائلة . وهذه الحرية على ما ترى أضيق من السجن . أصغ اليَّ فسأقص عليك كيف فررت من السجن ومتى وعيت كلامي فأصدر حكمك العادل وقل لي هل انا مجرم ام لا

وعوت الذئاب من جديد

هل سمعتها ؟ هذه الوحوش الضارية تقوم بجنازة حريتي وشكوا حالا تتحيرا بدأ : العالم ضيق ، ضيق ، ضيق !

انك تعرف ان ولادتي كانت شؤماً على والدتي وان اللعنة لحقتني من المهد . أوقفت مرة لفراري من الجندية وكان عليهم ان يسوقوني بعد بضعة ايام مغلولاً الى مقرّ الحكومة لمحاكمتي . فيجب عليَّ ان افر اثناء الطريق واتخلص من الحراس الذين يرافقونني . وليس لي من سبيل آخر . ولكن كيف انجح ؟ هذا هو الفكر الذي ضغط حواسي وجاشت لهُ نفسي كأنها عصفور في قفص يضطرب ويختلج . اما الحارس الذي كان معهوداً اليهِ في حراستي فهو صديقي وكان يندي لي رقة وعطفاً فسألني بصوت منخفض : ألست نائماً ؟ — كلا

انك تفكر في والدتك دون شك . مسكينة تلك العجوز . ثم ابتعد عني وبعد برهة عاد اليَّ وكلمني عن والدته التي تعيش في بلاد نائية وما زالت منذ سنوات تتوقع عودته

قال : ولتكد الطالع ان اخي الاكبر في الجندية وقد دعي الى الخدمة هو اليوم في ساحة

القتال . اظن ان هذه الحرب المشؤومة لن تنتهي . كم قتل فيها حتى الآن ؟ وما هي الانباء التي تأتينا عنها ؟ ومن يعلم ماذا يحدث ؟ ثم ان لاخي زوجة هي أم مسكينة . امرأتان بدون رجال وبدون معونة ، فقيرتان لا تملكان ارضاً . الجميع هنا فقراء . آه . ان فقرهم مدقع وليس لهم ارض زراعية . وهكذا كان يحدثني عن احواله وأحدثه عن والدي وكآبة سجني وفيودي ، ويحدثني عن خدمته العسكرية واخيه واسرته البعيدة . وختم حديثه قائلاً : الحياة قاسية يا اخي

فأجبته : نعم قاسية جداً . ثم عاد الى تشبيه وعدت اعد خطواته ربما يدركني النعاس . ولكن الفكر الوحيد الذي كان يدور في خلدي هو : أيطلق علي النار اذا هربت ام لا ؟ وكنت اتشوق لمعرفة الحقيقة فحدثت عندئذٍ حادثة غير منتظرة اتت كجواب على سؤالي المتقدم . ففي احدى الليالي استولت الرهبة على السجن اذ اطلق الحراس طلقات عديدة فاجابهم الجنود في سائر الانحاء باطلاق قذائفهم بشدة وعنف وصحبنا عقب هذا الدوي ضجة ومحادثات واعياناً واوامر مخيفة وقعقعة سلاح وصرير ابواب وعويلاً . وفي اليوم التالي كبلوا بالحديد ارجل معظم الموقوفين وكنت انا من جملتهم وعلمت ان اثنين من السجناء حاولا الفرار بعد ان نقبا سقف غرفتهما ولكن مشروعهما حبط

ولكن على الرغم من ذلك كنت افكر في الفرار ولا مندوحة عنه للخلاص . ولكن كيف ؟ هذا السؤال استغرق افكاري وبلبل خاطري وتمثل لي في الف شكل يبان بعضها بعضاً وبينما انا افكر في كل هذا اقترب الحارس ثانية من بابي وسألني . ألم تنم ؟

كلاَّ — لم أستطع ذلك فالحر شديد وقد أقلقني هذه الاحلام المشؤومة . فتمتم الحارس قائلاً بصوت متلجلج : الاحلام المشؤومة ... نم يا اخي نم ... آه . فلتكن الحياة ملعونة .. أفٍّ !

قال ذلك وفي صوته رنة ألم غير عادية فعرفت انه حزين باك يشرق بدموعه فسألته : هل جاءتك انباء مشؤومة من اسرتك

— لقد قتل اخي .. كتبت اليّ امي بذلك .. ما أشد بؤسك ايتها العجوز ! نم يا اخي نم ... ان الحياة مرة . . . . ولم يستطع ان يتم حديثه لانه أجهش بالبكاء فابتعد عن بابي في الرواق مخطاه المنتظمة ذات الوقع الحاد . وكان يحمل على منكبه سلاحه حزناً لا يوصف فنسيت ألمي وشرعت افكر في حزن صديقي . انه يبكي ولكنني اذا هربت قتلني قبل ان يجفف دموعه لان حراستي موكولة اليه وعليه ان يسهر كي لا يشذ صريف سلاسلي ، وليتني السجن ضريع التأثرات والعواطف والآمال . وقطع الحديث على صديقي سقوط أوراق من الشجرة كان لها حفيف شديد . وفي تلك اللحظة مرّ بنا ذئبان يتقاتلان ويثبان فأمسك صديقي ببندقيته وسدّدها وأطلق النار . فعوى الوحش المصاب عواء أليماً وصرخ صراخاً مزعجاً ثم سمت فاستيقظ رفيقنا

النائم ووضع يده على بندقيته فقال لهُ رفيقه : ثم لا تجزع فاني قتلت ذئباً . فقلت : لقد قتل الذئب فان عواءه كان صرخة الاحتضار وذلك خيرٌ لهُ . ألم أقل لك ان العالم ضيق ضيق على الجميع

ثم ضحك ضحكاً غريباً وزج في النار وقوداً وأتم حديثه قائلاً : لم أستطع أن أجد وسيلة للفرار فتركت ذلك للاتفاق وفوضت الأمر للاقدار وما أخطأت في ذلك ففي ذات يوم سلمني صديقي الجندي كتاباً فقضضتهُ واذا هو مكتوب فيه : سيقودونك غداً فحاول ان تجلس لتستريح على ضفة النهر في الخرج

مزقت الورقة ولكن الكلمات رسخت في دماغي كأنما طبعت بحديد محمى ولم اقتطع عن ترديدها . ولكن من كتبها ؟ كنت أجهله . لم يتضح لي سوى شيء واحد وهو ان رفاقي في الخارج يفكرون في انقاذي وان جلوسي الى ضفة النهر في الخرج قد يكون له في خلاصي شأن خطير

وأخيراً قادوني من سجني الى الموت او الى الحياة يخفرني جنديان وخواطري المظلمة لا تفارقني . وكنت أسحب سلاسلي بخطى ثقيلة وأتفق أن احد حارسيّ كان صديقي ذلك الرجل الاصهب الشعر الحزين الطلعة والآخر رجل طويل القامة مكفهرّ الوجه تبرهن كل حركة من حركاته ولا سيما نظراته القاسية على نفس ما عرفت الحنان فلم أحفل به واكتفيت عنه دون ان أبدي لهُ ما أحسّ به نحوه . وكان صديقي يشغل خاطري وبدلاً من أن أسرّ باصطحابه إياي شعرت عند نظري اليه بقشعريرة خفية عرتني . ولو أمكنني لناديته قائلاً : لا تصحبني يا صديقي . أضرع اليك ألاّ تصحبني . وكنت آثر أشبه جواداً أجفلته كتلة مشتعلة سدت الطريق فهو يقفز ليجتاز من جانبها ولكن فارسه يرغمه ان يجتاز عليها . لقد روعني حضور ذلك الصديق لكن ربما كان لي في صحبته فوائد جلى . فهو يعطف عليّ ولا يهوى على منكبي بحديد بندقيته اذا تعبت وتعثرت في السير . على انهُ أيّاً كان فهو حارسي ويطلق عليّ النار اذا حاولت الفرار . . لقد خطر لي كل هذا ولكنني برغمي وددت لو انهُ لم يكن من حفاظي وأن يحل محله رجل مجهول لا أعرفه ولا بادلته حديثاً

وبعد أن سرنا كثيراً عدمت القوة فلم أستطع السير . وعندها سألني صديقي الجندي : هل تعبت ؟ فتنشت بسر قولي : نعم ان السير قد انهك قواي وسكت لاني خشيت ان يفضحني صوتي المرتجف فقال وقد عرج عن الطريق الى احدى الاشجار الباسقة الضخمة : فلنستريح قليلاً

ومما لا ريب فيه ان صديقي كان تعباً جداً فجثا بجانبي بينما كان الآخر يتمشى امامي طولاً وعرضاً وبندقيته على منكبه فألقيت الى ماحولي نظراً خفيفاً وحاولت ان أخرق بنظراتي الاعشاب الملتفة لعلي اقع على امارة اهتدي بها فلم ابصر شيئاً . ثم أرهفت سمعي لعلي اسمع حسّاً او ركزاً فلم اسمع شيئاً فقلت : لم يكن الكتاب الاّ خدعة او ان المشروع حبط

وكان الجندي القائم بالحراسة يتطلع تارة الى ما حوله ويحدق بي طوراً ويصيخ بسمعه هنيهة ثم يعود الى مشيته وبعد لحظة قال : فلنسر ، حسبنا راحة وعلينا ان نبذل الجهد لنصل في الموعد المعين . فقال الآخر : اية فلنسترح . واضطجع على العشب آمناً . وفي تلك اللحظة ومض برق من الغابة وروى الرصاص فأبصرت الجندي الواقف يختلج ثم صرخ صرخة ورمى البندقية التي كان يمسكها بيده وانقلب كجذع خاو فاوجست المضطجع بجانبي وأمسك بندقيته وحاول ان ينهض فاندفعت عليه بسائل لا اعرفه وقبضت على عنقه بيدي . انا فوقه وهو تحتي والتفقا كانا أرقان سامان يحاول كل منا ان يهلك الآخر . وعدت لا ابصر شيئاً . ولم اشعر في تلك اللحظة الا بشيء واحد وهو انهُ من الواجب عليَّ ان اقتل الرجل الذي يختبط تحتي فني حياته الموت والمشقة والقضاء المشؤوم . وقد ضغطت ساعدي عند سماع انينه وحشرجته غير انني كنت اعود الى قصي فأزيد في الضغط وانشب ناظبي في عنقه مخالب حديدية

قارب النزاع الهائل نهايته وضعفت حشرجة خصمي . ثم فقدت ساعداه القوة فألقاها بجانبه وتدفق من ثغره دم غزير لزج وجمدت عيناه وظللت اضغط على عنقه حتى شعرت برجل يجذبني من يدي فنهضت مرتعداً وسمعت صوتاً يقول لي : دعهُ فانهُ قد مات . وتطلعت فرأيت رجلاً واقفاً فوقي وهو الذي ترصد حراسي خلف جذع شجرة وقتل الاول بقذيفة من بندقيته تأملته دون ان اعرفه فان ظلمات تراكمت في نفسي واظلمت عيناي فكنت ألمح ولا أفقه ما يجري ولم أبصر سوى الجثة الممتدة امام عيني . ولم أفهم كيف حدث كل ذلك . فقال منقذي : هلمَّ بنا . مالك واقف متحجر وليس لنا وقت نضيعهُ . انهض لنتطلق الى الغابة وعلينا ان نزح الجثتين من الطريق . فلبثت منهوك القوى غارقاً في الاحلام وشعرت كاني عدمت الحياة وانه ليس لي وجود بل تلاشيت وشاهدت منقذي يجر احدى الجثتين على التراب والاخرى من يدها الى اعماق الخرج ثم عاد اليَّ وقال : هيا بنا ايها الوحش الخامل ما ابلدك !

فأجبته : انني فاقد قوى على الحياة . وعندئذٍ أدخل يديه القويتين تحت ابطي ورفعني . وبعد قليل كنا في الغابة قريبين من الموضع الذي دفنا فيه الجثتين . فركنت بجانب جثة صديقي الجندي . لماذا ؟ هذا ما لا اعرفه . وحسبت في تلك الحال انني لا استطيع مبارحتها

وطرق سمعنا صوت جريء بعيد ثم استطعنا ان نرى من خلال الاشجار عربة يجرها اربعة من الجياد وفيها نفرٌ وفتاة ضاحكان سعيدان يتجاذبان اطراف الحديث والفتاة تمسي وجه الفتى بعصن أخضر فيقهقهان . وكان الحوذي ايضاً متهللاً يستحث جياده ويقرع بسوطه . ولم يرُج بي مرأى الحياة وافراحها قبلاً ما هاج بي من السخط والحنق آنئذٍ وشعرت انني قادر ان اخرج من مكمني وانقضَّ عليهم فأهلكهم جميعاً وجيادهم المطهمة

اشتدت الحرب بسرعة واستولى الصمت على الغابة فسكتنا وحيدين ازاء ضحايانا وجريمتنا . وكان صديقي قد كسر قيودي قبل ذلك ولكنني لم افكر في نزعها وأحسست كأني مرتبط بالجثتين — ولاسيما باحداهما — فلن استطيع الفرار . وكنت احدق فيه وأفكر في تلك العجوز المسكينة التي تبكي انها الوحيد في بلدها الثاني حيث الجميع اشقياء مكتئبون . انها تنتحب على بيت واحد وعليها الآن ان تضاعف عبراتها ولكنها لا تعلم شيئاً ولا تزال تجهل حادثته . وهذه العبرات . . وهذه الدماء كلها سفكت لأكون حرًّا . . . ! لاشك في ان امي ستبتهج بفراري اما الام الاخرى المجهولة فعليها ان تبكي . وقد وجب ان يقتل ابنها تحت سماء غريبة لكي احيى انا ، ويسر قلب والدي . فما هذا التناقض في الحياة ! عند ما ينبغي هلاك واحد فهل نهنأ بمعرفته وعندما ينبغي لأم ان تذرف الدموع فلماذا يسألون من هي . . . هذه الارض ضيقة . ضيقة جدًّا على الحرية . . وقد انقذتني الظلمات في الليل حيث حجبت عن عيني الجثتين . وأستمر النهر في مجيبه جائشاً مزبداً منحدراً في المهواة ملاطماً الصخور بدون فترة لكي يكتسب شيئاً من الفسحة وشيئاً من الحرية التي لا يستطيع نيلها الا بتدمير ضفتيه وطغيانه على الارض يحمل الدمار والموت . وكنت حينما التفت أجد مشهداً واحداً مشؤوماً في الطبيعة : لابد من التدمير والقتل لاحراز الحرية . وذكرني رفيقي انهُ يجب علينا الرحيل وعند ما تخلصت من سلاسلي شعرت ان حملي أثقل وأوجع مما كان وأنا مقيد مغلول

وكانت الذئاب تعوي كما تعوي اليوم

كنت حرًّا ولكنني لا أعلم ماذا اصنع بتلك الحرية المشؤومة وتراءى لي كأني ضللت في الغابة زمناً طويلاً وسدرت في ظلمات الليل . الغابة والليل كلاهما ليس لهُ ابتداء ولا انتهاء كلاهما اسود كالحياة ، مملوء بالجنايات كالحياة

خشخش العشب الجاف وسرّ امامنا ارنب منهزم امام وحش ضار فتضجرت وقلت : المشهد ذاته . كل خليقة في العالم تنازع وتفترس خليقة اخرى

ثم سرت مترنحاً في الظلام فاصطدمت بالاشجار . وكنت أسقط على الارض فأنهض لأسقط ثانية وما أقلق النهر يدوي كهزيم الرعد ، والظلمات تستقر على منكبي كاعباء باهظة ، والذئاب وراءنا ما برحت تعوي . والآن يجب أن أسير وأتقدم في طريق الوجود الوعرة الشاقة فاني أصبحت حرًّا . .

وصمت الرجل عندئذ وشرع يقلب الرماد بقطعة من الخشب ثم قطع الدمع عليه الكلام فشهق بالبكاء . خمدت النار ولم يبق منها غير الرماد ، وخيمت الظلمات فوق رؤوسنا ، وكانت الاشجار تتناجى هامسة فبقيت صامتاً لانني لم اجد كلمات أعزي بها رفيقي

وكانت الذئاب تعوي ...

مهمة الحكومة

في التربية

لطفي بك السيد

— ٢ —

في الجزء الثاني من المحاضرة[1] عالج الحاضر مشكلة المركزية واثرها في التربية والتعليم علاجاً مفصلاً بعض التفصيل ورأيهُ في هذا الصدد ان عمل المدارس المصرية لم يكن تربية بالمعنى الصحيح بل كان اعداد الشبان اعداداً آليًا للنهوض بمهام الوظائف الحكومية فنشأ عن ذلك حصر الجهد في حشو الذاكرة والاستظهار وسيطر على المدرسة ذلك النهج العسكري الذي يحدد كلّ ما يقال وكلّ ما يكتب وكلّ ما يحفظ علاوة على توحيده في جميع انحاء القطر على اختلاف الاحوال وتباين البيئات. ثم يتسن اثر ذلك في الطالب والمدرّس والناظر والمفتش

فالمدرسة اصبحت ديوانًا لا حياة ، وضاعت شخصية المعلم والمدرسة في الهائل الآلي المفروض واصبح الناظر القدوة من يحفظ المنشورات والنشرات بالرقم والتاريخ وينفذ الاوامر الصادرة اليه مهما تتافر مع احوال المدرسة التي يشرف عليها . قال : « ولن أنسى صديقاً وزميلاً حظي بتقدير الهيئة الرئيسية كان لا يصرف المدرس نصف قرش من الورق الا اذا كتب الطلب على نصف قرش من الورق نفسه ! . واعرف مفتشاً كان يهدر النهار كله في عدّ ورق النشاف وامتان الريش » . وغدا الطالب اشبه ما يكون بقارورة يصب فيها كل معلم ما اعدّهُ في جعبته من غير ارتباط بين الحقائق المختلفة والاساليب المتنافرة حتى رياض الاطفال . وبدلاً من ان تكون مدرسة التربية مزرعة فيها حقلها وخضيرة مواشيها فاذا هي على ما شاهد بنفسه طائفة من التلاميذ اجتمع الذباب على اعينهم وهم يتلون عن ظهر قلب أحدث ما عرف من قواعد الصحة في النظافة واعراض الرمد ووسائل الوقاية منهُ واذا طائفة اخرى من الطلاب في فصل آخر يصغون الى محاضرة للمدرس في نبولون !

---

(١) راجع الجانب الاول من هذه المحاضرة في مقتطف ابريل ١٩٣٧ صفحة ٤٣٨

والشأن الاول في التربية احكام الاتصال بالحياة ومن هنا وجوب العناية باعداد المربي للتربية ، فهو في التربية ليس مربيًا للنشء فحسب بل ينبغي ان يمكن لهُ الاشتراك في انهاضها بتحسين حالتها الصحية والاجتماعية لانهُ ومدرستهُ مصباح الثقافة والرقي الذي يشع في القرية وختم المحاضر محاضرته بما يلي : —

الخطة العملية للاصلاح

الآن وقد فرغت من بيان المشكلات ووجهات الاصلاح عامة اختم المحاضرة ببيان عملي للاصلاح يضم ما تأثر من البحث . وقد سبق ان بينت التردد والترقيع الذي اتخذت به الوزارة في حركات الاصلاح الماضية . ولا زلت أخشى على الزفرات الشريفة التي برزت اخيراً على لسان معالي الوزير ورجاله ان تتحدر بفعل الروح المتسلطة . وعملاً لا ارى في آخر تصريح عن اللامركزية لشرتهُ الصحف الا اصلاحاً محدوداً في سلطات الرؤساء لا يتصل باللامركزية في الامور الحيوية . فالمناهج المقدسة والخطط والمقررات هي هي بصولتها وقدسيتها

اما عن المؤتمر المنشود فأخشى ان يتمخض عن مجموعة طريفة من المحاضرات التي تملن عن ملقيها وتنفس عن سامعيها ، تطبع في كتاب جميل تتصدره البلة المألوفة من الصور للشخصيات البارزة

واظنني في غنى بعد ما افضت فيه ، عن بيان خطر المشكلة وهي تشمل بناء الامة المقبلة وما يتطلبهُ من انقلاب اساسي . ان الامر لا يقتصر على وزارة المعارف واختصاصها ، بل ولا على الهيئات التربية المحلية التي سأذكرها وعلى رأسها المدرسة نفسها ، بل يجب ان يمتد العلاج بحكم ما للموضوع من الشأن الى خارج حدود وزارة المعارف كوزارة الصحة والادارة ونواحي الحياة الحرفية من زراعة وصناعة وتجارة ومال . واذا قال المستر مان في تقريره أن كل ما ينفق على التعليم الاولي انما ينفق في تحسين الصحة العامة فأني ازيد على ذلك بأن كل قرش ينفق على التربية الحقة انما ينفق على زيادة ثروة الامة . كما يجب نشر الوحدات الرياضية وتمديتها . وحبذا لو اخذت الحكومة بنظام ال Dopolavoro الايطالي

لذلك ارى ان يعقد مؤتمر برسوم ويكون برآسة وزير المعارف ، وقوامه بعض الوزراء ولاسيما وزراء المعارف السابقين ثم كبار رجال الاعمال ورجال التربية على ان تشكل لجان فرعية تقبل على البحث الفرعي ثم تعرض النتائج العامة على المؤتمر لتأخذ دورتها التشريعية

وتكون مهمته وضع السياسة الجريئة للتربية بعد ان تمتد الى آفاقها الجديدة . بل ان شئت

فقل وضع دستور جديد للتربية المصرية غير مفيد بنواحي الاصلاح الصغيرة التي شغلت الوزارة والتي تعالج الاعراض دون العلة الاساسية

وأرى ان توضع المبادىء الآتية أمامه كقواعد مبدئية للبحث . وهي أمور طالما نادينا بها عينا :

أولاً — تسمى وزارة المعارف « وزارة التربية »

ثانياً — ارجاع مجلس المعارف الأعلى ليحكم الاتصال بين الحياة وسياسة التربية على ان يسمى « مجلس التربية الأعلى » ايضاً . وقد كان هذا المجلس قائماً من قبل لانهُ من مقتضيات النظام الفرنسي نفسه

ثالثاً — توحيد التعليم العام بالقضاء على تصدعه بين الأولي والابتدائي ووصل مراحله بعضها ببعض ، وذلك بأن يبدأ التعليم العام لجميع الطبقات بالأولي بعد تعديله ، وسنهُ الى الثانوي الذي ينبغي أن يمتد في أوله حتى يتغذى هو والفني العادي والحرفي والديني من الأولي مباشرة . اما الخاصة الذين يرغبون لأولادهم في تعليم ممتاز ، فالي ان يحين الوقت الذي يرقى فيه التعليم الحر الى القيام بهذه المهمة على نفقة الخاصة انفسهم ، لا بأس في تخصيص مدارس لهم تعطى معظم نفقاتها مما يوفيهِ الطلاب

رابعاً — تنظيم التعليم العالي الى قسمين الثقافي المحض الذي لا يرمي الى حرفة معينة ويجب تيسيره تمكيناً للمساواة وتيسيراً للنبوغ الأدبي مع تفهيم الرأي العام حقيقته من حيث بعده عن الاكتساب الحرفي المضمون . والقسم الآخر الحرفي ويجب ان يقيد انتاجه بما تزيد قليلاً عن الحاجة على ان يكون انتاجه الكامن أهلاً للزيادة الكبيرة عند الطوارىء ، على ان يضمن لمخرجيه العمل بصفة عامة

خامساً — تنفيذ اللامركزية والاقليمية على الوجه الآتي الذي يقرب في كثير منهُ من النظام الانجليزي وهو متوسط بين نظرف الولايات المتحدة في اللامركزية وفرنسا في المركزية

توضع غاية بعيدة تتدرج في الوصول اليها . هي نزع ادارة المعاهد كلها وبألوانها من وزارة التربية . وبذلك تتفرغ الوزارة الى توجيه التربية القومية والاشراف على الهيئات التربية المحلية وتغذيتها بالارشادات الفنية والاحصاءات والمعلومات . وتقسم القطر الى مناطق تربية تشمل كل منطقة وحدة او اكثر من الوحدات الادارية بعد ان تدخل القاهرة وسائر المحافظات فيها . وعلى رأس كل وحدة رئيس عام بادارة محلية في نفس الاقليم . على ان يشرف على التعليم العام المحلي بجميع انواعه من ثانوي وحرفي وأولي وعلى ان يترك للمعاهد المحلية اكبر قسط ممكن من الحرية في وضع خططها ومنهجها ومقرراتها والتصرف في ميزانيتها وتوزيع

السل فيها على أن يحكم اتصالها بالبيئة المحلية ، ويتحول التفتيش الى ارشاد وتعاون

سادساً — يخفف عبء القيود المالية عن الطلبة . واذا ادركنا ان التعليم العام بأنواعه في اميركا واليابان وبعض بلاد اوربا اصبح مجانياً كان من الواضح أن يقصر في مصر على الاولي الجديد . وتقصر المجانية عامة على الفرق على ان يخصص للاحسان هيئات خاصة . ويؤخذ نظام ال Scholarships أي تسهيل سبيل التعليم من الناحية المالية للمتفوقين في امتحانات معينة

سابعاً — انشاء صلة تعاونية صريحة بين الناظر الجديد بين المصحة والادارة من جهة والوحدات التربية المحلية — ولا سيما في القرية — من جهة أخرى

ثامناً — انصاف التربية في مجموع الموارد المخصصة لها في ميزانية الدولة عامة

تاسعاً — العدول عن محاباة التعليم الثقافي النظري والاخذ بتشجيع العملي وخاصة فيما يتصل بالقضاء على الامية وسوء الحالة الصحية ومستوى الحياة المنخفضة للدهماء

عاشراً — العناية باعداد المعلمين وتوحيد انواع معاهد التربية ثم السماح بالتخصص بعد العام منه على أن يبنى توزيعه على الاقاليم واخذه بالناحية العملية

حادي عشر — انصاف طائفة المعلمين ماديًا وادبيًا

اثنا عشر — تشكيل نقابة للمعلمين تمثل الطائفة بصفة رسمية شأن المهن الراقية الاخرى

***

والآن سيداتي وسادتي ها قد فرغت بعد ما انقلت عليكم في الاطالة . ولكن لي العذر والمشكلة لقدمها وتأصلها وتشعبها في الحياة بألوانها اصبحت تتطلب ثورة تكتسح هذا النظام البالي لتقيم بناء جديداً لمصر في شخص نشأتها المقبلة . فهيا قد بلغنا أعلى مكانة في الثروة ، وأقوى منعة في السلاح بأنواعه وأرفع منزلة في الثقافة والفن . بينما النفوس كلها خور وطراوة ، والقلوب ضحلة في الثبات والايمان ، والشباب عاجز عن خوض معمعان الحياة . فماذا يجدي من القوة والثروة والامة مقبلة على هذا الفقر المدقع ؟ ألا يكون ذلك اشبه شيء بالغني يخلف لابنه قناطير الاموال ، ولكن مع فقر في الخلق ، فلا يلبث الابن ان يمعن اسرافاً واتلافاً حتى يقضي على كل شيء

فالتربية هي كل شيء . بل هي اهم سلاح لا يتقي به العدو الخارجي فحسب ، بل العدو الداخلي وخاصة في اعماق النفس وشهواتها . فالى رجال الحكومة والمشرعين وقادة الرأي ألجأ وكلهم ينبض غيرة وحمية . والى المليك العظيم انزع وقد بدأ عصر حكمه الميمون مردد الآية الكريمة «ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

تدريس الكيمياء

في المدارس الثانوية

محمود خليل رامز
المدرس الاول للرياضة والعلوم بمدرسة حلوان
الثانوية للبنات

يرمي علماء التربية من اقرار الكيمياء في مناهج الدراسة الثانوية الى تربية ملكة الملاحظة الدقيقة في الطالب ، وتعويده دقة العمل وسداد الاستنباط . هذا فضلاً عن فائدة الكيمياء لذاتها ، واستخدامها في صناعة المنتجات التي تفيض بها الحياة اليومية

فالكيمياء في المدارس يقصد بها اولاً تحقيق مثل علمي سام ، ولهذا لا يكون للنفقات التي تقتضيها التجارب كبير اعتبار في نظر المعلم والطالب . ولنضرب مثلاً لذلك تحضير نموذج نقي من كلورور الصوديوم ، فان هذه العملية التي تستغرق نحو ثلاث ساعات تنتج بضعة جرامات من الملح يكفي ما انفق على انتاجها من وقت ومال لشراء مائة الف جرام من ملح الطعام

أما في الصناعة فان الاعتبار الاقتصادي مقدم على كل اعتبار آخر

لذا يكون من دواعي الدهشة والعجب ان نرى من بين رجال الكيمياء من لا يعنيه الا الجانب المالي فيما يقوم به الطلبة من التجارب ، جاهلاً او متجاهلاً ان السعي الى اقتصاد بضعة مليمات قد يدعو الى اضاعة وقت ثمين او تحول دون الحصول على نتيجة مرضية ، وفي هذا من زعزعة عقيدة الطالب فيما يتلقاه من المبادىء والنظريات ، واضاعة ثقته بنفسه ما يكون له أسوأ الآثار وأخطرها في التعليم

ولنسوق مثلاً على هذا ان احدى التجارب تتطلب تعيين النسبة المئوية للمواد الغريبة في « عينة » من ملح البوتاسيوم (كلورور الاموتيوم) . والطريقة التي أوثرها لما تؤدي اليه من نتائج صحيحة في أقصر زمن ممكن ، هي أخذ مقدار صغير لا يتجاوز جراماً وثلث جرام من ملح البوتاسيوم واجراء التجارب عليه . وتستلزم هذه التجارب استخدام نحو ثلث لتر من محلول الصودا الكاوية العشر العياري . ولما كان اللتر من المحلول العياري يحتوي على اربعين جراماً من الصودا الكاوية الجافة فان ثلث اللتر من المحلول العشر العياري يحتوي على جرام وثلث جرام من الصودا الكاوية نفسها (اذا كانت من أنقى نوع) لا يزيد عن ثلث مليم

ومن العجيب أني اعرف من المشتغلين بتدريس الكيمياء من لا ترضيه هذه الطريقة لان فيها ، على ما يعتقد ، تبذيراً ! وهو يرى ان يذاب ملح النوشادر في ربع لتر من الماء ويؤخذ عشر المحلول الناتج ، وتجري عليه التجارب اللازمة لاستخراج النسبة المئوية للمواد الغريبة . وأنا اقر صاحب هذا الرأي ومن على شاكلته على أن هذه الطريقة أدعى الى الاقتصاد وكيف لا تكون كذلك وفيها نستخدم خمسين سنتيمتراً مكعباً فقط من محلول العمود ، ومعنى هذا أن هذه الطريقة تتيح لنا فرصة اقتصاد مبلغ يربي قليلاً على ربع المليم ! ! !

ونحن نرى ان يكون الاقتصاد رائدنا في كل شيء لا من الوجهة المالية فقط . فالوقت كذلك له قيمته لا يعد المال بجانبها شيئاً مذكوراً . وليس من حسن التدبير اتلاف التجربة وتبديد الوقت في نظير اقتصاد بضعة مليمات . ونحن في التجربة السابقة نضمن بتضحيتنا ثلث مليم الوصول الى نتيجة مرضية في زمن وجيز لا يتعدى نصف ساعة . أما في الطريقة التي يسوغ تفضيلها بالعامل الاقتصادي فان احتمال الخطأ فيها عشرة أمثاله في طريقتنا . واذا أضفنا الى هذا ان الطريقة الاخرى تستدعي أجراء التجربة اربع مرات تستغرق نحو ساعتين ونصف ساعة اذا اريد الوصول الى نتيجة معقولة (أو شبه معقولة) فان ثلث المليم الذي ضحينا من أجله بكل هذا يضيع كما ضاع الوقت الثمين نتيجة لرأي نظير . ولست بمحدثك عن خيبة الامل وسوء الاثر في نفس الطالب اذا كان الاخفاق حليفه بعد كل هذا العناء . واني أرى ان هذا كله نتيجة حتمية لبوديتنا الطيبة وأعني بهذا اعتمادنا الأعمى على المصادر الاجنبية دون أن يكون لنا رأي حر في كل ما يصل الينا عن طريقها . فالطالب او غير الطالب اذا قرأ في كتاب وصفاً لطريقة اجراء تجربة من التجارب فانه لا يرى مندوحة عن نقلها بنصها وفصها دون أن يبحث الاحوال التي أجراها المؤلف فيها ، من حيث نسبة الزمن ودقة الاجهزة ونقاء المواد الخ . في استنباط التجارب التي تكلف التلاميذ اجراءها يجب علينا حتماً ان نراعي أموراً عدة من بينها :

(١) الوقت — فالتجربة الواردة في كتاب أجنبي قد يتطلب اجراؤها ثلاث ساعات أو أكثر ، فمن العبث أن نفكر في تدريس مثل هذه التجربة بالمدارس الثانوية

(٢) الاجهزة — يجب في تقرير التجارب العملية للمدارس الثانوية مراعاة الأجهزة التي بها أو التي تسمح الميزانية بشرائها . فليس من الصواب ان نكلف الطالب ايجاد الوزن المكافىء للمغنسيوم بطريقة التسخين باستخدام خمس جرام من المغنسيوم لان الزيادة في الوزن ضئيلة لا يمكن تقديرها بالدقة بوساطة الموازين التي في المدارس لاسباب كثيرة لا محل لسردها هنا

(٣) نقاء المواد — وهذه نقطة هامة جديرة بالعناية فمثلاً لا تستحسن محاولة اثبات ذوبان الراسب الذي يتكون باضافة كلورور الباريوم الى كبريتات الصوديوم في الحمض الكلوريدريك اذا

لم تكن واثقين تماماً من نقائها ومن عدم احتوائها على كريتات . وليس من المستحب كذلك ان نحاول ان نثبت عملياً ان الماء التي لا يسيح مرور التيار الكهربائي فيه ، لان الماء ولو كان مقطراً يسمح بمرور التيار . فالماء « التي » الذي يذكر في الكتب انهُ لا سبيل للتيار الى المرور فيه لا وجود له في مدارسنا الثانوية ولا في كليات الجامعة المصرية . ومن رأيي ان القاعدة التي مؤداها : «ان الماء لا يسيح مرور التيار الكهربائي الا اذا كان محتوياً على ملح او حمض» يجب ان تقلب رأساً على عقب وان توضع بالصورة الآتية «الماء يسيح مرور التيار الكهربائي الا اذا كان نقياً جداً» وهذه الصورة اقرب الى الواقع المحسوس اضف الى هذا ان القاعدة يجب ان تطبق على الشائع لا على الشاذ

نحن في عصر تطور بليغ ، فواجب علينا أن نطلق عقول تلامذتنا من عقالها ، وان نفكر دون ان نقنع بأن نلبث عالة على غيرنا في تفكيره . والا فلم خلق الله لنا هذه العقول ؟ وما قيمتها اذا كنا لانحسن استخدامها ؟ ان كرامة العلم الحق توجب علينا أن لانحول تلامذتنا والعلماء والمؤلفين دون تمحيص ما تلقاه عنهم . لهذا انظر نظر العجب الى كثير من التجارب التي تعطى في المدارس الثانوية على نهج واحد بغير تعديل او تنويع . فاذا كان المدرس يرى ان للوقت قيمة لاتقل عن قيمة المال ، واذا كان يقدر الاثر التجربة في نفسية الطالب مالهُ من خطر ، فانهُ لا يجد بدًّا من تغيير عقيدته في التجارب التي ألف تدريسها

ومن التجارب التي تخطر ببالنا شاهداً على هذا تجربة ايجاد قابلية ذوبان ملح الطعام في الماء في درجة الحرارة المعتادة . والطريقة المألوفة ان يشبع مقدار من الماء بالملح ويرشح ثم يقدر وزن الملح المذاب فيهِ وطريقة تعيين وزن الملح ان يقدر حجم الراشح ثم يؤخذ مقدار صغير منهُ معلوم الحجم ويبخر ويعين وزن الملح الناتج ويعلم منهُ وزن الملح الذي ذاب في المحلول كله . وهذه الطريقة تتطلب ساعة وبعض ساعة ومن عيوبها صغر مقدار الملح الناتج بحيث ان الخطأ الصغير في وزنه (خطأ مطلق) يكون كبيراً بالقياس الى وزن هذا المقدار . أضف الى هذا ان هذا الخطأ يتضاعف تماماً نسبة بين حجم المحلول الكلي والحجم الذي بخر . ويمكن تلافي هذا العيب بتبخير مقدار كبير من المحلول ، ولكن يعترض على هذا وهو اعتراض حق بأن التبخير في هذه الحالة يستغرق وقتاً طويلاً . ولعل هذا يبين لنا ضرورة التفكير السيق المستقل في التجارب التي اقتشر الاعتماد عليها في التدريس . هذا وأني اقترح اجراء هذه التجربة بالطريقة الآتية :

تؤخذ مائة جرام من الماء ويوضع فيها مقدار من الملح يزيد على مايلزم لاشباعها . ويرج المحلول بضع دقائق ثم يرشح خلال ورقة ترشيح معلومة الوزن ويغسل الملح المتخلف عليها بقليل من الكحول ويجفف بالحرارة ثم يوزن . ويطرح وزنه من وزن الملح الكلي ينتج وزن الملح الذي شبع المائة جرام من الماء

أولاً — انها تستغرق أقل من نصف الوقت الذي تستغرقه الطريقة السابقة

ثانياً — ان احتمال الخطأ فيها أقل جداً من احتماله في الطريقة الاخرى

ثالثاً — في الطريقة الاخرى يفقد جزء لا يستهان به من الملح اثناء التبخير ، وهو كبير بالقياس الى وزن الملح

رابعاً — هذه الطريقة يفهمها حتى الاطفال لبساطتها وسهولة اجرائها

ومن النقط الجديرة بالاهتمام ان بعض الطلبة يقعون بدراسة اجزاء الاجهزة والاحتياطات الواجب اتخاذها في التجارب دون فهم الغرض منها فهماً صحيحاً . ومما أذكره بهذا الصدد ان احد المفتشين سأل طالبة بأحدى المدارس عن طريقة تحضير كبريتات النحاس . فشرحت جهاز تحضير ثاني اكسيد الكبريت بتأثير الحمض الكبريتيك المركز في النحاس ذاكرة انبوبة التوصيل والخبار المعد لجمع الغاز ، مع ان هذا الجزء من الجهاز لا فائدة فيه اذا كان غرضنا تحضير كبريتات النحاس دون الاهتمام بجمع ثاني اكسيد الكبريت الناتج في ذات التفاعل . ولكن الطالبة أبت الا ان تسرد ما حفظته عن ظهر قلب

وشاهدت استاذاً يشرف على تجربة لتعيين وزن كربونات الكلسيوم (Iceland Spar) الذي يذيبه مقدار معين من الحمض الكلوريدريك ، وكان يتم تغطية الكأس المحتوية على الحمض والكربونات ، مع ان الغرض تقدير وزن الكربونات التي تبقى بدون ذوبان . ولعل الامر اختلط عليه فان هناك تجربة أخرى يقصد منها تعيين وزن ثاني اكسيد الكربون ، ويهم فيها الحيلولة دون انطلاق الرذاذ الناشيء عن التفاعل في الهواء حتى يمكن تقدير وزن ثاني اكسيد الكربون الصاعد تقديراً دقيقاً . اما في التجربة التي تكلم عنها فان تغطية الكأس ليست فقط عديمة الجدوى بل انها فوق ذلك تعرقل التفاعل لانها تؤدي الى حجز الغاز المتكون فيحدث تركيز في المنطقة التي تلي السائل . ومن التقاليد الحميدة الى رجال الكيمياء ان الملح الذي يخرج من زجاجة لا يعود اليها ، لاحتمال تلوثه بأملاح اخرى . وهذا حق ، ولكني اقترح جمع متخلفات التجارب في زجاجات خاصة يكتب على كل منها اسم الملح الذي تحتويه وكلمة « متخلفات » . والاملاح التي هذا شأنها تصلح للتجارب التي لا تتطلب املاحاً نقية كتجارب قابلية الذوبان والتبلور والتبلور الجزئي وايجاد نسبة الملح الى الرمل في خليط منهما وما جرى مجراها

ومن الطرف وسائل الاقتصاد في بعض المعامل أن تشمل المراقد الغازية جميعها معاً في أول الدرس العملي ، ولو كانت الحاجة لا تدعو الى استخدامها الا في الشطر الاخير من الدرس . والغرض من هذا اقتصاد الكبريت اذ يكفي لقاب واحد وقطعة صغيرة من الخشب او الشمع لاشعال المواقد جميعها . وبهذا الاقتصاد المكوس تستفيد المدرسة في اليوم الواحد من غاز الاستصباح

ما يربي ثمنه على ثمن الكبريت الذي يكفي المدرسة شهراً . فاذا كانت المدارس تخشى الاسراف في استخدام الكبريت لغير الاغراض العلمية أو تبغي اتقاء عبث الخدم به فلتطلب تزويد معاملها «بالولاعات» الكهربائية او الميكانيكية . ومما يجدر ايراده على ذكر الاقتصاد ان كتب الكيمياء تنص في شرح توليد الاكسجين من كلورات البوتاسيوم على استخدام ثاني اكسيد المنجنز عاملاً وسيطاً . ولكن الثابت علمياً ان هذا التفاعل تحمله أكاسيد اخرى عديدة غير ثاني اكسيد المنجنز . وقد جربنا لهذا الغرض بنجاح أكسيد النحاس وسحوق الطوب الاحمر (وهو يحتوي على اكسيد الحديد) وجربنا احداً الاساتذة الرمل (اكسيد السليكون) . وليس استخدام هذه العوامل من وسائل الاقتصاد فحسب ، بل انهُ يوسع افق التفكير عند المتعلمين ويحدوهم الى فهم طبيعة مثل هذا التفاعل فهماً صحيحاً .

واذا ما تحققنا أن الوقت لا يقل قيمة عن المال وجب ان نعنى بارشاد الطلبة الى الظروف المؤدية الى نجاح التجارب منعاً لاضاعة الوقت هباء . ففي تحضير غاز النوشادر مثلاً تنص الكتب على تسخين خليط من احد أملاح الامونيوم والجير (المطفأ او الحي) . ولما كان النوشادر شديد القابلية للذوبان في الماء فانهُ يجمع فوق الزئبق أو بالازاحة العليا بعد تجفيفه بامراره في انبوبة محشوة بالجير الحي او الصودا الكاوية . وهذا التجفيف يوحي الى الفهم ضرورة استخدام خليط ملح الامونيوم والجير جافاً . ولا ضير في هذا اذا خلط خلطاً جيداً ، ولكنهُ من البديهي ان الخلط مهما اجيد لا يبلغ مبلغ الاذابة ، فما ضر المؤلف او المدرس لو انهُ اشار باضافة قليل من الماء الى المخلوط ، فبذا نحصل على مقدار وافر من الغاز في وقت وجيز ، ويستنبط من هذا طبعاً فضل الجير المطفأ على الجير الحي في هذه الحال

وتستخدم معامل الكيمياء في الصيدليات والمدارس للتمييز بين الاحماض والقلويات محلولاً اسمهُ صبغة عباد الشمس . وهذه التسمية خاطئة اذ لا علاقة بين هذه الصبغة والزهر المعروف بعباد الشمس على الاطلاق . وتستهلك المدارس والصيدليات من هذه الصبغة مقداراً لا يستهان به . وهذه الصبغة بنفسجية اللون فاذا أضيف اليها حمض احمرت واذا اضيف اليها قلوي تحولت زرقاء كما هو معلوم . وتأثير الاحماض في الصبغات النباتية يكاد يكون عاماً ، الا انهُ يكون بدرجات متفاوتة ، ومثل ذلك الشاي اذ يتحبب لونهُ باضافة عصير الليمون (الحمض الليمونيك) اليه . وقد اهتديت الى صبغة رخيصة يسهل الحصول عليها تقوم مقام عباد الشمس ، وتفتح امام الفلاح باباً جديداً من ابواب الرزق . وهذه الصبغة هي صبغة الجزر . ولاستخلاصها يقطع الجزر البنفسجي اللون قطعاً صغيرة تغلى في الماء طويلاً ثم تنزع وتغمس في المحلول مع استرار غليانه ورق ترشيح قطع قطعاً صغيرة مستطيلة حتى يتم اصطباغه . او يغلى المحلول على حمام رملي حتى يجف تماماً وتحول الصبغة الى مسحوق يسهل ادخاره واذابته في الماء عند الحاجة اليه

حيوانات مشهورة

وصحة أسمائها

للفريق الركتور ابن العارف

ولنذكر الآن حيوانات اخرى وصحة رسمها فابدأ بفصيلة السنانير

فصيلة السنانير Felidae. The cats

وهي من اللواحم اي آكلات اللحوم سريعة الحركة مجدولة العضل . منها السنور وعناق الارض والوشق والاسد والنمر والببر وقد تقدم ذكر هذه الحيوانات في جزء مضى . وقد قلت السنانير ولم اقل الهررة او القطاط لان الهر والقط هو الاهلي فقط فالسنور اكثر شمولاً

سنور . ذكرتهُ في ص ٥٢ وذكرت مرادفاته الكثيرة فلتراجع Cat.

قط . بَسّ . هرّ . وهو السنور الاهلي ولا اعرف له غير هذه الاسماء Cat, domestic

قط انقرة . قط شيرازي . قط حلبي Cat, Angora or Persian

نسبة الى حلب لانهُ يأتي منها . اما في بغداد فيسمونهُ شيراز او شيرازي نسبة الى شيراز . ولا يقال عجمي فالعجمي خلاف العربي والاحسن اجتناب هذه الكلمة

تفّه وتُفَّة Cat, jungle

سنور وحشي عظيم وعامة اهل مصر يقولون تفاوة بكسر اوله . والتفة ايضاً عناق الارض وقد ذكر

ضيْوَن . سنور البر . وهو اصل السنور الاهلي Cat, wild

وجميع هذه السنانير من جنس واحد ولكنها مختلفة في النوع وبعض الاحيان في الصنف . قلت ولم اجد محلاً فرّق بين هذه السنانير او كتب اسماءها على صحتها

زباد وزبادة . سنور الزباد Cat, Civet

حيوان لاحم ليس من فصيلة السنانير بل من فصيلة اخرى سميتها فصيلة الرّباح

رَبَاح . زُرَيقاء Genet

حيوان لاحم من فصيلة الرباح يشبه الزبادة يقال لهُ في المغرب « جَرْنيط » ومنهُ اسمهُ الافرنجي والافضل اهماله لانهُ علمي او الاشارة الى ماهيته

وقد سميت هذه الفصيلة بفصيلة الرباح لانها عشيرتان عشيرة النموس وعشيرة الزباد ولا بأس بتسميتها بفصيلة الزباديات كما قال السيد اسمعيل مظهر في الاهرام لان الزباد واحد منها لكنني فضلت الرباح لاسباب لا تخفى على الناقد البصير منها اننا نريد فصيلة تشمل النموس فالفصيلة والعشيرة مذكورتان في مطول وبستروها كما ذكرت . اما تسمية هذه الفصيلة بالسنانير او الهررة او الفيرّي عن احمد فارس فلا تصلح بتاتاً لان احمد فارس اراد بالفيرى الوحوش وقد ذكرتها في فصيلة السنانير وما فيرى الا تعريب كلمة لاتينية معناها الوحوش وهي واردة في تصنيف كوفيه الذي جرى عليهِ احمد فارس

ولننتقل الآن الى الخُلد وهو معروف عند العرب وفي بلادهم وهو من رتبة القضّام التي منها الفار ونحوه ومن فصيلة سميتها فصيلة المناجذ وهو جمع خلد من غير لفظه ذكرتها في ص٢٣٢ فلما انتقل العرب الى اوربة رأوا خلداً آخر اعمى كالخلد الذي عندهم ولكنهُ من رتبة آكلات الحشرات ومن فصيلة الطوابين فلم يخف عليهم انهُ من رتبة تختلف تمام الاختلاف عن الرتبة التي منها خلدهم فاضطروا ان يعربوه بالطوبين كما يلي

طَوبين جمعها طوابين . تلبي . خلد اوربي Mole. Talpa europaea

حيوان من آكلات الحشرات لا وجود لهُ في البلاد الشرقية

كنت سميت هذا الحيوان يالتلبا اي باسمه اللاتيني لانهُ خلاف الخلد المعروف عند العرب . ثم عثرت اخيراً في معجم دوزي عن بطرس القلعي ان اسمهُ طوبين وهو تعريب اسمه بالاسبانية ففضلت التعريب القديم على ما ذكرتهُ سابقاً لانهُ لا بد من استعمال اسم لهذا الحيوان للتفريق بينهُ وبين الخلد المعروف بهذا الاسم في البلاد الشرقية . فالطوبين من آكلات الحشرات والخلد من القضّام

خُلد Mole rat. Syn. Blind rat. Spalax typhlus

حيوان من القضّام يعيش تحت الارض ليس له اذنان ولا عينان في الظاهر اسمه عند العامة في مصر ابو اعمى اما في الشام فيعرف بالخلد . وجمع الخلد خلدان ومناجذ من غير لفظهِ ومن اسمائهِ الفارة العمياء

غُرَير وغُرَيراء وغُرَيثرة . زَبْزب . زبزب القبور Badger.

حيوان لاحم من فصيلة السراعيب بين الكلب والدب اغبر اللون اسود القوائم قصيرها

ابيض الوجه وعلى جانبي وجهه خدّتان سوداوان . موطنهُ اوربة وجنوب آسية من الاناضول وسواحل الشام الى غرب ايران ولا وجود لهُ في افريقية وجزيرة العرب وهو الحيوان الذي يصنع من شعره شعريات للحلاقة من اجود الاصناف . وليس هذا الحيوان عناق الارض فعناق الارض حيوان آخر من فصيلة السنور

قلت ولم تذكر المعاجم هذا الحيوان على صحته وهو حيوان معروف في الشام والعراق فالاحسن ان تحذف عناق الارض وغيره من الاسماء التي ذكرت . وقد اوردت هذا الحيوان في ص ٢٣ وما يليها

ولنأت الآن الى الغربان وقد قلت في فصيلتها انها طيور من الجوارح تشمل الغربان على انواعها كالغراب الاسحم والغراب الاعصم والزاغ والغداف والعقعق . ذكرت هذه الفصيلة في ص ٧٤ وما يأتي انواعها

غراب . زاغ . قاق وغاق Crow

وهو انواع ذكرتها في ص ٧٤و٧٦ ولا ذكر لهذه الغربان على صحتها الاَّ في معجم الياس انطون الياس وقد اورد انواعها اما سائر المعاجم فتخبطت فيها

غُراب . غراب حاتم . غراب أسحم . غراب نوحي نسبة الى النبي نوح Raven

ذكرته وذكرت انواعهُ في ص ٢٠١

غداف . غراب الزيْغ Rook

وهو غراب اسود يلمع بخضرة وحمرة اسود المنقار . ذكرته في ص ٢٠٢

غراب اعصم . زَمّت Chough. Syn. Red-legged Crow

غراب صغير احمر الرجلين والذي في لبنان وجبل الشيخ أحمر الرجلين وأصفر المنقار والذي في اوربا والهند والحبشة احمر الرجلين والمنقار . قلت ولا ذكر للغراب الاعصم على صحته الاَّ في معجم الياس انطون الياس وانما فاتهُ الزمّت

غراب الزرع . غراب الزيتون Jackdaw

غراب صغير اسود المنقار والساقين سنجابي الرأس والعنق وسائره اسود يخالطهُ لمعان ارجواني اما عنقه في البلاد العربية فله لطخة بيضاء على كل من جانبيه . ذكرتهُ في ص ١٣٥

عَقْعَق . قُعْقُع . كُنْدُش . شَجْتوجَى Magpie

غراب ابقع طويل الذنب سمّي بحكاية صوته . وزاد بعض المعاجم الفاظاً اخرى منها الشقراق وهو في هذا الجزء ومنها القرّاع الاخضر ذكرتهُ في هذا الجزء ومنها العَقاق وقد ذكرتهُ في ملدة تيق الآتي ذكرها وهو الذي اراده جاياكار في حاشيته على هذا الطائر وهو الشقراق

الاخضر على ما جاء في معجم الياس انطون الياس وليس القراع الاخضر على ما جاء في غيره فالقراع الاخضر ليس في البلاد العربية وهو خطأ وقع فيه لابن صاحب المعجم المشهور كما سيجيء في مادة قرّاع

قيق . زرّياب (فارسية معربة) ابو زُريق Jay. Garrulus

طائر كالغراب اصدأ اللون اسود الذنب مخطط الجناحين بزرقة وسواد وبياض كثير التصويت ومثلهُ اسمه العلمي

ذكرتهُ في ص ١٣٥ وذكرتهُ بعض المعاجم على صحته وأخطأت في اسمه العلمي هذا . ثم ان هذا الطائر اورده جاياكار في حاشية لهُ على العقق كما تقدم

شقرّاق وفيه لغات . آخيل . ضُوضُؤ Roller

طائر اصغر من الحمامة واعظم من القارية اي الورور بين خضرة وحمرة وزرقة وسواد وعلى ان الخضرة غالبة فيه اسمه في الشام شُقرُق وشقرّاق وفي مصر غراب زيتوني وفي العراق خُضّار على انهم يطلقون الخُضّار ايضاً على القارية اي الورور . ذكرت هذا الطائر في ص ٢١٠ واصبت فيه وقد اصابت المعاجم التي وقفت عليها بعض الاصابة وقلتُ الضوضؤ

قرّاع ، نقّار Woodpecker

طائر في عظم القارية اي الورور يشق جذوع الاشجار وينقرها فيستخرج الدود منها اسمه في الشام والسودان نقار الخشب ونقار الشجر وفي الشام الناقورة لانه ينقب الخشب . وقد اخطأ ابن صاحب المعجم المشهور في قوله انه يطلق ايضاً على الشقراق وتبعه في هذا الخطأ بادجر وجاياكار وغيرهما فالنقّار الاخضر موطنه اوربة وليس في البلاد العربية . هذه صفة هذا الطائر على ما ذكره ابن سيده وصاحب التاج ولكن هذا منقاره اعقف اما القراع او النقار على ما اعرفه في الشام فمنقاره مستقيم ولعل القراع الذي في جزيرة العرب اعقف المنقار . راجع معجم الحيوان ص ٣٦٥ ففيه نص ابن سيده في القراع . ولم يذكر اصحاب المعاجم هذا الطائر على صحته

قارية . خُضيراء وخضّار . وَرور Bee eater

طائر قصير الرجلين طويل المنقار اسوده في قمة رأسه وتحت حنكه طوق الى الصفرة وسائره اخضر وفي وسط ذنبه ريشتان اطول من سائر ريش الذنب . اسمه في الشام والموصل ورور وهو حكاية صوته وفي بغداد خضّار وفي عُمان خضيراء وفي مصر تارة خُضَير وتارة ورور . ثم ان الخُضّار في بغداد اسم للشقراق ايضاً كما تقدم في الشقراق . ذكرت هذا الطائر في ص ٣٢ واصبت فيه وقد اعدت القارية الآن وكنت قد حذفتها مما كتبتهُ قبلاً في المقتطف لان الاب انستاس اعترض عليها لشابهها الكلمة يونانية واعدتها الآن لان العرب لا بد انهم

وضعوا كلمة خاصة لهذا الطائر لشهرته فالخضيراء والخُضَّار الونه والورور حكاية صوته وانا واثق الآن انهُ القارية ولا اظن الاب المحترم يقول الآن انها يونانية بل عربية قحطانية عدنانية ولانها واردة في الحديث الشريف فايام اليونانية واللاتينية قد مضت ولم يبق الا لغتا الضادية كما يقول واني اشكر لهُ اعتراضه عليّ وردّي الضعيف يوشفر والا كانت القارية اصيبت بما اصيب به غيرها او جعلت لها حاصرة كما وقع لضُوَع المسكين وقد تقدم ذكره في شهر ابريل فاذا راجعت الصفحة ٣٢ من معجم الحيوان يتضح لك كل شيء وان القارية هي الورور بلا اقل شبهة

وقُوَاق طائر على قدر الحمامة يشبه الباشق كثير الصوت وقواق Cuckoo

وهو لا يحضن بيضه بل يلقيه خلسة في عش طائر آخر فاذا خرجت فراخهُ من البيض زقها الطائر الآخر صاحب العش اي انهُ يسرق تعب غيره

ومن اسماء هذا الطائر وَقُوَاق ووقُوق في مصر وقيقب وقيقوبة في الشام وحام قوّال في حلب وعده عن الدكتور وسل . وطكوك وهده بربرية عن بقطر وطاطوى عن بقطر وكوكو وهي حكاية صوته . وكَكَم عن الدميري وكَنْكَر عن ياقوت الحموي وأسماء اخرى غيرها . والوقواق اوردها ابن سيده وقال طائر وليس بثبت ١٤٤:٨ فهو يشبه احد اسمائه المعروفة في مصر وفيه شبه من الفصاحة

اوردت هذا الطائر في ص ٧٧ وما يليها ولعل الوقواق خير هذه الاسماء لانهُ فصيح ويشبه احد الاسماء المعروفة في مصر

فصيلة الزرازير او السُّودانيّات Sturnidae

طيور من رتبة الجوائم يغلب فيها السواد وفي البلاد العربية ثلاثة اجناس منها الزُّرزور والسُّمرمر والسَّوادية [See Starling, & Grackle]

زُرْزور . وزُرْزُر Starling

طائر من فصيلة السُّودانيات اكبر من البلبل طويل الذنب اسود اللون مرقط يلون الوانا

سمرمر . طائر من السودانيات يأكل الجراد اكلاً ذريعاً Starling, rose coloured

سواديّة Grackle, Tristram's

طائر من السودانيات اسود اللون لا رقط فيه كالزرزور وهو يلمع بزرقة ولون ارجواني . موطنه شبه جزيرة سيناء وفلسطين من اريحا الى العقبة جنوباً والبادية الى الشرق من وادي موسى وهو آبد في الاماكن التي يألفها وليس من القواطع كالزرزور او السمرمر والكلمة فصيحة ذكرتها في ص ١١٨ ولم يذكرها احد من اصحاب المعاجم

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ١٨ —

الإسفندان[1] السكري

ترتفع الشجرة منهُ في المناطق الباردة الى ٨٠ قدماً في الغالب والى ١٢٠ قدماً في النادر ويتفاوت محيط ساقها بين ثلاث اقدام وأربع . أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة وعلى وجهه السفلي شعيرات بيض كامل الحافة تقريباً وأزهارها صفر مجتمعة في نورات شطبية متدلية تنبثق قبل الاوراق

اسمهُ اللتيني (Acer saccharinum, Wangenh.) (آسر سكارينوم)

أو (Acer saccharum, Marshall) (آسر سكاروم)[2] وفصيلته الإسفندانية أو القيقبية (Aceraceae) (آسراسية) وبالانجليزية (sugar-maple; rock-maple)

والفرنسية (érable à sucre ou du Canada; érable sucrier) وهو شجار بلاد كندا وشائع في امريكة الشمالية الى ولاية اريزونا كثير الشبه بالاسفندان الجبلي أو الجُمَّيز الكاذب الذي سيأتي الكلام عليهِ ولاسيما في حال صغره والخشب منهُ قويٌّ متين صُلْب صقيل لونهُ وردي يدخل في صنع محاور المجلات وبَرَابيقها وعريش العربات والعدد والاثاث وغُلُف آلات البيانو واخشاب الروج والقِصاع والنماذج وارضية العرف وهو ليس عرضة للالتواء ولذا تصنع منهُ قوالب الاحذية . ومن شجره يتخذ اهل امريكة الشمالية نوعاً جيداً من السكر

---

(١) ويقال للاسفندان في عمومه (القيقب)

(٢) آسر (acer) كلمة لاتينية معناها قوي او حاد وسبب هذه التسمية ان خشب الاسفندان كان يستعمل قديماً في صنع رؤوس الحراب وغيرها من الاسلحة

يتزل الاشجار من أواخر مبراير الى أوائل ابريل حين يكون النهار دافئاً والليل شديد البرودة وذلك انهم يخزون في الشجرة حزًّا بواسطة فأس أو مثقاب ثم يوصلون فيه ميزاباً من خشب الساق أو البلسان فيسيل منهُ أولاً سائل سكري مدة اربعة اسابيع أو ستة فيجمع هذا السائل في حوض وينقلونهُ كل يوم الى حوض اكبر ومنهُ ينقل بعد تصفيته الى دَسْت الغليان وعلى الاجمال يتبع فيه ما هو متبع في استخراج السكر من القصب في جزائر الهند الغربية

وينتج من كل شجرة في الموسم من ١٢ جالوناً الى ٢٤ من ذلك السائل فيحصل على رطل من السكر من كل ٣ جالونات الى ٦ من السائل المذكور وفيا ندر من الاحوال تنتج الشجرة ١٠٠ جالوناً أو اكثر

أما نزل الشجرة لاستخراج ذلك السائل فلا يبدأ بهِ الاَّ اذا بلغت الشجرة ٢٠ سنة وربما استمر النزل ٤٠ سنة أو اكثر دون أن يلحق بالشجرة اي ضرر

وروى لنا قد حصلوا من الشجرة الواحدة على ٣٣ رطلاً من السكر في الموسم الواحد وسكر الاسفندان عزيز في البوتاسة ولذا يحصل منهُ في الولايات المتحدة الامريكية على كثير من مادة البوتاسة وقلف الشجرة مهم في عمل اصباغ امريكية عديدة وفي الولايات الشرقية من امريكة الشمالية تعتبر شجرة الاسفندان السكري افضل شجرة للاستظلال بها في الشوارع

الاسفندان الاسود

ترتفع الشجرة منهُ الى ٤٠ قدماً أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب ذات خمسة فصوص على وجهها السفليّ شعيرات بيض . أزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية منحنية عديمة الاعناق (جالسة) وثمرتها ملساء

اسمهُ العلمي (Acer nigrum, Mich.) (آسر نيغروم)

أو (Acer saccharinum, var. nigrum, Mich.) (آسر سكارينوم نيغروم) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (black maple) والفرنسية (érable noir)

وهو شائع في امريكة الشمالية ينتفع بخشبه

الاسفندان الابيض

الشجرة منهُ جميلة المنظر جدًّا ساقها غليظة قد يبلغ محيطها تسع أقدام احياناً وترتفع الى ٥٠ قدماً وتجتمع اغصانها فتكون كتاج فاخر أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء تضرب من وجهها السفليّ الى البياض ذات خمسة فصوص كلٌّ منها حاد القمة مقطّع الحافة مسنن وأزهارها خضر تضرب الى الصفرة مجتمعة في نورات كرية

اسمهُ العلمي (Acer dasycarpum, Ehrh.) (آسر داسيكاربوم)

أو (Acer Eriocarpum, Mich.) (آسر اريوكاربوم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (Sir Charles Wager's maple; silver-leaved maple; white maple)

والفرنسية (érable blanc; érable à fruits cotonneux; érable de Charles Wager)

وهو شائع في أمريكة الشمالية محبوب للغرس في الشوارع سريع النمو يجود على ضفاف الأنهار صافية الماء خصوبة القاع فلا ينمو في أرض المستنقعات وهي التي ينمو مكانه فيها الاسفندان الأحمر الآتي ذكره. والخشب منهُ أصفر ليّن يكون أقل قوّة ومقاومة من خشب أنواعه الأخرى الكثيرة ولكنهُ ينفع في صنع الفحم وقد يشق صفائح رقيقة جدًّا تستعمل في بطانة الجدران من الغرف وقد يحصل من هذا الشجر على سكر بمقدار اقل مما يحصل عليهِ من الاسفندان السكري السابق. واذا أكلت النحل منهُ ومن بعض أنواعه الأخرى كان ذلك مما يؤدي الى التبكير في جني عسلها

الإسْفِنْدَان الأحمر

ترتفع الشجرة منهُ الى ١٠٠ قدم ويبلغ محيط ساقها خمس أقدام. أوراقها غير دائمة الواحدة منها شبيهة بالقلب تقريباً طولاً تضرب الى الزرقة من وجهها السفلي ذات خمسة فصوص كلٌّ منها حاد القمة منقطع الحافة مسنن ولها عنق طويل. وأزهارها حمر مجتمعة في نورات صيوانية كرية تنبثق في الربيع قبل الاوراق

اسمهُ العلمي (Acer rubrum, L.) (آسر روبروم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (red or swamp maple) والفرنسية (érable rouge ou érable de Virginie)

وهو شائع في أمريكة الشمالية يجود نموه في ارض المستنقعات ولاسيما في بنسلفانيا اذ يستعمل اهلوها خشبه الجيد في جميع اصناف النجارة من اخشاب السروج وتيراجر (النّاف) وفي الخراطة ومختلف الاثاث كما يستعملون قِلَف شجره في الصباغة للحصول على لون أزرق قاتم أو يصنعون منهُ مداداً أسود جيداً

ومن شجره يستخرج أهل كندا سكراً أو عسلاً كالاسفندان الأبيض بمقدار أقل مما يحصل عليهِ من الاسفندان السكري وقد يغرسونه في الشوارع

الإسفندان الجبلي

ويقال لهُ (الجُسْبُيْز الكاذب) ترتفع الشجرة منهُ الى ٨٠ قدماً ويبلغ محيط ساقها ٢ ٣/٤ قدماً أوراقها كبار كأوراق الجميز أو اكبر منها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء لامعة ذات خمسة فصوص كل منها حاد القمة مسنن الحافة على نوع ما وأزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطيَّة قائمة تقريباً

اسمهُ العلمي (Acer Platanoides, L.) (آسر بلاتانويدس) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (érable plane ou faux sycomore; érable de Norwége) (Norway-maple) والفرنسية وهو كثير الشيوع في جبال المقاطعات الشمالية من اوربا منتشراً في بعض الامكنة بالقرب الى شاطىء البحر وفي شمال بولندا وليتوانيا والمانيا وسويسرا والنمسا وتبلغ الشجرة منهُ حجماً كبيراً في تربة الارض الخصبة فتكون من أحسن الاشجار لابواء المكان وخشبه أبيض أملس تصنع منهُ (كرايف) البنادق ويستعمل في الخراطة والنجارة الدقيقة ويمكن الحصول على سكر منهُ في الشتاء وعلى العموم فان استعمالهُ كاستعمال شجر الجميز

الإسفندان الجُسْبُيْزي

ويقال لهُ (الدُّلْبُ الكاذب) و (الصِّنَّار الكاذب) ترتفع الشجرة منهُ الى ٥٠ قدماً ساقها معتدلة . أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء تضرب الى الزرقة من وجهها السفلي ذات خمسة فصوص كل منها مسنن الحافة بغير انتظام . أزهارها خضر مجتمعة في عناقيد متدلية وثمرتها ملساء

اسمه العلمي (Acer Psendo-Platanus, L.) (آسر بسودوبلاتانوس) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (sycamore - maple ; spurious plane)

والفرنسية (sycomore; érable sycomore; érable faux platane) وهو شائع في بريطانيا وينمو بريًّا في سويسرا والمانيا والنمسا وايطاليا يورق في ابريل وأوراقه عند ابتدائها تبدو خضراء لضرة جيلة وخشبه كان كثير الاستعمال في الخراطة قديماً وما زال يصنع منهُ احتاب المروح والطواحين وبالحزّ في سوقه في الربيع أو الخريف يسيل منهُ عصير وافر يصنع منهُ نبيذ جيد أو يحصل منهُ بالتبخير على سكر

الإسفندان الملوَّن

ترتفع الشجرة منه الى ٣٠ قدماً ساقها رفيعة ذات قلف أملس مخطط بخطوط جيلة خضر وبيض وفروعها كذلك . أوراقها غير دائمة الواحدة منها قلبية الشكل ملساء ذات ثلاثة فصوص

كل منها حاد القمة مسنن الحافة وأزهارها خضر مجتمعة في عناقيد بسيطة طويلة متدلية

اسمهُ العلمي (Acer pensylvanicum, L.) (آسر بنسلفانيكوم)

أو (Acer striatum, Lamk.) (آسر استرياتوم) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (striped-barked maple; moosewood)

والفرنسية (érable jaspé ou strié; érable de Pensylvanie)

وهو شائع في امريكة الشمالية . في الشتاء تحمر اغصان الشجرة منه وتكون لامعة ويشبر من اشجار الزينة نظراً لظل شجرته الوافر وجمال قلفها وسناعتها دون تلك الحشرات

الإسفيندان العادي

ترتفع الشجرة منه الى ٢٥ قدماً وتكون جميلة المنظر جداً في الخريف أوراقها غير دائمة ملساء لامعة من وجهها السفلي الواحدة منها قليلة الشكل ذات خمسة فصوص كل منها غير حاد القمة كامل الحافة تقريباً . وأزهارها خضر مجتمعة في نورات مشطية قائمة وثمرتها ذات جناحين

اسمهُ العلمي (Acer campestre, L.) (آسر قامبستري) من فصيلة سابقه

وبالانجليزية (common maple) والفرنسية (érable champêtre ou commun)

وهو شائع في بريطانيا والترويج وجنوب اوربا ووسطها حتى شمال افريقية وانحاء كثيرة من آسيا قد يزرع سياجاً ويقال إن الخشب منه في الخراطة ارقى كثيراً من خشب الزان والجيز لكونه متدمجاً متيناً وهو مرغوب فيه لصنع الاثاث الفاخر والآلات الموسيقية ويستعيض به صانعو ادوات الحساب والهندسة في النائب عن خشب شرّابة الراعي والبقس

الإسفيندان الشبيه بالدردار في الأوراق

قد ترتفع الشجرة منه الى ٥٠ قدماً . أوراقها غير دائمة الواحدة منها ثلاثية الفصوص أو ريشية تتميز بذلك عن ورقة الانواع السابقة وكل فص مقطّع الحافة منشاري . وأزهارها خضر توحد الذكرية منها مجتمعة في نورات مشطية والأنثوية في نورات عنقودية

اسمهُ العلمي (Negundium americanum, Dec.) (نيغونديوم امريكانوم)

أو (Negundo fraxinifolium, Nutt.) (نيغوندو فراكسينيفوليوم) أو (Acer Negundo, L.) (آسر نيغوندو) أو (Negundo aceroides, Moench) (نيغوندو آسرويدس) من فصيلة سابقه وبالانجليزية (box-elder; ash-leaved maple)

والفرنسية (érable à feuilles de frêne) وهو شائع في امريكة الشمالية جميل المنظر يغرس للزينة ويشتمل على عصير سكري وافر كالاسفندان السكري تقريباً وكثيراً ما يغرس في كليفورنيا للاستظلال به والخشب منه أصفر تتخلله عروق بنفسجية وأخرى وردية

مُنون الفيلسوف

عن فولتير

[نقلها اسماعيل مظهر]

ذات مرة تخيل « مُنون » ان في مقدوره ان يصبح فيلسوفاً عظيماً . فقال في نفسه : « من اجل ان اكون كامل السعادة تام الحظ ، ينبغي عليّ ان لا افعل من شيء اكثر من ان اجرد نفسي من كل الشهوات . وما من شيء في هذه الحياة اهون من هذا مطلباً ، او ايسر نوالاً ، على ما يعرف الناس جميعاً . وأول ما يجب عليّ ان اشد ، انما هو ان اظلّ بغير حُبّ . فاذا رأيت حسناء فاتنة ، كان اول ما احدث به نفسي في شأنها ان اعمد الى وجداني بأن هذين الخدين الاثيلين سوف يحولان فيما بعد تومين صفراوين تكسوهما التجاعيد وتشيع فيهما الاخاديد ، وهاتان الشفتان سوف يحيط بهما سواد الهرم ، وهذا الصدر البارز الجميل سوف يخسف ويزول جماله ، وهذه الرأس التي يزينها الشعر الجميل سوف يصيبها الصلع ، فتصبح اشبه بكرة من النحاس . ينبغي لي ان اتخيل الفاتنة التي يقع عليها نظري في حاضرها ، على ما سوف تكون في مقبل ايامها . وبذلك لن يستطيع وجه جميل او قوام رشيق ، ان يملك عليّ نفسي او يأخذ بنان قلبي »

« ثم يجب عليّ بعد هذا أن ألزم الاعتدال ، فلا يعوزني المديح ، ولا يستهويني الكأس بقدائده ، ولا اتطلع الى طعم المجتمع ، وما عليّ الاّ ان اصور لنفسي عواقب الافراط — من رأس مصدع ، ومعدة متخومة ، وامعاء مسدودة ، وصدر ضيق ، وتنفس يلهو ويهبط . عليّ ان اتخيل ما في الافراط من ضياع العقل والصحة والوقت . وبذلك تكون صحتي على وتيرة واحدة فلا تتغير ، وتكون افكاري تقية كالقدر الساكن ، مضيئة كالنجم الثاقب . وكل هذا سهل هين ، لا يتطلب تفيذه اعناتاً او ارهاقاً »

قال مُنون محدثاً نفسه — « غير انهُ ينبغي عليّ ان افكر قليلاً كيف ادبر امر مالي . ولكن لِمَ التفكير في هذا وأنا رجل محدود الحاجات ، وثروتي في حصانة رئيس

الحزينة في مدينة « بيزو » ؟ ما عليّ الا ان اعيش مستقلاً . وهذا أكبر النعم ونهاية الارب . سوف لا أكون في حاجة الى ذرع الارض رواحاً وجيئة على ابواب اهل البلاط والمحاكم . سوف لا احسد احداً ، وسوف لا يحسدني احد . وكل هذا سهل هين . سيكون لي اصدقاء ، ولسوف احافظ على صداقتهم ، بأن لا اجعل سبباً للاختلاف معهم على شيء . سوف لا اوجه انتقاداً الى شيء يفعلونه او كلام يقولونه . وكذلك هم سوف يعاملوني . اية صعوبة في ان يلزم الانسان هذه الخطة ، وان ينهج هذا النهج » ؟

ولم يكد « مونون » يرسم هذه الخريطة الجميلة في مخيلته ، حتى أطل من النافذة فرأى امرأتين تمشيان تحت أشجار الشارع بمقربة من بيته . وكانت احداهما عجوزاً تسير الهوينا بغير اكتراث ، أما الاخرى فكانت شابة في عنفوانها ، وعلى مظهرها مايم على كثير من الاقبال . فكانت ترسل التنهدات . وتجود بالدمع الهتون ، فكانت في حالها تلك ، في تنهدها ودموعها ، أكثر جمالاً منها في سكونها وهدوئها . غير ان الفيلسوف مُسَّ سيئاً ، لا بالمرأة ، فانهُ كان قد عاهد نفسه على ان لا يكون فريسة لمثل هذه الخيالات ، ولكن بحالة القنوط والهم التي بدت عليها . فانحدر من السلم وتقدم الى « البنوية » الجميلة ، على أمل ان يهدىء روعها بالحكمة ويكبح جماح انفعالها بالفلسفة . فقصت عليه ، بكل ما تتخيل من سذاجة وطيبة قلب ، ما أصابها من المصائب على يد عمٍّ تخيلته تخيلاً ، وكيف حرمها من ثروة طائلة ما حلمت بها يوماً ، وروت لهُ ما كان من قسوته وما لقيت من جبروته وهماً وكذباً ، وما كان لها من عم ، وما كان لها من ثروة ، وانما كان لها خيال خصب يصور الحوادث ، فيرويها لسان كان تحته هاروت ينفث فيه السحر الحلال

قالت « أتخيل أنك رجلاً أصاب من الحكمة وأفاد من الفلسفة . فلو أنك تفضلت وقدمت الى منزلي ، أذن تستطيع أن تنقذني من الورطة التي أجد نفسي فيها وتخلصني من المأزق الذي ترديت فيه »

فلم يتردد مونون في أن يقبلها ، ليبحث أمرها من وجهة فلسفية صرفة ، وان ينصح لها بأقوم سبيل يمكن ان تخطه الفلسفة

وهنالك في منزلها اقتادتهُ تلك الفاتنة الى حجرة ينبعث منها الطيب ويشيع في

جنباتها المطر ، وطلبت اليه في أدب واحتشام ان يجلس بجانبها على اريكة منتبذة اياه بوجهها ، كما لو يكون قد تأهبا لمعركة سلاحها الكلام والنقاش . فهي في شوق لان تقص قصتها ، وهو في شوق لان يسمع منها تلك القصة . ومضت السيدة تتكلم غاضة من بصرها ، مشيحة بوجهها نحو الارض ، مرسلة بين آونة وأخرى بالدمعة في إثر الدمعة ، زافرة بالتنهدة في إثر التنهدة ، وكانت ترفع عينيها الى من تكلم حيناً بعد حين ، فلا تفتأن الأعلى عيني « ممنون » الفيلسوف مركوزتين في عينيها . وكان حديثها حديث الصديقين ملأ كل منهما الإشفاق والحب لصاحبه ، اما هذه الصداقة وذلك الحب فآخذا يزيدان شيئاً بعد شيء ، كلما التقى الناظران ، وتخاطبت العينان . ولقد اهتم « ممنون » بحديثها كل اهتمام ، وبدأ يشعر بأنه اكثر ميلاً الى الاخذ بيد هذه المخلوقة التي جمعت بين الغفة والبؤس ، كلما مرّ الوقت على مجلسه واياها ، كان دقائق الزمن تدور في قلبه ، لا مع الأجرام

من ذا الذي يمكن ان يدخل الى الحجرة التي جلسا فيها يتباثّان : هي بالشكوى وهو بالنصيحة ؟ من تخيل ان يقتحم باب ذلك المنسك المقدس ؟ من تتصوّر سوى الهمّ الذي كانت مثارُ الشكوى . الهمّ الذي هو سبب البلوى وأصل المصيبة . وكان مدججاً بالسلاح من فوق رأسه الى اخمص قدميه ، وقال اول ما قال انّ من حقه الآن ان يُضحي بكليهما ، بالفيلسوف ممنون ، وبابنة اخيه . اما هي ففرت هاربة ، ملقية في روع الفيلسوف ان عمّها من شأنه الغو ، ومن خلائقه الغدران ، تلقاء بدرة من المال يسربها جيبه . فاضطر « ممنون » ان يشتري نفسهُ بكل ما كان بين يديه . وكان من حسنات تلك الأيام ان الناس كان في مقدورهم ، بمثل هذه الوسائل ان ينجوا بأنفسهم من المخاطب . ولم تكن اميركا في زمن هذا الفيلسوف قد اكتشفت بعد ، ولم يكن النساء المعطوبات ببلايا الزمن قد أصبحن مبعث خطر على الرجال كما هنّ الآن

وعاد « ممنون » إلى منزله خجلاً ، مكسور الجناح ، منكس الرأس . وهنالك وَجَدَ دَعْوَةً يدعوه بها عزيزها إلى مأدبة تضم بعض اصدقائه

قال : « اما اذا ظللت في البيت منفرداً بنفسي ، فسوف تساورني ذكريات هذا الحادث المشين ، فلا استطيع أن آكل كسرة ، وما يدريني ، فلعلي أمرض ، فمن حسن

التبصرة أن امضي الى اصدقائي الاعزاء ، وملّي أقضي في صحبتهم بعضاً من وقت الفراغ . سوف أنسى في عشرتهم الجليلة البريئة ، تلك الغواية التي وقعت فيها صبيحة اليوم »

وعلى هذه الفكرة ذهب لبحضر الوليمة . وسرعان ما بان لاصدقائه انهُ مهموم ، يريد ان يستقوي بالشرب على طرد هموم تساوره ، وذكريات لا تذهب الا لتعاوده

« ان قليلاً من الخمر يُحتَسَى بهوادة وتؤدة ، لَكفيلٌ بأن يذهب الهم من قلوب الآلهة ومن قلوب البشر » — ذلك ما قام في نفس ممنون الفيلسوف . واحتسى الخمر ، وامعن في احتسائها ، حتى سكر وغلا في السكر . وبعد ذلك جاء دور اللعب

— « ان قليلاً من اللعب مع اصدقاء اوفياء مخلصين ، لمن اجل الطيبات وقت الفراغ » — ولعب فخسر ، وخسر كل ما كان في كيسه ، وخسر اربعة اضعاف ما كان معهُ ، مقسماً بشرفه أغلظ الايمان انهُ سيدفع ما يخسر . وهنالك يقوم جدل على خطأ لا تجيزه شريعة القمار ، ويحمى وطيس الجدل ، وتقوم قيامة الكلام والاخذ والرد والجذب والدفع ، فيرميه احد اصدقائه الاوفياء المخلصين بعلبة من علب النرد فتصيب رأسه ، وتفقأ إحدى عينيه . ويحمل « ممنون الفيلسوف » الى بيته سكران معدماً ، لا عقل في رأسه ، ولا درهم في جيبه ، وبعين واحدة

حتى اذا قضى وقت مختار نائماً بنط غطيط البكر شد خناقه ، وبدأت سورة الخمر تتبخر من رأسه الحكيمة وذكر ما كان منه ، اسرع بخادمه فارسل به الى رئيس الخزينة في مدينة « بنوى » ليسلفهُ بعض المال ، عساه يقضي دينه ، دين الشرف ، الى اصدقائه الاوفياء المخلصين . فاذا عاد الخادم اخبره ان رئيس الخزينة قد اعلن إفلاسه صبيحة ذلك اليوم وانه وضع لاهل الحكم أنه محتلس محتال ، وانه بذلك اصبحت مائة اسرة في أشد حالات الفقر والعوز . فما وسع « ممنون » الفيلسوف الا ان يحجب عينه المفقوءة بلفافة ، ويأخذ في جيبه عريضة دعوى ليتقدم بها الى الملك ، طالباً منه ان يقيم العدل بينه وبين المختلس المحتال . وما ان يدلف الى دار العدل في البلاط الملكي حتى يلفي عدداً من السيدات ، وقد ملكهن هزة الفرح والسرور ، فرحن يدرن ممسكات بعضهن بأيدي بعض في حلقة ، وبأسرع ما يتصور العقل قفزاً ووثباً . وهنالك تتقدم اليه احداهن وكان له بها علاقة وتصبح في وجهه — « ما أبشع هذا المسخ المخيف » ! ثم تلوها اخرى وكانت به أكثر

سرعة من صاحبتها الاولى فتقول له — « بالله — أيها الفيلسوف ممنون ! ارجو ان تكون بخير . وأسفاه ! كيف فقدت عينك يا ممنون » — ثم تلتفت برشاقة وتوليه ظهرها ، وتبتعد عنه في غير اكتراث

هنالك لم يسع ممنون الا ان ينتبذ بنفسه ركناً من الاركان ، بعيداً عن ان تأخذه فيه الاعين ، ويظل منتظراً ، حتى تتاح له فرصة يتراءى فيها على قدمي الملك ولقد أزف الوقت وأتيحت الفرصة : فقبل الارض ثلاث مرات ، وتقدم بكتابه في يده ، فتقبله الملك بقبول حسن ، وأمر أحد رجال حاشيته ان يتسلم منه الكتاب ، فاكان من ذلك الرجل الا ان انحنى بممنون ناحية وقال له بخشونة وبذاءة :

« اسمع يا هذا ! أنت يا اعور ! يا من لا يملك الا عيناً واحدة ! لاشك في أنك كلب نبّاح مُزر . ذلك بأنك تتقدم الى الملك بكتابك ، في حين كان الواجب ان تتقدم به الي . أضف الى ذلك انك تطلب القصاص من مفلس امين شريف ، أحوطه بعنايتي وأظلله بحمايتي ، وهو فوق ذلك من اقرباء الوصيفة التي تقوم بخدمة حظيتي . عليك ان لا تتقدم خطوة اخرى في هذا الامر ، ايها الصديق الطيب ، هذا اذا اردت ان تفوز بالعين الاخرى التي بقيت في وجهك »

هذا ممنون الفيلسوف . ممنون الذي تخيل بين جدران حجرته الاربعة ان في مستطاعه ان يهجر النساء ، وان يقلع عن المائدة الخضراء وعن الشرب وعن الجدل والشجار ، واقسم فوق كل هذا ان لا يطرق للحاكم باباً . ممنون هذا وفي رأسه كل هذه الاخيلة ، وفي فترة وجيزة ، لا تعدو اربع وعشرين ساعة استمالته امرأة ، ثم سرقته ، ومن بعد ذلك سكر ولعب القمار وتشاجر ، وفقئت عينه ودخل المحكمة ، حيث أمتهن ، واهينت كرامته

ولقد اخذ ممنون العجب ، وملأ قلبه الهم والحزن ، فقفل الى بيته خضبان اسفاً . وما ان تأهب لدخول البيت ، حتى دوهم بعدد من رجال الشرطة شرعوا يفتشون اثاث بيته لياع وفاء لمطلوبات دائنيه . وتأخذ بتلابيبه الهموم ، فيسقط إعياء تحت شجرة على رصيف الشارع ، وهنالك يقع بصره على تلك المرأة التي لقيها في صبيحة الامس ، تمشي الهوينا مع عمها العزيز . وما ان رآه حتى اغرق في الضحك ، واصبع الم مشيرة الى الضمادة التي تحجب عينه المفقوءة

واقبل الليل بويلاته ، فهيأ ممنون لنفسه فراشاً من القش والبوص بجوار جدار من جدار بيته ، ونوّم رأسه الناس ، فأخذ ينط غطيطاً . وبينما هو في غفوته ، اذ تجلى لهُ ملكٌ من ملائكة السماء ، تجلل بالضياء محفوف بالبهاء ، مهيباً بأحنحة ستة ، ولكنهُ بلا رجلين وبلا رأس ، وما يشبهُ من شيء . — « من أنت » ؟

فاجابه الملك — « انا شيطانك الطيب »

— « اذن فردّ اليّ عيني وصحتي ومالي وعقلي »

ثم قصّ عليهِ ممنون كيف انهُ فقد كل هذه الاشياء بين صبيحة يوم ومسائه . ! فاجابهُ الملك : « هذه احداث لن يقع مثلها في عالمنا الذي نعيش فيهِ »

— « واي العوالم تسكن » ؟

— « ان مأهلي يبعد عن الشمس خمسمائة مليون ميل ، في نجم صغير الى جانب الشعرى ، على انهُ يمكنك ان تراه من مكانك الذي انت فيهِ »

قال ممنون — « انهُ لموطن جميل الماخاذ ! فقل . ومما لاشك فيهِ انكم لا تعرفون فاتنات يأسرنَ المفتونين امثالي ، ولا اصدقاء اوفياء يسلبون ما في جيبهِ من المال ، ويخطفون احدى عينيهِ ، ولا نفسين محتالين ، ولا رجال حاشية يهزؤون بهِ عندما يتقدم اليهم طالباً العدل والانصاف »

فاجابهُ ساكن النجم — « كلاّ . لا تألف شيئاً من ذلك فاننا لن نفتن بالنساء ، لانهنّ لا يوجدن حيث نسكن . ولن نتشاجر على الموائد الخضراء ، لاننا لا نأكل ولا نشرب ، وليس عندنا مغلبون محتالون ، اذ ليس عندنا ذهب او فضة . وأصيقنا لن تفقأ ، ذلك بان اجسامنا ليست كاجسامكم ورجال الحاشية لن يستطيعوا ان يسومونا خسفاً . ذلك بأننا جميعاً متساوون في طلعتنا البهية »

قال ممنون — « اتوسل اليك يا سيدي ان تخبرني : كيف تقطعون الوقت وتقتلون الزمن ، بغير نساء وبغير اكل او شرب » ؟

— « انما نقطع الوقت في مراقبة العوالم الاخرى التي يعهد الينا في تدبير امورها وما انبت الى عالمك هذا الا لاهديه من روحك واسليك عما انت فيهِ من الغم »

فتأوّه ممنون وقال — « واأسفاه ! ولمَ لم تأت يوم امس لتكفيني الوقوع في الكثير مما وقعت فيهِ من المخازي ، وتمنع عني ما تردّيت فيهِ من الاخطاء » ؟

فاجابهُ الكاتبُ السماوي — « كنت مع اخيك حسن ، فانهُ لأحقُّ بالشفقة منك . فان صاحب الجلالة ملك جزر الهند ، الذي كان لاخيك حظوة الخدمة في بلاطه ، قد امر بان تفقأ عيناه الاثنتان ، جزاء هفوة هينة . وهو الآن في اعماق السجن ، وقد اثقلت يديه ورجليه الاصفاد »

— « انهُ لمن الصدف الحسنة ان يكون في اسرة من الاسر شيطان طيب مثلك. فيكون من أثره فيها ان يصبح احد الاخوين اعور ، والآخر اعمى . احدهما يتمطى على فراش من البوص والقش بجوار جدار ، والآخر يتلظى في غيابات السجن ! »

فاجابه الملك — « ان حظك سوف يتغير سريعاً . من الحق انك سوف لا تحظى بعينك مرة اخرى ، ولكنك سوف تكون سيداً محظوظاً ، اذا لم يدر في رأسك مرة اخرى انهُ من الممكن ان تكون فيلسوفاً تام الفلسفة » . — « استحيل ذلك إذن » ؟

— « نعم مستحيل . كما يستحيل عليك ان تكون تام العقل . تام القوة . تام القدرة . تام السعادة . اننا نحن بأنفسنا بعيدين عن ان نفكر في ان نكون كما اردت أنت ان تكون . ولكن هنالك عالم يمكن ان تتحقق فيه كل هذه الاشياء . ففي تلك العوالم العديدة التي يبلغ عددها مائة الف مليون عالم تخضع كل الاشياء لسنة التدرج. ففي العالم الثاني تجد ان الفلسفة والنعمة سمة ، اقل منهما في العالم الذي يسبقه في ترتيب التدرج . وهي اقل في الثالث منها في الثاني ، وهكذا ، حتى اذا بلغت العالم الاخير ، وجدت ان اهله حيياً حتى اغبياء »

قال ممنون — « اخشى ان تكون ارضنا هذه المكونة من طين وماء ، هي بذاتها مباءة المائة الف مليون من العوالم التي تشرفني فجأتك بالكلام عنها »

— « ليس الامر كما تقول تماماً ، وانما قولك قريب من الحق . ان كل شيء يجب ان يوضع حيث يجب ان يكون »

— « ولكني أسألك أتخطئون اولئك الشعراء والفلاسفة الذين يلقون في روعنا دائماً ان كل شيء حسن ، وعلى انهم ما يكون في النظام » ؟

قال الملك « — لا . ليسوا على حق تماماً ، وانما يكونون على حق اذا ما نظروا في الاشياء من ناحية صلتها بنظام التدرج الذي يشمل قانون الكون كلهُ »

قال ممنون — « كلا . لن أؤمن لك ، حتى استرد عيني المفقوءة »

انا المشعال

لـ د. ر سيمز

انا المشعال وليس يعنيني ان الفراش يموت في ضوئي .
انا اللهب ، لهب الجمال ، احترق لكي يرى الجمالَ جميعُ الناس
لست اغتبط ولا اخجل ، بل اعيش بالضوء الباهر
ضوء النار المتأججة التي يرى فيها الرجال موت رغائبهم .

انا ايزولت وهيلانة ، لقد رأيت طروادة تحترق
وشاهدت أشد الفرسان حبًّا وهو مجندل . كانت الدنيا
مرآتي ، وكان الزمان ينعس على المرآة . وطالما همس الرجال
عصراً بعد عصر بكلمات الحب المسكينة امام شبحي فيها !

انا احيا لاني خالد ، في عيني آلام العالم
وعلى شفتيّ مباهج الحياة ، تمزج فتمنحني الحكمة .
ولكن الكسوف حوّل يومي قتاماً . اين من يحيا للجمال ؟
ما زلت ذلك المشعال القديم ، ولكن أين الفراش الذي يجرؤ على الموت ؟

الرحيل الاول

للشاعر الفرنسي جامه ريشپين

[نقلها احمد ابو الخضر منسي]

١ اذا عيون زهور اللؤلؤ البيض تَفتَّحت [١]
واذا البرعوم المتزلزل اهتزّ في اطراف الغصون
واذا الارانب التي لا طاقة لها بالبرد هبّت في البُكَر [٢]
تخرج من مَسكَنِها [٣] ترتع بين نبت السعتر
واذا طلائع الطير غنت اغانيها وشدت
فأطلقت اصواتها في كبد السماء احلى شجواً وأصفى رنينا
واذا الدنيا اخذت زينتها من أُنُف [٤] وجددت السنين
غادر السائلون الصغار مأواهم صاغرين

٢ يخرجون من حُصُنهم الذي فيه ثووا طول الشتاء
كالمراميط [٥] لدى نار اوقدوها بالمَدَر
بينما امهم تؤجج وقود النار ،
وتَصْفِير وهي تغني سلالاً من خلاف [٦]

---

(١) تفتح تتفتح واخرج زهره (٢) جمع بكرة الصباح الباكر (٣) جحر الارنب
(٤) من جديد (٥) جمع مرموط تعريب اللاتينية احمد فارس الشدياق وهو حيوان قارض من جبال الالب ينام الشتاء اجمع (٦) غصون عدة انواع من شجر الصفصاف صغار ليّنة تصنع منها السلال

انما يكسب هؤلاء الصغار المساكين ذوو الظهر

قولهم من بيع هذه « الشخاشيخ » ذوات السيقان[1] الخضر

٣ مات ابوهم منذ شهور اربعة

فاليت مرتفع الايجار وامهم

لذلك ستشتغل لدى الناس خادمة

فلا لقاء بينهم الاَّ في الفصل المقبل

متى ربحوا هذا الصيف بعض الدراهم

٤ والى ان يحل ذلك الاجل كل له وجهة هو مولها

فالصغار يحملون كاراتهم[2] فوق اكتافهم

ويحذون ثيابهم تنشى رؤوسها قطع الصاج

واذ قبلت الام في شهقات عويلها

آخر بنيها الآخر مرة

المطلقوا وايديهم بأيدي بعض في وقار

يُنَغِّم الاكبر لحناً ليدو أربطهم جأشاً

ولكنهُ شعر بالدمع الغزير من مآقيه ينهمر

يد أنهُ لا يبكي لانهُ هو أعلام سنًّا

ولانهم ها هم يضربون في الارض ويسعون

وابن الاثنى عشر حولاً قد صار رب بيت ورب هموم

(١) جمع سيقان الشكل الهندسي المعروف الذي تصنع على هيئته قطع « البقلاوة » (٢) جمع كارة اضبامة من ثياب تحمل ، كالصرة او « البقجة »

سير الزمان

حفلة تتويج

الملك جورج السادس

وما فيها من المغازي الدينية والروحية

العروش في التاريخ

والعروش المصرية الثلاثة

عرش محمد علي رأس اليت المالك

حفلة تتويج الملك

جورج السادس

وما فيها من المغازي الدينية والروحية

ليس التيجان عادة قديمة جداً عرفت قبل زمن التاريخ كما يستدل من النقوش القديمة في مصر وبابل وبلاد اليونان . وقد تنوعت الآن فأبطل الملوك لبس تيجانهم الا نادراً وقد يقلدون عن لبسها بتاتاً في مستقبل الازمان اذا بقي للناس ملوك يملكون عليهم . والانكليز تحققوا غيرهم من أمم هذا العصر الى الحكم الدستوري ونزع السلطة من ملوكهم واعطائها لنواب الامة ، ولكنهم لا يزالون متمسكين بكثير من عاداتهم القديمة كتتويج ملوكهم والباس قضاتهم الصور العارية وحراسهم الثياب المقصبة التي كانت تلبس منذ مئات من السنين ونحو ذلك مما لفت نظر أمم كثيرة تأخرت عنهم في اقتباس الحكم النيابي

الا ان احتفال البريطانيين بتتويج ملوكهم ، ينطوي على شعائر دينية من شأنها ان توجه النفس والعقل الى الفضائل السامية التي يجب أن يتصف بها الملوك كالايمان وحماية الدين وخدمة الشعب واجراء العدل والحكم بالرحمة . فالاحتفال يقام في كنيسة ويرأسهُ رئيس اساقفة كنتربري وتتخللهُ صلوات وابتهالات وترانيم روحية وتقرأ فصول من الانجيل . وحفلة التتويج لها في فصول متسقة مترابطة المعنى والمغزى من البداية الى حلف اليمين الى مسح الملك بالزيت المقدس الى تسليم الملك ادوات الملك الى وضع التاج على رأسهِ فاجلاسهِ على العرش فتقبلهِ خضوع شعبه وولاءه

وفي كل هذا يشترك رجال الكنيسة مع اقطاب الشعب ، فليس للملك ان يقيم احد هذه الشعائر وحده ، فالتاج يلبسهُ اياه رئيس اساقفة كنتربري ، والعرش يصعد اليهِ وحده ولكنهُ عندما يصل الى الدرجة العليا يرفعهُ اربعة من مقدمي اعيان المملكة الزمنيين والروحيين ويجلسونهُ عليهِ ، فالحفلة اعتراف من الناحية الدينية بما للدين من مقام في حياة الدولة ، ومن الناحية المدنية تجديد للتقاليد التي جرى عليها الامراء والاعيان في عهود الانطاع في مبايعتهم الملك الجديد وتسليمهم اياهُ رموز السلطة والحكم

***

يتوج ملك الانكليز في الكنيسة القديمة المعروفة بكنيسة دير وستمنستر القائمة الى جانب دار البرلمان وهي كنيسة شيدها ادورد المعترف في القرن الحادي عشر ، ولا يعلم هل توّج فيها ولكن من الثابت ان وليم الفاتح توج فيها يوم عيد الميلاد سنة ١٠٦٦م

بدأت حفلة تتويج الملك جورج السادس بالمبايعة، فوقف رئيس اساقفة كنتربري وحوله أربعة من كبار اعيان المملكة، ونادى الجمع المحتشد في الكنيسة قائلاً: ايها السادة اقدم اليكم الملك جورج ملككم الذي لا شبهة فيه وقد جئتم جميعاً لتقدموا له الطاعة والخدمة فهل انتم راضون في ذلك فهتف الجمهور « احفظ اللهمّ الملك جورج » وقد اعاد رئيس الاساقفة هذا النداء اربع مرات متجهاً كل مرة الى فريق من الجمهور المحتشد حول منبر الكنيسة، فواجه الواقفين جنوبهُ أولاً ثم الواقفين غربهُ فشمالهُ فشرقهُ. وفي كل مرة كان الجمهور يجيب احفظ اللهمّ الملك جورج. هذا والملك واقف قرب وسط المنبر بحيث يراهُ الجمهور. ثم فتحت الابواق

وهذا الجانب من حفلة التتويج يرتدّ الى العصور القديمة، لأن للشعب الحق في مبايعة الملك والموافقة عليه، على الرغم من ان الملك وراثيٌّ، ونداء الشعب « اللهمّ احفظ الملك جورج » يعرب عن موافقته ورغبته في ان تمضي الكنيسة في حفلة التكريس الدينية

وبعد ذلك جلس الملك على كرسيه، وقدمت أدوات الحكم أداة أداة الى رئيس الاساقفة دليلاً على ان الدولة قد تنازلت عن رموز الملك الزمني لوضعها في حفظ الكنيسة، فسلمها رئيس الكهنة للملك واحدة واحدة دليلاً على انها معطاة لهُ على سبيل الوديعة من قبل الرب. ولا يبقى في أيدي ممثلي الدولة الاّ السيوف الاربعة وهذه تسلم للملك بعده

وعقب ذلك تلاوة قانون الايمان فتقدم رئيس الاساقفة الى الملك وقال لهُ هل أنت مستعدٌّ يا مولاي ان تقسم اليمين فقال الملك نعم واقسم ان يحكم البلدان التي تألف منها الامبراطورية البريطانية وفقاً لعاداتها وتقاليدها وان يجري العدل. ولاول مرة في تاريخ بريطانيا ذكرت البلدان التي تألف منها الامبراطورية ذكر كلٌّ منها على حدة لانها أصبحت منذ حفلة تتويج جورج الخامس في سنة ١٩١١ مستقلة ومتساوية وهي المملكة المتحدة وارلندة وكندا واستراليا وزيلندا الجديدة واتحاد جنوب افريقية وامبراطورية الهند. وتلا ذلك أسئلة وجهها رئيس الاساقفة الى الملك تدور حول احترام القانون واقامة العدل والحكم بالرحمة وحماية الدين وكلها مفرغة في قالب «هل تعد» و « هل تفعل » فأجاب الملك « كل هذا أتعهد به ». ثم قبل الملك التوراة ووقع اليمين

ان المبايعة عمل دنيوي، واليمين عمل ديني، وبهما يرتبط الشعب بالكنيسة بقبول الملك وعند ذلك ترفع الحفلة من مستوى التعاقد بين الملك والشعب من جهة، والكنيسة والملك من جهة، الى مستوى التقديس. فابتهل رئيس الاساقفة الى الله ان يمنح «خادمهُ جورج ملكنا الحكمة» ثم قرأ اسقف لندن فصلاً من رسالة القديس بطرس ومن آياتها « أكرموا الجميع. أحبوا الاخوة. خافوا الله. أكرموا الملك »

ثم قرأ رئيس اساقفة يورك فصلاً من انجيل القديس متى ومن اقواله: « فقال لهم اعطوا

اذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . وهذا الجزء من الحفلة لا يزال كما كان سنة ٩٧٣ عندما توج الملك ادجار المسالم لم يطرأ اي تغيير .

ثم وقف الجمع المحتشد وكذلك الملك والملكة وانشد الجميع قانون الايمان . ثم رتلت ترنيمة اخرى ركع الملك في خلالها

ثم نهض الملك وتقدم اليه كبير الاساقفة ونزع عنه ثوب المخمل القرمزي وجرده من جميع شارات المجد الارضي لكي يتقدم بخضوع ووداعة الى المسح بالزيت المقدس، وهو مرتد قميصاً قرمزياً بسيطاً . ثم تقدم اربعة من كبار الاعيان ورفعوا فوق رأس الملك سرادقاً من النسيج المذهب . وقد كانت العادة ان يحجب هذا السرادق الملك عن الجمهور اثناء المسح بالزيت المقدس لان هذا العمل سرٌّ من اسرار الكنيسة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك في هذه الحفلة فشاهد الجمع كيف مسح رئيس اساقفة كنتربري رأس الملك وصدره وقمة رأسه بالزيت وهو يقول لتمسح راحتاك بالزيت المقدس . او ليمسح صدرك . ثم ناصح رأسه قال ليمسح رأسك بالزيت المقدس كما مسح الملوك والكهنة والانبياء

وتلا ذلك تقديم الملهاز والسيف وصلى رئيس الاساقفة ضارعاً الى الله ان لا يتقلد سيفه عبثاً بل يستعمله لخدمة الله بارهاب الاشرار وحماية الاخيار . ثم ناوله اياه قائلاً اجر بهذا السيف العدل واوقف نمو الشر واحم كنيسة الله وأعن الارامل والايتام وجدد ما عتق واحفظ ما تجدد واصلح الاثيم وايد الصالح حتى تسوكل فضيلة . ثم ناول رئيس الاساقفة رداء الملك والكرة والصليب قائلاً تقبل هذا الرداء الامبراطوري والكرة وليحبك الله مع المعرفة والحكمة بالمجد والقوة من لدنه وليحطك بنعمته من كل جانب وليلبسك الرب رداء الصلاح وثوب الخلاص . واذا رأيت هذه الكرة موضوعة تحت الصليب فتذكر ان العالم كله خاضع لقوة المسيح فادينا

وبعد ذلك دفع الملك بالكرة الى « دين » دير وستمنستر ليضعه على المذبح

ثم ألبسه خاتم الملك وناوله الصولجان قائلاً تناول صولجان العدل والرحمة وليسنك الله في اجراء كل ما وهبك من السلطة وكن رحيماً ولكن لا تتمادَ في الحلم وعادلاً ولكن لا تنس الرحمة وعاقب الشرير واحم الصالح وقد شبك في السبيل الذي يجب ان يسير فيه

ثم رفع رئيس الاساقفة التاج وهو واقف أمام المذبح وتضرع الى الله ليبارك الملك ويتوجه بكل فضيلة ووضع التاج على رأسه قائلاً يتوجك الله بتاج المجد آمين . وللحال رفع الاعيان تيجانهم من تحت مقاعدهم ووضعوها على رؤوسهم وهتفوا للملك

ثم رفع « دين » وستمنستر الكتاب المقدس عن المذبح ودفع به الى رئيس الاساقفة فقدمه للملك

قائلاً نقدم لك هذا الكتاب اثمن ما في العالم . هذا الحكمة . هذا هو القانون الملكي . هذا ألسنة الله. فأخذهُ الملك من رئيس الاساقفة ثم اعادهُ اليهِ فعطاهُ الى «دين» وستستر فيضعهُ على المذبح

وكما ان المسح بالزيت المقدّس ذروة ما تبلغهُ حفلة التتويج من الناحية الدينية ، كذلك وضع التاج فرفع الملك الى العرش ذروة ما تبلغهُ الحفلة من الناحية الدنيوية . لقد وضع التاج ، وها هو هذا الملك يتقدم الى العرش ، القائم على منبر مرتفع قليلاً فيرتقي درجاتهِ الخمس فمتى بلغ اعلاها اتجه الى المذبح فتقدّم رئيس الاساقفة وبعض كبار الاعيان ووضعوا ايديهم تحت ذراعيهِ ورفعوهُ الى العرش وانزلوه بذلك الى ان سلطتي الكنيسة والشعب اشتركت في رفعهِ اليهِ فجلس الملك عليهِ وجعل رجال المملكة يمرون امامهُ يسجدون لهُ واولهم رئيس أساقفة كنتربري فسجد امامهُ وسجد الاساقفة الآخرون حيثما واقفون ثم امراء البيت المالك فرفع كلٌّ منهم تاجهُ عن رأسهِ وركع امامهُ وقال اخدمك بحياتي واكون امينًا لك حتى الموت فليساعدني الله ثم لبس تاج الملك بيدهِ وقبله على خده الايسر . وفعل مثلهم رؤساء فرق الاعيان ، اما اعضاء تلك الفرق فكانوا يركعون في مجالسهم وهم حاسرو الرؤوس عند ما يركع مقدمهم امام الملك ثم احتفل بتتويج الملكة

ولهذا التتويج في نظر الانكليز وجهان وجه ديني ووجه سياسي فالاحتفال بهِ من الوجه الديني هو كما قال فيهِ بعض واصفيهِ اعظم احتفال ديني لهم . ولو أمم الانسان نظرهُ في الصلوات والاقوال التي تقال فيهِ لوجد جوهرها التضرع من المخلوق الى الخالق والتقدُّم اليهِ بروح البساطة التي يتقدّم بها الولد الى أبيهِ ليطلب منهُ لهُ وللملكة ما يريدهُ ويشتهيهِ

والاحتفال بهِ من الوجه السياسي اعظم احتفال دنيوي لهم . ولو امم الانسان نظرهُ في الاقوال التي تقال فيهِ ايضاً لوجد انها تعظم قدر الملك وتعلي شأن وظيفتهِ الى اسمى الغايات وتذكرهُ في كل حركة وسكنة بما هو واجب عليهِ لشعبهِ وبالعهود التي يعاهد شعبهُ عليها وبكونهِ خادماً للقانون مؤيداً ومنفذاً لهُ

***

وقد يعترض البعض ان الملك لا يكون بعد التتويج اكثر صلاحاً وعدلاً منهُ قبل التتويج وانهُ اذا أجاب الله دعاء رئيس الاساقفة في حفلة مثل هذه فعلى مَ لا يجيب دعاءهُ من غير احتفال ولا انفاق اموال . ولكن تاريخ الانسان يدلُّ على ان الحفلات الدينية الوقورة تؤثر في نفسهِ تأثيراً شديداً حتى لقد تحملهُ على اصلاح سيرتهِ والتفاني في عمل ما يجب عليهِ اما فائدتها السياسية فما لا شبهة فيهِ

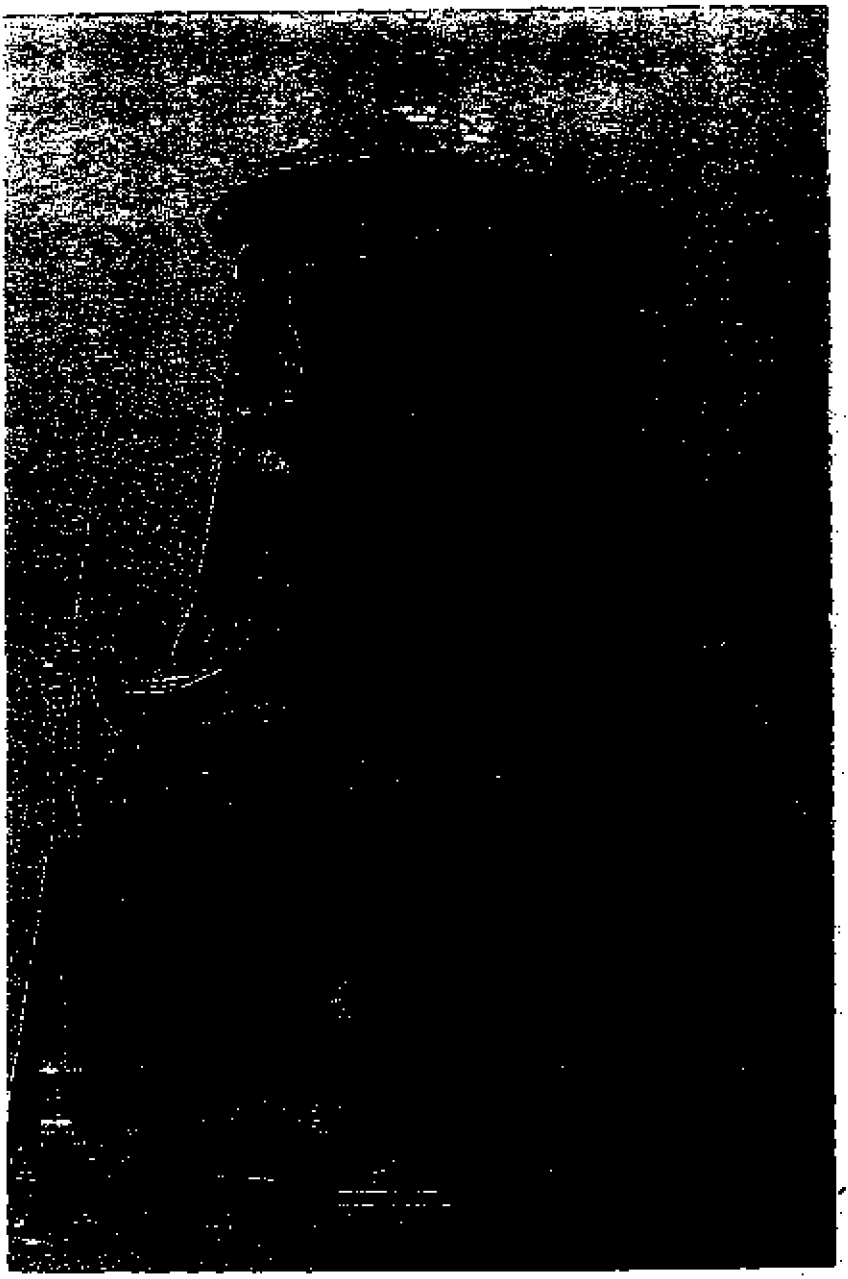

عرش المغفور لهُ جلالة الملك فؤاد الاول في البرلمان

العرش في التاريخ

والعروش المصرية الشهيرة

العرش قديم في نظام الاجتماع البشري فيدّم الملوك . والظاهر انهُ كان في أول عهده دكة يقف الملك أو يجلس عليها لكي يكون فوق شعبه يراهم ويرونهُ فيشعرون بتفوقه عليهم بدليل ما في العربية وغيرها من اللغات من ألفاظ الصعود والارتقاء الى العرش . وشيء يختص بالملوك ويرتبط به مقامهم وجاههم لا بد من أن يسعوا بتنميته وتعظيمه أو يعنى بذلك المتزلفون اليهم من رعاياهم . ولا مشاحة في ان المشارقة سبقوا أمم الارض في مبادىء الحضارة واتقان الفنون فلا عجب اذا سبقوهم ايضاً في صنع العروش للوكهم والبلوغ بها الى أسمى ما بلغت اليه فنونهم كما نبت من العرشين او الكرسيين الذين وجدا في قبر الملك توت عنخ أمون فان احدهما وهو المرسوم في صدر هذا العدد مصنوع من الخشب على شكل بديع أفرغ الصناع فيه مهارتهم وجمعوا بين الدقة في تمثيل الطبيعة والابداع في التعبير عن العقائد الدينية . فرأسا الاسدين اللذان تنتهي بهما ذراعا الكرسي والاخفاف الاربعة التي تنتهي بها قوائمهُ من أدق ما يكون . وعلى الظهر واليدين أشكال وكتابات مما تنطوي عليه ديانة المصريين . ثم ان نوع الخشب وصفائح الذهب والمسامير الذهبية التي تربط أجزاء الكرسي والاصباغ التي طلي الخشب بها كل ذلك جامع بين الابهة والبهاء وشاهد بتفوق الصناعة المصرية في ذلك العصر

وقد جاء في التوراة وصف عرش سليمان حيث قيل « وعمل الملك (سليمان) كرسيًّا عظيماً من عاج وغشاهُ بذهب ابريز . وللكرسي ست درجات ورأس مستدير من ورائه ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس وأسدان واقفان بجانب اليدين . واثنا عشر أسداً واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك لم يصنع مثله في جميع الممالك » (ملوك الاول ١٠ : ١٨) . وقد عثر المنقبون على بقايا عرش من صخر شلور في انقاض قصر سنحاريب ملك الاشوري . وكان العرش الذي شاهُ شاه عباس ملك الفرس من الرخام . والظاهر ان هذا الملك كان مولعاً بالعروش الفخمة فأهدى الى قيصر روسيا سنة ١٦٠٥ عرشاً مصفحاً برقائق الذهب ومرصعاً باللآلىء والاحجار الكريمة . وصنع القيصر نيودوروفتش جد بطرس الاكبر عرشاً من الذهب مرصعاً بثمانية آلاف حجر من الفيروز والف وخمسمائة حجر من الياقوت واربعة احجار كبيرة من الجشت وحجرين كبيرين من الياقوت الاصفر . ومن مفاخر دهلي قبل ان افتتحها نادر شاه عرش الطاووس الذي قُدر ثمنهُ باثني عشر مليوناً من الجنيهات وكانت درجاتهُ من الفضة وقوائمهُ من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة . وسمي بعرش الطاووس لان فيه ذيلي طاووس منتشرين

ومرصعين بالالماس والياقوت ونحوهما من الحجارة الكريمة . والظاهر انهُ صنع لشاه جاهان صنعهُ المهندس الفرنسي الذي رسم المعدن الشهير المعروف باسم تاز محال .

ويقول المؤرخ المدقق السر يوحنا موفيل ان الملك رستر يوحنا كان له عرش يُصعَد اليهِ بسبع درجات اولاها من الجزع والثانية من البلور والثالثة من اليصب الاخضر والرابعة من الجشت والخامسة من الجزع العقيقي والسادسة من العقيق والسابعة من نوع من الزبرجد . وكانت هذه الدرجات مطوقة بالذهب ومرصعة بالجواهر والعرش نفسهُ كان من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة . وكان لاحد امراء الهند المعروف برامجت صنع عرش من الخشب مصفح بالذهب وهو الآن عند الحكومة الانكليزية

أما العروش الاوربية فلم تبلغ شأن الابهة والفخامة ما بلغتهُ العروش الشرقية القديمة . على ان امبراطرة الروم كانوا قد اخذوا شيئاً من ابهة الشرق وجعلوا للبهارج فنوا عرشهم المشهور الذي قيل انهُ يماثل عرش سليمان وعلى جانبيهِ أسدان صنعت لها آلة اذا تحركت وقف الاسدان وجعلا يزأران . ومن العروش المشهورة عرش داجوبير أحد ملوك فرنسا في أواخر القرن السادس للميلاد وأوائل القرن السابع . وأول ما يذكر عن هذا العرش ان نبوليون جلس فيهِ حين وزع اوسمة الشرف في معسكره ببولون . اما العرش الذي صنعهُ نبوليون فكان كرسيًّا مغشًّى بالذهب وتنتشر عليهِ الرسوم المصرية ورؤوس الاسود والنسور

وحينما يتوفى البابا وتجتمع الكرادلة لانتخاب خلف لهُ يجلس كل منهم في عرش والعروش كلها على مستوى واحد حتى اذا تم الانتخاب تخفض كل العروش الا عرش الكردينال المنتخب وعرش البابا كرسي من البرونز القديم قائم في كنيسة القديس بطرس وليس للملك الانكليز عرش خاص والكرسي الذي في دير وستمنستر ليس عرشاً لانهُ لا يجلس عليهِ الا في جانب من حفلات التتويج والحقيقة ان العرش الانكليزي هو الكرسي الذي في مجلس اللوردات ويجلس عليهِ الملك حين افتتاح البرلمان وهو مصنوع من خشب السنديان

وصفنا في صدر هذه المقالة اقدم العروش المصرية التي وصلت الينا ونصف الآن أحدثها وهما عرش محمد علي رأس البيت المالك والعرش الذي صنع للمغفور لهُ الملك فؤاد الاول

اما عرش محمد علي فقد صنع في باريس من خشب وزين وطلي بالذهب وأفرغ الصناع الفرنسيون مهارتهم في صنعهِ ويظهر من وطوء الاسدين اللذين على جانبيهِ انهُ صنع لتوضع فيهِ مرتبة يجلس عليها عزيز مصر كما كانت عادتهُ في جلوسهِ وهذا العرش محفوظ الآن في دار الفنون والصنائع المصرية . ولا ندري لماذا لا تتباعهُ الحكومة وتحفظهُ في دار آثارها . والعرش المرسوم هنا أقيم في دار البرلمان وكان الملك فؤاد الاول يجلس عليهِ عند افتتاحهِ البرلمان

باب الأخبار العلمية

الكيمياء الصناعية

ما تم تركيبه وما يتوقعهُ العلماء من ثمارها

البا كليت

في العالم مواد شتى ، مألوفة ، تركيبة تركيباً صناعيًّا . وهي ثمرة مزج مواد كيميائية — محللة او مذيبة لغيرها — بعضها مع بعض مزجاً مدققاً فيهِ. وسنفصل فيما يلي بعض ما تم تركيبه منها نقلاً عن كتاب « مائة السنة المقبلة » لمؤلفه الاستاذ فرناس ، الذي اشرنا اليهِ في مقتطف ١ كتوبر سنة ١٩٣٦ ، وذلك تمهيداً للكلام على ما يرجى تركيبهُ في المستقبل : —

تبين لنا أن الخليقة قد قصرت بعض التقصير في خلق المجانّ الكيميائية . وثبت من تقدّم لعلماء الكيمياء ان هذه البلاد « يقصد المؤلف الولايات المتحدة ، وطنه » انما تموزها مادة عجينية ، يتناح افرانها في كل قالب ، بحرارة غير مرتفعة . ثم تجبينها تجبيداً حثيثاً ، على اشكال مختلفة تبقى الى الابد . على ان تكون العجينة المنشودة ، متينة ذات رواء ، تقاوم عوامل الصدإ والاحتكاك والذوبان والحرارة. ويفضل ان تكون رخيصة ولكن ما من شجرة من الاشجار تثمر ثمرة تتسم بتلك الصفات كافة . ولما توجد على وجه الغبراء مادة تحوي هذه الخصائص جماء . فلا بعد ان يبتدعها في وقت ما احد النجّار او بالاحرى يولدها عالم كيمياوي في المختبر

ولقد نبغ فعلاً عالم كيمياوي ألماني وهو باير Baeyer ، وهذا كان مجهول الاسم في في جُلّ تراجم علماء الكيمياء اذ شرع في سنة ١٨٧٢ يعالج غيرحابه المواد التي تتولد من تكثيف الحامض الكاربوليك والفورمالدهيد. فاذا ما سُخّنت تلك المادتان المبتذلتان ، بعضهما مع بعض ، كونتا مادة عجينية راتينجية يتسنى صوغها . ومتى سلطت عليها الحرارة والضغط ، تصلبت فصارت كتلة براقة . فلم يسع باير الا بذل قصارى جهده في درس ذلك التفاعل الكيميائي ولكنهُ لم يحسّنهُ الى درجة صنع راتينج تجاري منهُ . وحذا حذوه بعض العلماء فجرّب تجارب شتى غير انهُ لم يتيسر لاحدهم صنع مادة جيدة تشبه كل الشبه الراتينج الطبيعي أي الكهرباء « الكهرمان » أو أرخص منهُ ثمناً . ولعلّ علماء الكيمياء الصوبة الافلاح[1] لم يرغبوا في قدح قرائحهم في مسألة تنحصر

(١) الفح — وجمعه أفلاح — الخالص من كل شيء — يقال فلان كريم فح — وأعراب فح

فوائدها في التجارة. فوقفت أبحاثهم عند ذلك الحد.

وطفت أنواع الراتينج الصناعية غير الموثوق بها، غالبة ملأى بالعيوب

وكان اضطلاع بايرِ بعمله ذلك، في السنة التالية لوقوف بسمارك في ردهة المرايا الفرنسية مثلياً على فرنسا المقهورة وتقتئر، شروط الصلح المذلة مشفوعة بطلب غرامة حربية فادحة

ولم يتقدم الراتينج الصناعي تقدماً محسوساً حتى ظهر في أوربا جيل جديد من «غذاء الدفاع» وأوشك ذلك الجيل الذي لم ينس الحسام القديم، يتأهب للاقتجاء، وحيئذٍ جعل علما الوضعي والتطبيقي يتقدم تقدماً وئيداً فما حلت سنة ١٩٠٩ حتى نبغ كيماوي أمريكي اسمهُ بايكلند Baekland وهو عالم فاضل جداً (أصبح فيما بعد رئيساً للجمعية الامريكية الكيميائية) فتمم طريقة باير وسمى المادة باكليت Bakelite فاشتهرت شهرة واسعة اذ تكاد تستعمل في كل تركيب يقتضي عزل الكهربائية. وتصنع من الباكليت الصواني والالواح والاقلام الخازنة للمداد «اقلام الحبر» وأقطية المناضد الاميركية، ومقابض المظلات وعلب الجواهر والسجائر. ويدخل في صنع ادوات الطائرات وفي المناجم. ولا يبعد ان يكون مستعملاً في ادغال افريقية. وفي البلاد الاميركية في هذا الزمن ثلاث من انواع الراتينج الصناعي المختلفة. وقد بلغ عددها بحسب احدث الاحصاءات ١٢٠٠ نوع وكثير منها من نوع الدهيد فينول (phenol-aldehyde) حاصل من اتحلال الالدهيد بفعل القلويات والهواء المشابه انها كليت، وغيرها من جراثيم البورية. وبعضها مركب من الفرفرال الذي يستخرج من قوالح الذرة وقشور الزبير. واخرى مركبة من الجبنين الذي يرسب الفلاحين من اللبن الزائد عندهم فيتقنون به بهذه الوسيلة. ومنه راتينج الفنيل vinyl الذي يدخل في تركيب الغازالختي كمادة أولية. وبعضها يصنع من النفط. وغيرها من الجليسرين. والآخر قوامه الصمغ المرن (الكاوتشوك الطبيعي) فيتولد منهُ مادة اكثر رواجاً من كاوتشوك العصر الخالي الصلب

ومع ذلك فما من عجينة قد بلغت أوج الكمال، اذ جميعها أغلى مما يجب. لان المواد الاولية الداخلة في تركيبها ليست رخيصة. ونحن انما نحتاج الى مادة رخيصة يتسنى لنا بها تغطية حيطان الحمامات والمطابخ المتوسطة

***

وقد ذكرنا الباكليت في كتابنا (الصناعات والصناع) المطبوع في القاهرة في مارس ١٩٢٧ فقلنا في باب (منتجات الفحم الحجري) ما يأتي:

«ومن الفينول والكريزول والنفتالين وغيرها من منتجات قطران الفحم الحجري يحضر الكيميائيون في هذا العصر مواد كثيرة عجيبة نافعة واعظمها الباكليت الذي سمّي باسم مستحدثه الاستاذ ل. هـ. بيكلاند L. H. Baekland الاستاذ السابق بجامعة غنت. والباكليت يستحضر من الحامض الكربوليك والفورمالدهيد. وباتحاد الباكليت

مع هاتيك المواد الراتينجية يسهل صوغه واحاؤه حتى يتصلب جداً بحيث يحتمل تأثير الحرارة والماء والغازات والاحماض والكهربائية. ولهذا السبب كثيراً ما يستعمل في صنع الآلات الكهربائية. ومن وجهة اخرى يتيسر تحويل الباكليت الى مادة شفافة تضارع الكهرباء الطبيعي (الكهرمان). وقد تفضله متانة وطلاوة ولما كانت هذه المادة عديمة الرائحة والطعم غير قابلة للاشتعال، استعملت بديلاً للكهرمان في صنع مباسم التدخين والخرز وما اليها من أشياء شتى». وكثير من المركبات التي ركبت حديثاً ومنها ما ذكرناه آنفاً، هي تحسينات للباكليت من جهة الثمن وقد جربت في صنع اطر النوافذ والابواب، فتبين انها لا تحتمل شدة الحرارة، اذ تلتوي في فصل الصيف. اذن لا توجد عجينة من عجائن الراتينج الصناعي بلغت المثابة التي نبغيها. فبعضها شفاف شفوف، يذكر، غير انهُ لا يصلح بديلاً للزجاج. وربما يحل احدها محله في مستقبل الزمن فتكون هي الزجاج المرن الذي تحدث بشأنه الملأ منذ عهد حديث ولم يتمكنوا من اختراعه[1] وربما لا يوجد البتة عجينة راتينجية مركبة مستوفاة الشروط المبتغاة ولكن لا بدّ من ايجاد عجائن، تكاد تستوعب مطالبنا. ومتى هبط الثمن وجاد الصنف، دنونا خطوة من بغية التركيب الكيميائي الكاملة التي تشمل كل شيء من شعارنا[2] الى السقوف التي نسقف بها بيوتنا. وهذا قد يصحبهُ بعض الانقلاب، بيد انهُ ليس الانقلاب المنشود. ولا نستطيع معرفة مبلغهُ الاّ اذا جربناه.

عوض جندي

مادة عجيبة

تحتم على متناولها الاقامة في الظلام

ان البحث عن طريقة لصنع مادة تشبه اليخضور (وهو اللفظ العربي المقترح لترجمة كلوروفل اسم المادة الخضراء التي في النبات) في تركيبها وفعلها افضى بالعلماء الى تركيب نحو سبعين مادة مختلفة لا تحقق الغرض ولكنها على كل حال متصفة بخواص غريبة جداً ومنها مادة حقن مقدار عشرة مليغرامات منها في حيوانات مختلفة فقضت على تلك الحيوانات ما زالت هذه المادة في دمها ان تلتزم الظلام وتبتعد عن الضوء فاذا اخرجت من الظلام وعرضت للضوء الباهر قضي عليها في بضع ساعات

ومن اغرب ما يذكر عن هذه المادة ان كيماويًّا المانيًّا لم يحجم عن تجربتها في نفسه فأصيب بما اصيبت به الحيوانات التي جربت فيها من حيث اضطراره الى التزام الظلام فظل عشرة اشهر على هذه الحال اذا تعرض قليلاً للضوء تورم وجهه واصيب بألم شديد وسقط شعره ثم ضمر أثرها وأصبحت حياتهُ سوية

(١) صدر مؤلف الاستاذ فرناس (مائة السنة القادمة) قبل ظهور الزجاج المرن — أو الاين وقد وصفناه في مقالنا عن الكيمياء الصناعية في مقتطف يناير سنة ١٩٣٧ (٢) الشعار — ما يمس الجسد من الثياب

علاقة عنصر البوتاسيوم بالحياة والنمو

أزل البوتاسيوم من مجرى الدم يقف القلب عن الخفقان

النظائر في علم الطبيعة لفظ يطلق على اشكال مختلفة من عنصر واحد تتشابه في خواصها وتختلف في وزنها الذري واذن تختلف في تركيب نواتها وهي ترجمة اللفظ الانجليزي Isotopes فالرصاص المألوف يشبه الرصاص الذي ينتهي اليه تحول الراديوم بالاشعاع ولكنهما يختلفان في وزنهما الذري فرصاص الراديوم يعرف بأنهُ « نظير الرصاص اى ايسوتوبه »

ولعنصر البوتاسيوم غير نظير واحد . وأحد هذه النظائر يعرف باسم بوتاسيوم ٤١ لهُ على ما يظهر من المباحث الكيماوية والحيوية الجديدة صلة أية صلة بالحياة والنمو حتى لقد اثبت أحدهم انه اذا ازيل البوتاسيوم من مجرى الدم توقف القلب عن الخفقان

***

وعنصر البوتاسيوم من اعجب العناصر المعدنية التي لها صلة بالحياة ولا سيما بنسو الناج الاجنة الا ان البوتاسيوم العضوي الذي يوجد في الجسم قوامهُ ثلاثة نظائر البوتاسيوم الموسومة بالارقام ٣٩ و ٤٠ و ٤١ . ومن المؤكد ان النظير ٤٠ ومن المرجح ان النظير ٤١ يقذفان « الكترونات » وهي اشعة بيتا و « جمات » او اشعة اكس

لعل ان الاشعاع الذي تقذفهُ ذرات هذين النظائرين يسير جدًّا ولكن ثبت ان في كل جرام من البوتاسيوم الذي في جسم الانسان يوجد ٢٢٥ ذرة تنحل بقذفها الاشعاعات المتقدمة الذكر

وهذا يعني انهُ لو حول ما يقذف من ذرات البوتاسيوم الذي في اوقية من لحم الجسم الى ضوء اخضر لكان اقوى خمسمائة ضعف من اضأل ضوء تستطيع ان تتبينهُ العين البشرية

اي انهُ لو تحول ما يطلق من بوتاسيوم الجسم من الاشعاعات الى ضوء أخضر لكنا نرى جسم الانسان وهو اشبه ما يكون بالهيكل المضيء . والذي لا يعلم حتى الآن هل لهذه الاشعاعات اية صلة بتأثير البوتاسيوم الحيوي

***

في الاجتماع الذي عقدتهُ الجمعية الكيماوية الاميركية القى الدكتور كيث بروور Breuer احد علماء مكتب الكيمياء والتربة يوشنطن محاضرة في بحث جديد قام به هو واعوانه وغرضه معرفة وزن البوتاسيوم الذري في الناج الحيوانات لعل ذلك يفضي الى فهم صلة هذا العنصر بالحياة

كان العالم الالماني « زوارد ماكر » قد كشف انه اذا ازيل البوتاسيوم من مجرى الدم توقف القلب عن الخفقان . ثم وجد انه اذا وضع محل البوتاسيوم المزال من الدم مادة مشعة عاد القلب الى الخفقان . ثم وجد علاوة

على ذلك انه اذا عرض القلب لاشعاع مادة مشعة عاد الى الخفقان . ثم ايد الدكتور جاك لوب في معهد ركفلر الطبي هذه النتائج . ووجد في خلال بحثه ان وضع قدر من عنصر الكيزيوم في الدم بدل البوتاسيوم يعيد القلب الى الخفقان

***

بعد هذا اتجه التفكير الى التكهن . فقال الباحثون اذا كان للاشعاع هذا الشأن الكبير في خفقان القلب فلعل الشأن الاول فيما يخص البوتاسيوم انما هو لنظيره المشع أي للنظير ٤١

ومما عزز هذا الاتجاه تجارب جربت في مدينة براج عاصمة تشكوسلوفاكيا . فقد ثبت من هذه التجارب ان اتاش البزور يزداد باضافة نظير البوتاسيوم ٤١ الى المحلول الذي تروى به . وانهُ اذا أخذت مائة بذرة وظهر ان متوسط ما ينتش منها هو ٢٠ بذرة ثم أضيف النظير ٤١ من البوتاسيوم او ذلك العدد زيادة كبيرة لا يسوغها الاحيان الرياضي

ويؤخذ من مباحث الدكتور برور نفسه انهُ يلوح لهُ ان الجانب الاكبر من مقدار النظير ٤١ الذي في جسم مجتمع في انساج الجنين . وهو في أنخاع العظم اكثر منهُ في سائر انساج الجسم ويقل بتقدم سن الحيوان

ومما يستوقف النظر ان الحيوان اذا أصيب بنوأم سرطانية ظهر فيه مقدار من هذا النظير يزيد على المقدار السوي المألوف

سفن الهواء في المستقبل

رأي سيكورسكي

ايجر سيكورسكي روسي الاصل فرّ من روسيا عند وقوع الانقلاب البلشفي ورحل الى اميركا . وكان منذ صغره مشغوفاً بصناعة الطيارات وصنع طائفة منها لحكومة روسيا القيصرية في اثناء الحرب الكبرى . ولكنهُ بعد كفاح عنيف في اميركا اصبح في مقدمة صانعي الطيارات في العالم وهو على ما نذكر أول من صنع الطيارة « الامفيبية » اي التي تستطيع ان تحط على الماء او اليابسة وقد دعيت بالامفيبية تشبيهاً لها بالحيوانات الامفيبية (البرمائية كما ترجمت في بيروت والقوازب كما يقترح الاب انستاس تسميتها) وهي التي تعيش جانباً من حياتها في الماء والجانب الآخر على اليابسة كالضفادع

وقد أعرب سيكورسكي عن رأيه حديثاً في مجلة مهندسي الطيران فقال انهُ يتوقع ان تكون طيارات الركاب سنة ١٩٥٠ ضخمة الحجم تزن الطيارة منها مليون رطل وتتسع لالف راكب . اما في السنوات الخمس المقبلة فينتظر ان تبلغ طيارات الركاب خمس الحجم الذي يتوقعهُ لها سنة ١٩٥٠ اي يبلغ وزن الطيارات نحو ٢٠٠ الف رطل وتبلغ سرعتها ٢٥٠ ميلاً في الساعة وهي تطير طيراناً متواصلاً على علو ٢٥ الف قدم فوق سطح الارض

العناصر في الشمس

بعد ما اكتشف العلماء المطياف تمكنوا بواسطته ان يعرفوا ما في الشمس من العناصر التي هي كائنة على الارض . وعدد العناصر الارضية كما هو معلوم اثنان وتسعون عنصراً . وقد كشف منها في مادة الشمس حتى الآن واحد وستون عنصراً هي كما يلي :

ايدروجين	منجنيس	اقيمون
هليوم	حديد	باريوم
ليثيوم	كوبلت	لانتانوم
يريليوم	نيكل	سماريوم
بور	نحاس	برازيديميوم
كربون	خارصيني	نيوديميوم
نتروجين	جاليوم	سيريوم
اوكسجين	جرمانيوم	اوريوم
فلور	روبيديوم	جادولينيوم
صوديوم	سترنتيوم	دسبروزيوم
مغنيزيوم	كولومبيوم	ادميوم
الومنيوم	موليدنيوم	توليوم
سليكون	روثينيوم	اتربيوم
فصفور	اتريوم	لوتيسيوم
كبريت	زركونيوم	هفنيوم
بوتاسيوم	رديوم	تنجستن
كلسيوم	بالاديوم	اوسميوم
سكانديوم	فضة	اريديوم
تيتانيوم	كدميوم	بلاتين
فناديوم	انديوم	ذهب
كروم		

طائرة « الريح الالهي »

من عجائب الطيران في العهد الأخير فوز الطائرة اليابانية المعروفة باسم « الريح الالهي » بالطيران من طوكيو الى لندن في ٩٥ ساعة والمسافة نحو عشرة آلاف ميل وهو من معجزات الطيران البعيد المدى . لانه يعني ان متوسط السرعة خلال أربعة أيام بلياليها بما فيها ساعات الوقوف زاد على مائة ميل في الساعة

*

هل تعلم

ان الفيلسوف ارسطوطاليس وصف مائة وسبعين طائراً في كتاباته العلمية

ان في جسم الطفل احدى عشرة عظمة أكثر مما تجده في جسم البالغ وذلك لان بعض العظام في الجمجمة والسلسلة الفقارية تكون متفصلة فيه ثم تلتحم

ان في جبال الالب نحو الفي نهر جليدي (ثلاجات)

ان ازدحام السكان في مصر كان في تعداد سنة ١٩٢٧ ألفاً وخمسة وأربعين نسمة في الميل المربع

ان على سواحل البحار المختلفة ٢٧٩ منارة لاسلكية ترشد السفن

ان الالسولين جرب في تخفيف حالة المصابين بالأزما فأفاد

ان الرومان القدماء كانوا يعتقدون ان الاكثار من أكل الكرنب يطرد المرض على نحو ما يعتقد الانكليز وغيرهم في هذا العصر من ان أكل تفاحة كل يوم يقصي الطبيب

الالوان واقبال الامم عليها أو نفورها منها

جاء من مقال نشر في مجلة هارپرز الاميركية ان الامم تختلف في ميلها الى مختلف الالوان. فمن العبث ان يسعى البائع الى بيع سيارة في اليابان مدهونة باللون الاحمر لان ذلك شاذ للذوق الياباني. وقلما ترى في انكلترا سيارة مدهونة باللون الاخضر لان العامة تتوهم ان سيارة بهذا اللون شؤم على صاحبها ومن يركبها. وفي الصين يعتبر اللون الابيض لون الحداد. وتروى رواية عن شركة لبيع البنزين في الصين جعلت لون محطاتها ابيض فأفلست

•

تسمم الدم

بعد حرق شديد

يؤخذ من بحث القاه الدكتور هدل روي روزنتال في مؤتمر جمعية علماء المناعة الاميركيين ان تسمم الدم الذي يحدث على اثر حرق شديد يحدث في بعض الاحيان صدمة تؤدي قد تفضي الى الوفاة. وان هذا التسمم سببه تولد مادة سامة في الجسم على اثر الحرق وقد تمكن من عزلها في اجسام المحروقين ووجد كذلك في اجسام المصابين الذين شفوا موادا مضادة للتسمم بها

وفعل المادة السامة يأتي من طريق تأثيرها في جدران الاوعية الدموية فتجعلها قابلة لاختراق سائل الدم لها فيتسرب من الاوعية الى خارجها فيطرء السياب الدم في الاوعية الدموية الدقيقة

غرائب الحمام الزاجل

٧٢٠٠ ميل في ٢٤ يوماً

في ١٥ اغسطس سنة ١٩٣١ اطلقت في أراس بشمال فرنسا حمامة من الحمام الزاجل وكان الغرض من اطلاقها امتحان قدرتها على الرجوع الى بلدة سايجون في بلاد الهند الصينية والمسافة بين أراس وسايجون ٧٢٠٠ ميل. فوصلت هذه الحمامة الى سايجون في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ اي بعد انقضاء اربعة وعشرين يوماً على اطلاقها في آراس فضاقت بذلك كل ما عرف عن الحمام الزاجل من هذا القبيل. ذلك ان قصب السبق في هذا المضمار كان لحمامة اطلقت في بلدة كاراكاس بفنزويلا فعادت الى بروكلين بنيويورك والمسافة بينهما ٢٢٠٠ ميل. واطلقت حمامة اخرى من فالنسيبورو بولاية ماين الاميركية فعادت الى عشها في بلدة سانت الطونيو بولاية تكساس والمسافة بينهما ٢١٠٠ ميل

•

اختلاف مقاومة الجسم

للميكروبات بين الشتاء والصيف

قرىء تقرير في اجتماع جمعية الباتولوجيين والبكتريولوجيين الاميركيين وضعهُ الدكتورة لي دراپر وارستروتج وباحثان من اطباء المعهد القومي الصحي الاميركي جاء فيه إنهُ ثبت لهم من تجارب جربوها في الفئران أن الجسم أنشط في مقاومة الميكروبات في فصل الشتاء منهُ في فصل الصيف

مصل للنزلة الرئوية

افضل من المصل المستعمل الآن وأرخص

وصف الدكتور روفوس كون احد اطباء المستشفى في معهد روكفلر الطبي بنيويورك في مؤتمر عقده القائمون على شؤون الصحة العامة في اميركا الشمالية طريقة جديدة لصنع مصل للنزلة الرئوية (النوموبا) أفضل من المصل المستعمل الآن وأرخص

ولباب هذه الطريقة استعمال الارانب بدلاً من الخيل لتوليد المصل في دمها

وعنده ان المصل الجديد المولد في دماء الارانب أفضل من المصل المولد في دماء الخيل لان جزيئات المواد الكيماوية المعروفة باسم الاجسام المضادة أصغر في مصل الارانب منها في مصل الخيل . وهي بذلك اقدر على التغلغل في انسجة الجسم ومكافحة ميكروبات النزلة الرئوية

ولا يخفى ان القدرة على مكافحة ميكروب النزلة الرئوية (نوموكوكوس) يتوقف على وصول مقدار كاف من هذه «الاجسام المضادة» الى الجسم لتمد بالمونة «الاجسام المضادة» المتولدة في الجسم نفسه

*

تثليث الزوايا

اكد الرياضيون من اقدم الازمان ان تثليث الزوايا مستحيل . ومع ذلك عرضت طريقة على احد اساتذة الرياضيات بجامعة كولومبيا لتثليث الزاوية ، وكان عارض هذا الحل فتى في الحادية عشرة من العمر فاضطر الاستاذ ان يشتغل ثلاثة اسابيع قبل ان يتبين موقع الخطأ في الحل المعروض عليه

*

قياس سيل اللعاب

جربت تجارب من عهد قريب غرضها فهم الدواعث التي تحمل غدد اللعاب على افراز لعابها . فصنع جهاز لقياس مقدار اللعاب الذي يفرز في أحوال مختلفة ، وتقدم احد المتطوعين لتجربة التجارب فيه . فلفظت امامه اولاً كلمة «كمكة» فسجل الجهاز افراز مقدار يسير من اللعاب . ثم عرضت عليه صورة فوتوغرافية سوداء وبيضاء لكمكة فزاد مقدار ما افرز من اللعاب . ثم عرضت عليه صورة فوتوغرافية ملونة لكمكة فزاد مقدار ما افرز من اللعاب على ما تقدم . ثم عرضت عليه كمكة حقيقية ، فاذا الجهاز يسجل سيل مقدار كبير جداً من اللعاب في الفم

*

تعليم الزراعة بالقرورة

تجري الهند الآن على خطة رشيدة في تعليم الزراعة لجماهير الشعب وذلك باقطاع اراضٍ لخريجي الكليات الزراعية بها يحرثونها ويستغلونها فينشروا بالقدوة القواعد الزراعية العصرية بين طبقات الزراع الهنود

مكتبة المقتطف

الثورة العرابية والاحتلال الانكليزي

تأليف الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

مطبعة النهضة : سنة ١٣٥٥ وسنة ١٩٣٧ : عدد الصفحات ٥٨٣

لعلي احد الافراد القلائل الذين أتيح لهم استيعاب أغلب ما كتب عن الثورة العرابية . حتى لقد بلغ من فرط شغفي بذلك وشدة حرصي عليه أني مرضت مرة بضع سنين مرضاً — ظُنَّ انهُ مرض الموت — فكان آخر ما فكرت في أن أزوده به بعد كتاب الله الكريم ، هو قراءة محاضر التحقيق مع الثوار للمرة الثانية قراءة تحقيق وتدقيق كأنها ستكون بعض سؤال الملكين

لقد كانت الثورة العرابية حركة قومية ونهضة وطنية — ما في ذلك أقل شك ولا أدنى ريب — ولعل قلب مصر لم يخفق في القرن التاسع عشر من عهد محمد علي الا عند ما بلغت تلك الثورة أشدها ، واستوت على سوقها ، وأوشكت ان تؤتي أكلها . فقد تبهت الخواطر ، وازدهر الشعور الوطني . وتمت الحركة الفكرية . وسادت الحمية المصرية ، واستثيرت الهمم الفاترة ، واستحثت العزائم الخائرة . تتحركت النخوة في النفوس ، وذكت الحماسة في الصدور ، وعلم من لم يعلم أن مصر قد عرفت ما لها من الحقوق الى جانب ما عليها من الواجبات . وأنها كادت تتبوأ مكانها اللائق بها بعد ان سلبتهُ مراراً بغياً وظلماً . فبعد ان كان السبب المباشر لثورة تذمر الضباط الوطنيين من سوء معاملة رؤسائهم من الشراكسة والاتراك ، وحرمهم مساواتهم بهم في الترقي الى المناصب الرئيسية تطورت الى المطالبة بتحسين حالة الجيش ، وزيادة عدده ، وتأليف مجلس نيابي على احدث النظم ، ثم انقلبت الى شعور مرير من التدخل الاجنبي في شؤون البلاد ، وضرورة وضع حد لذلك . ومن يدري ما كان يكون لو تحققت هذه الآمال ولم تقف انكلترا — بمؤازرة فرنسا وتردد تركيا وضعف الخديوي — حجر عثرة في سبيلها . فأغلب الظن انهم كانوا يطالبون بالانفصال عن تركيا وتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان

ولو قيضت الاقدار النجاح لتلك الثورة ولم تتألب عليها جميع العوامل الداخلية والخارجية لبقي عرابي زعيم الزعماء الى أبد الآبدين — ولكننا اليوم بصدد الاحتفال بالعيد الذهبي لاقامة تمثاله في مختلف الانحاء — ولكنهُ أخفق ويالاسف وأخفقت معهُ أمانيه

والناسُ ، من بلق خيراً ، قائلون له ما يشتهي ، ولأمّ المخطأ الهبلُ

ومن ثمّ اصبحت الثورة وبالاً على مصر وعلى السودان ، وعلى القومية والوطنية والاخلاق جميعاً . وكان وما يزال المؤرخ المصري يتحرج من الكتابة عنها بشجاعة وحرية وصراحة لعدة اسباب ، ليس اقلها شأناً كونها تتعلق بأسلاف الكثيرين من كرام المواطنين — جلهم أعزة على المصريين — على ما سلف من آبائهم ، فحسبهم انهم في موقفهم يتشبهون الى حد ما بالجبرة من الصحابة الذين انحدروا من اصلاب أئمة الكفر

ولكن المؤرخ المحقق والوطني العامل الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي ، برح الدوحة الرامية النبيلة ورث فيما ورث عن جده الاكبر — عمر الفاروق — أنهُ لا يخشى في الحق لومة لائم — فوفق الى أبعد حدود التوفيق في تأريخ الحركة القومية بعد ان درسها درس العالم الخبير وألمّ بموضوعاتها الماماً ما ابقى لاحد من قبله — وبلغ الغاية في كتابه الاخير (الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي) حيث ابرزه في مجلد ضخم يلتمع صفحاته نحو الستمائة وضمنهُ مقدمة وتسعة عشر فصلاً هي خير ما أخرج للناس في موضوعها، فقد احاط بمقدمات الثورة واسبابها واشخاصها ووقائعها ونتائجها ، بحيث اصبح سفره سجلاً تاريخياً وافياً لجميع الحوادث والاحداث التي نزلت بمصر من ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ الى يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٣ ، وبعبارة أخرى من أول عهد الخديوي توفيق الى ان صدر آخر حكم على آخر من حوكم من الثوار

ولقد عني الاستاذ الكبير بترتيب الحوادث وتسلسل التواريخ وتنسيق الوقائع ، عناية من شأنها أن تيسر لاقل الناس ادراكاً تفهم هذا الدور الدقيق من تاريخ البلاد . فذكر أن عوامل الثورة ترجع الى اسباب خاصة وأخرى عامة . وقسم هذه الاخيرة الى سياسية واقتصادية واجتماعية — وهذه وتلك أصدق ما كتب في هذا الصدد — وأسهب في التكلم عن ميلاد الثورة وطفولتها وشبابها وشيخوختها ، ومختلف الوزارات التي عاصرتها، وما قامت به كل منها من ضروب الاصلاح والافساد . مبيناً في انصاف المؤرخ ما لها وما عليها دون ان يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها . وتناول الكلام — اثناء ذلك — على دستور سنة ١٨٨٢ ، وتدخل الدولتين الانجليزية والفرنسية في شأنه وما ترتب على هذا التدخل . وشرح ما قام به مجلس النواب في دورته القصيرة — الاولى والاخيرة — من جلائل الاعمال . ثم ما تلا انقضاضه من ظهور الفتن ، وتتابع الاحداث من اغراء العداوة والبغضاء بين الخديوي والثوار ، الى (مذبحة ١١ يونيه) ، وعقد مؤتمر الاستانة ، وضرب الاسكندرية ، وانضمام الخديوي الى الانجليز ، وعزل عرابي ، واعلان هذا الاخير بدوره عزل الخديوي وعدم طاعة أوامره . والمعارك الحربية التي دارت من ذلك التاريخ حتى انهزام الجيش المصري في موقعة التل الكبير ،

وما كان من موقف الانكليز كل ذلك التاريخ بالتفصيل والايضاح . وتسليم العرابيين وحاكمهم والحكم عليهم وما عقب ذلك من الاحتلال الخ الخ المروع ، حيث ساد البلاد جو قاتم من الدسّ والسعاية والوشاية مما يعف القلم عن الخوض فيه . ثم تناول في أدب العظماء ودقة العلماء ولباقة الزعماء تحليل شخصيات زعماء الثورة ، وانصفهم غاية الانصاف ، فلم يستشهد على رأيه فيهم الاّ بأقوال أصدقائهم . وهذا هو منتهى العدالة . وأخيراً تكلم عن اسباب اخفاق الثورة كلاماً أوتي فيه الحكمة وفصل الخطاب

والخلاصة ان الاستاذ المؤرخ قد اتقنّ في بسط الاسباب ، واستخلاص النتائج ، وتحليل الشخصيات ، والتعليق على الحوادث ، وايراد أصدق الشواهد ، وأعدل المصادر وأنضج الآراء . كل هذا بأسلس عبارة وأبلغ بيان وأصدق برهان بحيث لم يدع محلاً لنقد الناقد أو زيادة لمستزيد

ومن عجب أني حاولت أن أقتبس بعض ما أعجبت به من آرائه القيمة كتعليقه على موقف تركيا (ص ١٦٦ و ٣٢٤) ، ومؤامرة الضباط الشراكسة (ص ٦٦٢) ، وموقف الخديو (ص ٢٧٠) ، ومذبحة الاسكندرية (ص ٢٩٨) والوطنية المصرية (ص ٢٦٢) ، وجهل عرابي (ص ٤٣٢) ، وشرعت في ذلك بالفعل ولكن لم أجدها خيراً من باقي الكتاب والفيتني بعد مضطرًّا أن أنقل الكتاب كله للقراء ، والاّ فلن أستطيع أن أوفيه حقه ولا بعض حقه

وبعد فقد أحسن عبد الرحمن بك الرافعي الى الأمة والى التاريخ بتلك السلسلة الرائعة من الحركة القومية وأخصها كتاب الثورة العرابية . ولا أدري هل يجدر بالمصري الذي لا يقتنيها باعتبارها أدق المواقف في ماضي بلاده القريب ، وأكثرها خطورة وحساسية ، ان يفاخر بمصريته !! ففي الحق انهُ من العار ان يعيش مصري مثقف في هذا العصر وهو يجهل المآسي التي مثلت على مسرح البلاد في القرن الماضي

وفي الحق ايضاً ان اطالب الاستاذ الجليل بأن يتفضل باعادة طبع تلك السلسلة الثمينة طبعة متواضعة لتكون في متناول ايدي المتوسطين والفقراء الذين يريدون ان يطلعوا على كل شيء وهم لا يكادون يملكون شيئاً

بقي انني لم اعرف الآن من هذا الكتاب ان رفات شهدائنا في موقعة التل الكبير لم تضمها مقبرة ظاهرة حتى اليوم ، في حين ان الانجليز قد كرموا قتلاهم بها . وذكرني ذلك بما علمته وأنا بكردفان بالسودان ان رفات شهدائنا في مذبحة هكس باشا لا تزال اكداساً مكدسة في شبه تلول لم يمسّ بدفنها احد للآن . وأظن انهُ قد آن الاوان لان تعنى الامة في عهدها الجديد بهؤلاء وأولئك

حامد القرضاوي
مؤلف (ضحايا مصر في السودان)

الفن في مصر في عصر البطالسة

للدكتور ابراهيم نصحي

The Arts in Ptolemaic Egypt. by Dr. Ibrahim Noshy.

كتاب جديد ، ولكنهُ ليس كغيره من الكتب . فموضوعه طريف لم يؤلف فيه مصري قبل اليوم . وطبعهُ أنيق يشهد بما للقائمين على مطبعة جامعة اكسفورد Oxford University Press من ذوق جميل وخبرة واسعة . اما المؤلف الدكتور ابراهيم نصحي فمن خيرة شبابنا المثقف ومن هيئة التدريس في كلية الآداب . وقد كان كتابهُ الذي نحن بصدده الآن الرسالة التي تقدم بها للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن . وحسبك تزكية لهذا المؤلف ان يرحب به ناشرو جامعة اكسفورد ويأخذوا على عاتقهم اصداره في هذه الحلة القشيبة

ولا ريب في ان الدكتور نصحي كان موفقاً كل التوفيق في اختيار هذا الموضوع ، لاتصاله بثقافتنا القبطية اولاً ، ولان علماء الآثار ومؤرخي الفنون اقبلوا على دراسة الفن الفرعوني او الفن الاغريقي ، ولكن ندر من بينهم من وقف جهوده على بحث نتائج الجوار بين اساليب هذين الفنين على يد البطالسة في وادي النيل

فكلنا نعرف ان تقسيم امبراطورية الاسكندر بعد وفاته كان من نتائجه ان آلت مصر الى بطليموس احد قواده يحكمها ممثلاً بوريثي الاسكندر وهما اخوه غير الشقيق وابنهُ الصغير . وتولى بطليموس حكم مصر سنة ٣٢٣ ق . م فعمل على الاستقلال بامرها حتى استطاع ان يتخذ لقب الملك سنة ٣٠٥ ق م فأسس بذلك أسرة البطالسة المقدونية الاصل وهي التي ظلت تحكم مصر حتى هزم الرومان كليوبطرة في واقعة اكتيوم سنة ٣١ ق . م فأصبح وادي النيل جزءاً من الامبراطورية الرومانية

ومع ان البطالسة كانوا اغريقاً في حياتهم الخاصة ، وظلت الصبغة الاغريقية تسود بلاطهم في الاسكندرية ، فقد عملوا على التقرب الى المصريين بتقليد فراعنتهم القدماء والاخلاص لآلهتهم الوطنية وتشييد ما هدمهُ الفرس او تطرق اليهِ الدمار من المعابد القديمة ، مقلدين في اصلاحاتهم او عمائرهم اساليب الطراز المصري القديم في العمارة والنحت والزخرفة كما تشهد بذلك معابد فيلة وادفو ودندرة واسنا وكوم امبو . وقصارى القول ان حضارة البطالسة كانت اغريقية الاصل ولكن سياستهم الدينية كانت تتطلب احياء الفن الفرعوني القديم بوصف كونه اداة الديانة القديمة واكبر ممثل لها . ومن ثم فان الجمع بين اساليب الفنين الاغريقي والفرعوني جمعاً يشير صدى للاتحاد السياسي الذي كادت تحققه احلام الاسكندر وامبراطوريته ، نقول ان هذا الجمع لم يسع

اليه البطالسة دائماً بل انهم كانوا لا يرجون به ، رغبة منهم في ان يثبتوا بأساليب الفن الفرعوني القديم انهم ملوك شرعيون لدولة عريقة في القدم والحضارة وليسوا حكام أقليم يخضع للاغريق ويتخذها قدوةً واماماً . وهكذا نرى ان سياسة البطالسة الخارجية وسياستهم الدينية تآزرتا في نهج منهاج المصريين القدماء واحياء الاساليب الفنية التي كانت سائدة في عصر النهضة المصرية قبل ان يغزو الفرس وادي النيل

ولكن على الرغم من ارادة البطالسة أنفسهم فان تيار الثقافة الاغريقية غمر مصر كما غمر سائر اقطار الشرق الأدنى فأصبح الفن في عصر البطالسة مزيجاً من الاساليب الفرعونية والاساليب الاغريقية ، وأثر فيه كل التأثير ما عرف عن الفن الاغريقي في النحت من حرص على دقة تصوير أجزاء الجسم وعناية بأظهارها على حقيقتها

والدكتور نصحي يبسط لنا في كتابه التأثيرات الاغريقية والتأثيرات الفرعونية في عمارة البطالسة وفي نحتهم . فيبدأ بمقدمة عامة يدرس فيها حالة سكان مصر في عصر البطالسة وهم الذين يعتبر الفن في هذا العصر مرآة لهم ومعبراً عن حضارتهم . ويبين المؤلف ان تغير الظروف السياسية منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد أضعف الروح الاغريقية في مصر الى درجة محدودة ويرى ان هذا لم يكن نتيجة امتزاجهم بمصر او تأثرهم بشيء منها بل نتيجة تحول الروح الاغريقية في وسط جديد وتحت ظروف جديدة (ص ١٤) ويستخدم المؤلف في التعبير عن هذا القول عبارة للاستاذ روستوفتزف Rostovtzeff . ونحن لا نرى رأيهما في هذا الميدان لاننا نقول بأن ذلك الوسط الجديد وتلك الظروف الجديدة ترادف تماماً امتزاج الاغريق بمصر وتأثرهم بها . وعلى كل حال فان الدكتور نصحي يشرح من ناحية أخرى تأثير الاغريق في المصريين ويبين ان بعض المصريين تمثل الاغريقية واتخذ اسماء الاغريق وملابسهم وغير هذا من المظاهر ولكن ظلت الاكثرية الساحقة من الشعب مصرية حتى الصميم

***

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن العمارة بادئاً بالقبور عند الاغريق وعند الفراعنة وعند البطالسة فنراه يدرس خصائص كل منها في دقة علمية كبيرة ثم يقارن بينها ليصل الى النتائج التي يثبتها في آخر هذا القسم من كتابه وهي ان قبور المصريين في عصر البطالسة كانت مصرية الطراز غير متأثرة بالفن الاغريقي ولكنها كانت فقيرة يندر وجود المعابد فيها ولا يعنى ببنائها ولا تزخرف منها الا الاضرحة والتوابيت ويكثر فيها دفن عدد من الموتى في مقبرة واحدة . غير انهُ من الصعب ان نقابل هذه القبور بمدافن المصريين القدماء الذين كانوا اكثر مالاً واعظم قوة وكانوا السادة الحقيقيين في بلادهم

ويتبع الاستاذ فصحي نفس الطريقة العلمية السديدة في درس المساكن عند الاغريق وعند الفراعنة وعند البطالسة فيظهر اطلاعه الواسع والمامه الوافي بأطراف الموضوع ويصل الى ان البيوت في عصر البطالسة كانت اما اغريقية وإما فرعونية ، فأهل الاسكندرية كانت لهم بيوت من طرازين : الاول يشبه البيوت التي عرفت في القرن الثالث قبل الميلاد بمدينة پريين Priene والثاني يشبه البيوت التي عرفت في القرن الثاني قبل الميلاد بجزيرة ديلوس . ويظهر انهُ كانت هناك بيوت اغريقية في مدينة بطولمايس بصعيد مصر العليا وفي بعض مدن الفيوم وفي نقراطيس . بينما كان المصريون والاغريق يتخذون في سائر المدن المصرية بيوتاً مصرية تشبه التي عثر على انقاضها في تل العمارنة

***

ثم يأتي دور المعابد فيذكر الدكتور فصحي ان البطالسة شيدوا بعضها لآلهة الاغريق كما شيدوا لآلهة المصريين القدماء ، ولكن لسوء الحظ لم تصل الينا اي آثار خطيرة لمعبد اغريقي الطراز وان تكن قد وصلتنا بقايا معبد من الطراز الدوري Doric ويظهر انهُ كان اغريقيًّا بحتاً كما وصلتنا ايضاً بقايا عناصر معمارية عليها طابع مدينة الاسكندرية المحلي ولكنها رغم ذلك من شتى الطرز اليونانية

ويبيّن المؤلف أن المعابد المصرية في عصر البطالسة كانت مصرية التصميم والعمارة والزخرفة وانها تمتاز بظاهرتين : الاولى نوع الاعمدة ذو الطراز المركب ويرى الدكتور فصحي انهُ طراز قديم اهتدى اليه المصريون انفسهم في عصر سابق اي في عصر النهضة التي تلت سقوط الدولة الحديثة . والظاهرة الثانية هي الجدران التي يسميها الحاجزة او الساترة screen-walls or curtain walls وقد اظهر المؤلف انها ليست من اختراع البطالسة بل عرفتها قبلهم الدولة الحديثة في الكرنك ومدينة حابو كما عرفتها الاسرة الثلاثون في مدينة حابو وفيلة . ويمكن تفسير استخدام هذه الجدران الحاجزة ذات النوافذ بالرغبة في ادخال قدر كبير من الضوء والهواء الى داخل المعبد

ويصل المؤلف في هذا الفصل الى نتيجة هامة جدًّا . وهي ان العمارة الدينية في عصر البطالسة كانت في الغالب اما اغريقية بحتة وإما مصرية بحتة وان المزج بين الطرازين لم يتجاوز بعض تفاصيل الزخرفة . وهذا يخالف المعروف حتى الآن . وعلى الرغم من الادلة القوية التي يسوقها الدكتور فصحي فاننا لا يسعنا الا ان نسلم بها على طول الخط قبل ان يتاح لنا درس الكتاب كله درساً وافياً والاطلاع على الاثر الذي يحدثه في اوساط علماء الآثار ومؤرخي الفن ممن هم أوثق منا اتصالاً بهذا العصر من تاريخ الفن المصري

أما عن النحت فقد ضمن المؤلف كتابه دراسة ممتعة أظهر فيها الصبغة الاغريقية التي سادت اكثر منتجات المثالين في الاسكندرية كما سادت نقوش العملة في عصر البطالسة بينما كانت التماثيل المصرية في سائر انحاء البلاد مصرية الطراز . وان تكن هناك حالات يلاحظ فيها محاولة المزج بين الطرازين الاغريقي والفرعوني . ثم أظهر الزميل الفاضل ما أصاب النحت في الاسكندرية منذ ابتداء القرن الثاني قبل الميلاد حين انقطع سيل المهاجرين الاغريق وحين تعصب البطالسة للمصريين وازدادوا في التقرب منهم بل وذهبوا الى حد اضطهاد الاغريق فقل طلب التماثيل الاغريقية وانحطت صناعتها

وهكذا نرى ان الدكتور فصحي يشير في كتابه الجديد بآراء لها خطرها ويمكن تلخيصها في ان الفن الاغريقي والفرعوني احتفظ كلاهما بذاتيته في عصر البطالسة وان محاولات المزج بين هذين الطرازين كانت قليلة وغير موفقة حتى لم يكننا اعتبارها انعكاس اهواء فردية او ذوقاً فنياً غير ناضج . ولسنا اليوم بصدد مناقشة هذه الآراء فانا — وان كنا نهتم بكل ما يمس تاريخ الفنون المصرية — لا نملك حق الحكم على ابحاث احد الاختصاصيين في عصر من العصور قبل ان نلم بأطراف الموضوع ونستنير باقوال غيره من الاختصاصيين

ولكن الدكتور فصحي يستحق على هذا المؤلف الثمين وعلى صوره البديعة وآرائه الخطيرة وطريقته في البحث والتدليل كل الحمد والثناء وحسبنا انهُ مصري يساجل علماء الآثار الحجة بالحجة ويدفع ما تهم به من اننا نقوم لاتقاليد فنية لنا ولا يمكن ان تحذبنا دراسة الفنون والآثار

زكي محمد حسن
أمين دار الآثار العربية

كتاب الوراثة

تأليف الدكتور احمد فاضل الحشن — مدرس الوراثة وتربية الحيوان بكلية الزراعة
٣٥٠ صفحة قطع المقتطف — دار النشر الحديث

من الامور المسلم بصحتها ان الأولاد يشبهون والديهم ، ولكن هذا التشبه لا يتناول جميع الخواص والصفات ، بل هناك تباين كبير ، يصدق هذا القول على النبات والحيوان صدقهُ على الانسان . والعلماء الذين انقطعوا لدراسة الوراثة غرضهم الوقوف على الأسلوب الذي تجري عليه الطبيعة في احداث هذا التشابه العام وهذا التباين الخاص ، وهو موضوع يستهوي العقل من ناحيته النظرية ، لان العقل الانساني يتطلع أبداً الى كشف المجهول . وكل كشف جديد اذا

نظرنا اليه من حيث مشابهته لوالديه او تباينه عنهما لفتَ بعضُ العقل ويستفزهُ الى البحث والفهم . ثم انهُ موضوع لهُ نواحيهِ السهلة في تحسين النبات والحيوان . اذ ليس هناك ما يحول دون تجربة التجارب وتطبيق المكتشفات عليها . وأما في ما يخص الانسان فسيبقى هذا التطبيق متعذراً الى ان تبيحهُ طبيعة الاجتماع البشري

حاول الباحثون في القرون السابقة محاولات عديدة غرضها ازاحة الستار قليلاً عن أسرار الوراثة ، ولا سيما وراثة بعض الصفات الظاهرة ، كلون العين ، والنزف الوراثي ، وما يعرف « بشقة هيبسبرج » . وبعد ما قضى داروين سنين في دراسة ناحية واحدة من الموضوع قال : « ان جهلنا بقوانين الوراثة وأصل الانواع جهل بالغ » ومات وأسرار الوراثة لا تزال محجبة عنهُ

ولسنا نقول ان اسرارها قد بحت جهاً للعلماء اليوم . ولكننا بدأنا نفهم الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في احداث التشابه والتباين بعض الفهم ، وذلك بفضل البحوث التي قام بها عشرات بل مئات من العلماء . يتبادر الى الذهن منهم منديل وفيسن وده فريز ومورغن

كان الرأي الغالب الى مطلع القرن العشرين ان البيئة مردُّ التحول البطيء المتدرج في الاجسام الحية ، الذي يقضي على مرّ الزمن الى خلق انواع جديدة من الكائنات الحية . ولكن هذا التفسير لم يكن مقنعاً كل الاقناع . فقد عرف من أقدم عصور التاريخ ان الصينيين كانوا يضعون اقدام اناثهم في قوالب لابقائها صغيرة . ولكن ذلك لم يفض بعد إبطال هذه العادة الى توريث الاجيال الجديدة من الصينيين اقداماً صغيرة

ثم عثر العلامة الهولندي ده فريز على نوع جديد من زهر الربيع نامياً نمواً بريًّا في حقل خارج امستردام . فأخذه وجرب مجاربهُ في توجدهُ يتناسل تناسلاً صريحاً . فقال هو ذا دليل على ان النوع الواحد من نبات يستطيع ان يخلف فجأة نوعاً جديداً قائماً بذاته فدعا ذلك بالتحول الفجائي mutation

فكان القول بالتحول الفجائي الحافز الى اسلوب جديد من البحث في الوراثة . وهو اسلوب مماثلة الاحياء ومراقبة ما يحدث فيها من التحولات الفجائية . فانتقل التطور والوراثة ، بهذا الاكتشاف الى ميدان البحث التجربي الخاضع للقياس والاحصاء والمراقبة

فلما اقبل توماس هنت مورغان الاميركي ، على هذا الاسلوب سنة ١٩٠٩ وكان في الثالثة والاربعين من عمره ، افتتح امام علم الوراثة باب واسع ، دخل منهُ الى باحة النظرية « الصبغية » (الصبغيات جمع صبغيّ هي الكلمة العربية التي وضعها مجمع اللغة العربية الملكي لفظ كروموسوم الاعجمي) ، والنظرية الجرثومية (جرثومة وجمعها جرثيمات كلمة مقترحة لتأدية معنى genes وهي

عوامل الوراثة التي تتألف منها الصبغيات بحسب نظرية مورغن) والنظريتان معاً هما الاساس الذي يقوم عليه علم الوراثة في حالته الحاضرة

وليست النظريتان مما يسهل وصفه او تلخيصه في كلمات ، وقد نشرنا في مقتطف ١٩٣٢ سلسلة من المقالات للدكتور شريف صبري بسّط قواعدها ونواحي تطبيقها . ومع ذلك لم يكن البحث بسيطاً الاّ في نظر من كان ملمًّا بعلوم الاحياء الاساسية

ومن بضع سنوات ، دخل بحث الوراثة اسلوبٌ جديد ، لسنا نعلم ما يكون اثره ، ولكننا نعلم ان الأمر لن يكون يسيراً . وهذا الاسلوب ، هو الكشف عن ان اشعة اكس تكثر حدوث التحوُّلات الفجائية ، فيتاح كذلك للباحث اخضاع البحث في التحوُّلات الفجائية لسيطرته ، وهي التي كانت لا يؤثر فيها لا ضغط ولا بردٌ ولا حرٌّ

هذه المباحث العلمية الدقيقة الطريفة ، هي مدار هذا الكتاب العلمي النفيس الذي عني بوضعه عالم مصري طلب علم الوراثة على احد اساطينه المعاصرين وهو الاستاذ كرو واليه اهدى الكتاب . وقد بدأه بمقدمة تاريخية اجمل فيها اهم التعاريف في علم الوراثة وأساليب دراسة الموضوع وما لهُ من الشأن العلمي . ثم وقف الابواب الثلاثة التالية على مباحث متدل في الوراثة وملابساتها ، وتندل هو الراهب التشكوسلوفاكي الذي اكتشف قانوناً من قوانين انتقال الصفات الوراثية في العقد السابع من القرن الماضي وطواه في رسالة ، لم ينتبه لها الاّ في مطلع القرن العشرين . ثم شرع المؤلف بعد ذلك في بحث الاساس المادي للوراثة ، اي الصبغيات والجريثيات وكيف تجتمع وكيف تفترق . وكيف تحدث في اجتماعها وافتراقها الصفات الوراثية المختلفة او التحولات الفجائية التي تحدث التباين

والموضوع من اوله الى آخره علميٌّ دقيق ، ولذلك عني المؤلف باكثار الرسوم والصور والجداول مبالغة في ايضاح المعاني ، ومع ذلك لا يمكن ان يقال ان هذا الكتاب في متناول كل احد يريد ان يفهم ما الوراثة وما اساليبها وما تفسيرها ، ولكنهُ وضع خاصة على ما يظهر لطلاّب هذا العلم

الاّ ان فيه بعض فصول اقرب الى تناول الجمهور من غيرها كوراثة الصفات الجنسية (١٢) ووراثة الامراض والعيوب الجسمية (١٣) والفصل الاخير الخاص بموضوع العلاقة بين الآباء وتأثيرها في الابناء ... الخ

ولسنا ندري لماذا استعمل المؤلف لفظ « التصنيف » ترجمة لفظ Variation الانكليزي ، وقد سبق استعمال تباين وتغاير وهما أدلُّ على المعنى . واما تصنيف فقد استعمل في اللغة العربية ترجمة لفظ Classification .

المختار

الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري

ليس بين قراء الصحف والمجلات وطلاب الادب العربي وعشاق الفصحى من يجهل اسم الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري أو من لم يقرأ له مقالاً أو فصلاً من الفصول المعروفة « بأمالي رمضان » و « اليوميات » او من لم يسمعهُ محاضراً في المحافل او في محطة الاذاعة . وليس بينهم الا كل معجب به كاتباً مجيداً طويل الباع بديعاً ظريفاً خفيف الروح فكه الحديث بارع النكتة في عبارة مهذبة كريمة . وقد قلنا في مقتطف دسمبر ١٩٣٥ عند صدور الجزء الاول من المختار « فالفصول التي يحتوي عليها هذا الكتاب من الآيات الادبية . فهي عتُ من ناحية الى أعرق الاصول في ادبنا العربي المجيد ، ومن ناحية اخرى الى حياة الذهن المصري الحافل في هذا العصر بضروب المعاني المستحدثة والآراء الطريفة »

وهذا الجزء الثاني من المختار الذي انحف به الاستاذ البشري عشاق البلاغة يضم بين دفتيه طائفة حسنة من البحوث في الفنون وعلوم البلاغة والموسيقى والاغاني المصرية والمغنين المصريين واذا كانت الفنون الجميلة ترقق العاطفة وتصقل الذوق وتسمو بالخيال وتلطف الحس فان في تخصيصه هذه الفصول بالموضوعات المتصلة بالفن لدليلاً يقيناً على رقة هذا الكاتب وسمو أدبه من خلاوة وقد أعجبنا منه عرفانه لجميل كبار رجال الفن الموسيقي كعبده الحمولي وسلامة حجازي وسيد درويش كما اكبرنا فيه حمله على « الطماطيق » الحديثة الفاجرة وما فيها من مباينة للوقار والحشمة

ولكن هذا الجزء ينطوي على طائفة أخرى من التقدات اللطيفة التي تشيع في خلالها النكتة المرحة وقد تناول بها كثيراً من الاخلاق كالتطفل والبخل والغرور والبلاوة وغرابة الطباع والمباهاة الفارغة كما انهُ قرع بها ظهور بعض من فئات البشر كالمحامين والشعراء ومساعي الاحذية والحمالين وعشاق الوظائف وسواهم . « فسلخ جلودهم » جميعاً بأسلوبه الطريف الذي اختص به وداعبهم بعبارته الرقيقة الحلوة التي يلتذها حتى الذين انتقدهم وأشار الى عيوبهم مع ما فيها من طعم حريف لاذع

ومزية أدب الاستاذ البشري انه ثمرة خبرة شخصية بهذه الاخلاق والجامات التي وضعها على المشرحة وساعده على وضعها لغة طيعة وقلم مسعف وبيان ناصع وفكر عميق وأحساس رقيق ومما زاد هذا البيان حلاوة ما تخلله من الكلمات العامية الشائعة وما عرفهُ من الاسماء والنعوت . وحسب القارىء ان يقرأ فصول « التطفل والمتطفلين » و « شعراؤنا والدابات » وغيرها ليضحك ملء شدقيه ولكنهُ ضحك كالبكاء على هذه الاخلاق التي قصد الكاتب بالاشارة اليها ونقدها مداواتها

صور من الحياة في جبل القلمون (سوريا)

تأليف يوسف موسى خلف — هدية مجلة المقتطف

لعل من أهم ما تحتاج اليه الدراسات الاجتماعية في الشرق العربي هو تلك المجموعة التي يسميها علماء الأتوغرافيا (فولكلور) والتي تتألف من وصف عادات ابناء كل قطر من الاقطار واخلاقهم وتقاليدهم وطراز حياتهم في مختلف اشكالها وانماطها، لانهُ لا يمكن درس الاوضاع الاجتماعية في جماعة من الجماعات واصلاحها الا بعد معرفة هذه الاوضاع ووصفها وصفاً علميًّا يتفق مع الواقع، وهي حقيقة اقرّها علماء الاجتماع وأجمعوا عليها؛ وانهُ من المؤلم ما اعتاده اكثر الكتاب والادباء في انحاء الشرق العربي من حرصهم على وصف ما هو بعيد عن الحس وألصق ما يكون بالخيال وترفعهم عن الاهتمام بالواقع ووصف مشاهده ومظاهره حتى كان من جراء ذلك ان توارى في طيّات العدم كثير من صور حياتنا الاجتماعية دون ان يعمد أحد من الكتّاب الى وصفه وتسجيله لتحتفظ به الامة كتالد ثمين يذكرها بالماضي ويفسر لها الحاضر ويبينها على تهم الطريقة التي يجب اتباعها في الاصلاح الاجتماعي الذي هي احوج ما تكون اليه

لقد يسطنا ذلك لنبين مقدار ما يستحقهُ من الثناء مؤلف كتاب صور من الحياة في جبل القلمون على عمله، فلقد جمع في مؤلفه نماذج كثيرة من صور الواقع في هذه البقعة الواسعة من بقاع سورية على الطريقة العلمية الاتوغرافية بعد ان استشار الكثيرين ممن خبروا هذه الطريقة ودرسوها

ابتدأ المؤلف بوصف منطقة القلمون ثم تطرق الى وصف عادات أهلها وتقاليدهم وطراز معاشهم وأنواع أغذيتهم والمراسم المتبعة في زياراتهم وولائمهم وأعيادهم ومراسم الزواج لديهم والتقاليد التي ما برحت متبعة في أفراح الولادة والختان وما يتبع ذلك من ألعاب ومهرجانات وحفلات راقصة ثم مراسم المآتم وتقاليدها، وقد ختم المؤلف كتابه بفصل خصصهُ لمجموعة من الأناشيد الشعبية التي ما برح يرددها سكان تلك المنطقة ويتغنون بها رجالاً ونساء ويتخلل مباحث الكتاب كلها رسوم شمسية كثيرة تمثل جبال القلمون وسكانها في مختلف حالتهم وأوضاعهم ولقد قدم الكتاب للقراء كلٌّ من الاستاذين عيسى اسكندر المعلوف ورشيد عطية كما قدمهُ للمستشرقين من الأوربيين الاستاذ جان لوسيرف أحد أعضاء المعهد الفرنسي في دمشق بعد ان درج خلاصة ما جاء فيه من أبحاث باللغة الفرنسية. ورغم ما في هذا من بعض النواقص التي يبررها انهُ من الكتب الاولى من نوعه التي نشرت باللغة العربية في سورية فهو كتاب نفيس جدًا لو عمد كثير من الكتاب في مناطق الشرق العربي الى النسج على منواله في جمع عادات مناطقهم وتقاليدها وتدوين تلك الصور الحية الثمينة قبل ان تذهب بها الايام وتطويها مراحل التطور فلا يبقى منها ما يمثلها او يبعث ذكراها للخاطر

دمشق — الدكتور كاظم الداغستاني

قصص من مصر ولبنان

« الوثبة الاولى » لمحمود تيمور — « عشر قصص » لخليل تقي الدين — « الصبي الاعرج وقصص أخرى » لتوفيق يوسف عوّاد

القصة فنٌّ جديد في الادب العربي ، وجد من الاقبال عليه والعناية به ما يستحقهُ ، فاحتلّ مكانتهُ سريعاً ، وبرز من رجاله كتّاب يرتجون استخلصوا ان يكشفوا عن العلل الاجتماعية المتفشية في الشرق ويضعوا للمصلحين اصابعهم على موضع الداء بأسلوب قصصي بديع ، وليس كالقصة او الرواية بأمثلها وحوادثها المجسمة سبيل الى كشف المساوىء ومعرفة المحاسن . وقد أخرج ثلاثة من رجال هذا الفن في مصر والشام ثلاث مجموعات صحت رواتهم . ويظهر تأثر بعض كتّاب هذه القصص بالادب الروسي بعض التأثر ، وقد اتخذوا من الحياة المستمدة للقدرية ، والغارقة في المعتقدات الدينية والاجتماعية الساذجة ومن الاشباح التي تضفر لنفسها اكاليل من القداسة الزائفة على مسرح هذه المعتقدات مادةً لقصصهم فجاءت تنبض فيها الحياة وتشع في جنباتها

فأما الكتاب الاول منها فهو مجموعة اطلق عليها الاستاذ محمود تيمور « الوثبة الاولى » لانها جعلت اولى قصصه التي اصدرها منذ سنوات ثم عاد اليها كما يعود الفنان القدير الى مثاله المحبوب مغيراً ومجملاً حتى يجلوه صورة فاتنة خالدة . وأسلوب تيمور محبب الى النفس ، مصور للواقع ، رسام قدير للبيئة المصرية . ألفاظهُ تأتي على قدر الفكرة مجلوة المعنى فلا زيادة عمة ولا قصر مخلّ . وانك لتحسّ الحياة وهي تدب في قصصه وعلى الاخص « عم متولي » و « ضريح الاربعين » و « الشيخ جمعة » و « مهزلة الموت »

وأما الكتاب الثاني وهو « عشر قصص » فهو مجموعة طيبة للاستاذ تقي الدين ، ويمتاز هذا القصاص بروح عذبة مشرقة وأسلوب شعري هادىء جميل ، ولهُ سخرية ظريفة ناعمة تتجلى في قصته التي أسماها « في مهبّ الغرام » . على ان أروع قصة في مجموعته هي « نداء الارض » وأشهد انها ستخلد في عالم الادب القصصي . وقد ختم مجموعته بقصة مترجمة هي « السجين » لمكسيم غوركي

أما الكتاب الثالث فمجموعة للاستاذ توفيق عواد اسماها « الصبي الاعرج وقصص اخرى » . وهذا الكاتب تتوافر لديهِ المادة القصصية التي يستمدها من محيطه الذي يعيش فيهِ « فمنها ما يغلب عليها التوجيه ، ومنها ما يغلب عليها التحليل ، ومنها ما يغلب عليها وصف الاخلاق والتقاليد ، ومنها ما لا يحتوي الا على البحث ولذة الفن المجردة » وهو قادر على تناول ذلك كقاص بارع الا انهُ لا يعنى في كثير من الاحوال بالاسلوب كما في قوله : « وكان خليل يخاف منهم كثيراً ما يكاد

يراعي عن بعد حتى يأخذ في الركض بالهامن ركضة على رجليه الوجاه . رأسه يخلع على صدره ، وصدوته ترقص على خصره وتصعد وتهبط ، والحلوبات يخلط بعضها ببعض وتحطم وتسيل تصير أشبه ما يكون بالوحل »

ولو عني الاستاذ توفيق بأسلوبه في جميع قصصه كما عني به في قصته «الشاعر» و «الرسائل المحروقة» لخلق لقصصه روحاً آخر يبعث على النشوة ، فان للاسلوب يداً في اجتذاب القارىء وفي نكب شعاع رائق من الروح الشعرية الحالمة التي يأنس اليها المطالع ويتابع القاص في حديثه

« ص »

صاحب مجلة « العالم الاسلامي »

توفي جورج كامفاير Georg Kampffmeyer في ٥ سبتمبر ١٩٣٦ وكان عالماً مستشرقاً المانيًا من الطبقة الاولى . ولد في ٨ يوليه ١٨٦٤ في برلين ودرس في المانيا اللغات الشرقية ثم طلبها في باريس ولندن . واهتم باللغة العربية ولهجاتها خاصة . وانشأ الجمعية الالمانية لمعرفة الاسلام الحاضر وأسس مجلة اسمها «العالم الاسلامي» Die Welt des Islams وقد اشرنا اليها في مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ وكان هذا المستشرق من الميالين للشرق العربي القادرين جهوده في العصر الحاضر

تموز وبعلة

تموز وبعلة . أو « أدونيس وعشتروت » رواية شعرية تمثيلية نظمها الاستاذ وديع ابو فاضل وجعل من هذه الاسطورة التاريخية القديمة درساً في الوطنية والاخلاص والسعي الى الاتحاد والتضحية في سبيل القومية مما يجدر أن يكون مثالاً للشاب الكامل وللرجل الحر العامل في سبيل اعلاء وطنه ورفعة شأنه وجمع الكلمة وضم الصفوف

وقد صوّر فيها حب تموز ابن ملك جبيل لبعلة ابنة ملك صيدا التي شبت معهُ صغيرة فأحبتهُ وأحبها حتى تولى ابن عمها « بعلون » الملك بعد وفاة ابيها ورغب في الزواج منها حتى حدث أن زار « تموز » صديقه « بعلون » فلقيتهُ بعلة وبُعث في قلبها حبها القديم فتواعدت واياه على اللقاء عند عودته من الصيد ولكن بعلون علم بذلك فأمر احد اخصائه بالترصد لتموز وإطلاق خنزير من شعب الشباب عليه ليفترسهُ الا ان هذا الرسول رأى فيما قصد اليه كل الهول فعمل على نجاة تموز اشفاقاً على بعلة ثم اخبر الملك بذلك فعاقبهُ وتمّ لبعلة ما كانت تتوق اليه وزوّجها ابن عمها من حبيبها تموز

وقد وضع المؤلف هذه القصة في اسلوب من النظم رقيق عذب فيا حبذا لو قامت فرقة من الفرق التمثيلية باخراج هذه الرواية لبث الروح الوطنية في نفوس الشباب واعلاء كلمة الوطن

فهرس الجزء الاول

من المجلد الحادي والثلاثين

١ قبل البردي . . . احمد الخوير
٨ العشرة المقدمون في تاريخ الفكر الانساني : للكاتب في دورات
٢٠ ارتحال الصديق مصطفى صادق الرافعي : لاسماعيل مظهر
٢٣ كلمات للرافعي
٢٥ المرأة في مصر على مر العصور من محاضرة للسيدة إيمي خير : نقلها عادل الخضان
٣٢ شاعر المنى ! ! . . . (قصيدة) : لمحمد فهمي
٣٣ الفيتامينات وأثرها في الصحة والمرض والنمو
٤٢ عمر بن أبي ربيعة : لجبرائيل جبور
٤٨ أنا وابي (قصيدة) : لايليا أبو ماضي
٤٩ خزان جبل أولياء : لحنا خباز
٦٢ بين سيثوزا وان جيزول : لفليمون خوري
٦٦ وكانت الذئاب تموي : للكاتب التركي حسين جاهد : نقلها نقولا شكري
٧٢ مهمة الحكومة في التربية : لعلي حسن الهاكم
٧٦ تدريس الكيمياء في المدارس الثانوية : لمحمود خليل راشد
٨١ حيوانات مشهورة : لفريق الدكتور أمين المعلوف
٨٦ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٩١ حديقة المنتطف * فنون الفيلسوف حن فولتير: نقلها اسماعيل مظهر . انا المثال: لآرثر سيمز . الرحيل الاول للشاعر جان ريشين : نقلها احمد ابو الخضر منسي
١٠١ سير الزمان * حفلة تتويج الملك جورج الخامس . المرض في التاريخ والعروش المصرية الثلاثة

---

١٠٧ باب الاخبار العلمية * الكيمياء الصناعية : لعوض جندي . مادة عجيبة . علاقة عنصر البوتاسيوم بالحياة والنمو . سلن الهواء في المستقبل . العناصر في الشمس . طائرة الريح الاهلي . الالوان وانبال الامم عليها . تسمم الدم . غرائب الحام الزاجل . اختلاف مقاومة الجسم للميكروبات معدل الزلة الرئوية . تنقيت الزوايا . قياس سيل اللعاب . تعليم الزراعة بالندوة
١١٣ مكتبة المنتطف * الثورة العرابية التي في مصر. كتاب الوراثة . المختار . صور من الحياة في القلمون . قصص من مصر وليتان . صاحب العالم الاسلامي . تمور وبلة

صورة تمثال الدكتور يعقوب صروف
بعد قاعدته وهو التمثال الذي ازيح عنهُ
الستار في جامعة بيروت الاميركية في ٢٠
يونيو الماضي (راجع وصف الحفلة صفحة
٧٨ من هذا العدد)